
تاريخ
صقلية الإسلامية

الدكتور عزيز أحمد

تاريخ صقلية الإسلامية

نقله إلى العربية وقدم له
مع إضافة حواشٍ وتعليقات مناسبة
الدكتور أمين توفيق الطيبي

١٣٨٩ و . ر ١٩٨٠ م

محتويات الكتاب

صفحة

تقديم المعرِّب

صدر كتاب تاريخ صقلّيّة [1] الإسلامية (A History of Islamic Sicily) عام ١٩٧٥ م ضمن سلسلة الدراسات الإسلامية (Islamic Surveys) التي يُشرف عليها الدكتور مونتجومرى واط (Montgomery Watt) ، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة إدنبره ببريطانيا . والسلسلة ، كما يقول الأستاذ واط تهدف « إلى تزويد القارئ المثقَّف بمعلومات أكثر مما يجده في كتب المطالعة العامة المعتادة » . وقد أُلحق بكل كتاب في السلسلة ثبتٌ وافٍ بالمصادر والمراجع ، لكى يتسنَّى للراغبين من القرَّاء التعمُّقُ في دراسة الجوانب التي يتوخَّوْنها .

ويقول الأستاذ واط في تقديمه لكتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) : إنه جدير بالنشر « إذ يبدو أن الكتاب الممتاز الذى ألَّفه ميشيل أمارى عن تاريخ مسلمى صقلية جعل الكتَّاب الآخرين يُحجمون ، تهيُّباً ، عن الخوض في هذا الموضوع ، ولذلك فإننا لا نجد كتابا شاملا يتناول تاريخ صقلية الإسلامية باللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية » — ونحن نضيف من جانبنا اللغةَ العربيةَ أيضا.

أما مؤلف الكتاب فهو الدكتور عزيز أحمد ، أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة تورنتو بكندا ، وله في نفس السلسلة كتاب عن (التاريخ الفكرى للإسلام في الهند) . كما ساهم الأستاذ عزيز أحمد — وهو هندى مسلم — بالعديد من البحوث عن الإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية ، وله فصل عن تاريخ الهند والباكستان ، منذ الحرب العالمية الأولى ، في تاريخ كمبردج الإسلامى (Cambridge History of Islam) الذى صدر عام ١٩٧٠ م .

إن كتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) يستعرض التاريخَ السياسيَّ والحضاريَّ

(١) «صِقِلِّيَة» بثلاث كسرات وتشديد اللام، والياء أيضا مشدَّدة، وأكثر أهل صِقِلِّيَة يفتحون الصاد واللام. ياقوت الحموى : معجم البلدان ، تُنظر ص ١١٤ من المكتبة العربية الصِقِلِّيَة.

والفنى للفترة التي حكم فيها العرب جزيرة صقلية ، وهى فترة ليست بالقصيرة ، إذ تقارب قرنين ونصف القرن من الزمن — من أوائل القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى إلى أواخر القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى . ولما استولى النورمان على صقلية وحكموها قرناً من الزمن (١٠٩١ – ١١٩٤ م) ، ظلَّ للمسلمين تأثير كبير على نظُم البلاط النورماني والإدارة والحياة العامة ، كما يشهد بذلك الرحَّالة الأندلسي ابن جبير الذى زار الجزيرةَ في أواخر أيام حكم النورمان لها . ثم لما خلَفَتْ أسرةُ هوهنشتاوفن الألمانية الملوكَ النورمان في حكم صقلية ، كان من ضمن الأهداف الرئيسية لملوك هذه الأسرة ، وخصوصا فردريك الثاني ، إيجادُ تعايش سلمي مع رعاياهم العرب في الجزيرة . وعلى ذلك ، فإن تأثير المسلمين استمر مدةً طويلةً تقرب من قرنين من الزمن بعد نهاية سيادتهم على الجزيرة . ومن صقلية ، عن طريق إيطاليا ، انتقل التراث الفكرى العربي إلى أوروبا . ويتناول الكتابُ تحليلَ هذا التراث بجميع أشكاله ، وخصوصا في ميادين الطب والفلسفة والمعمار .

ويضم الكتابُ اثنىْ عشرَ فصلاً ، وفصلاً ختاميا هي : الغزوات العربية الأولى على الجزيرة ، وافتتاح العرب لصقلية ، وإمارة بني الأغلب ، وصقلية في عهد الخلفاء الفاطميين الأوائل ، ثم في أيام الولاة الكلبيين ، والنشاط الفكرى في فترة حكم العرب للجزيرة . يلى ذلك فصلٌ عن قدوم النورمان وانتزاعهم السيادة على صقلية من أيدى العرب ، والنظمُ العربية في بلاط النورمان وإدارتهم ، وأحوال المسلمين تحت حكم النورمان ، والنشاط الفكرى العربي أثناء الفترة النورمانية . وبعد النورمان تولَّى حكمَ الجزيرة ملوكُ أسرة هوهانشتافن الألمانية ، وقد أُفرد فصل لفردريك الثاني والمسلمين ، وفصلٌ عن انتقال التراث الفكرى العربي عن طريق صقلية وإيطاليا إلى بقية أوروبا ، وفصلٌ عن المعمار والفنون الجميلة . ويُختتم الكتاب بفصل قصير عن مستوطنة لوشيرة (Lucera) الإسلامية في جنوب إيطاليا .

ويشتمل الكتابُ كذلك على خريطة لجزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، كما يشتمل على ثبتٍ وافٍ بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية .

لقد قُمْنا بنقل الكتاب وحواشيه بكل أمانة إلى اللغة العربية ، متقيدين بالأصل ما أمكن ، ومتوخِّين في الوقت ذاته وضوحَ العبارة وسلامتها ، وسلاسةَ الأسلوب . ولما كان المؤلف أغفل ذكرَ السنوات الهجرية ، فقد أثبتناها مع السنوات الميلادية

بالنسبة لبعض الأحداث الهامة . ورجعنا دوْماً إلى المصادر العربية الأصلية وأثبتنا عباراتها ما أمكن ، كما اقتبسنا المزيدَ من نصوصها في بعض المواضع إمعاناً في الفائدة ، وعلى وجه الخصوص ما وَرَدَ في كتب ابن حوقل وابن جبير وابن الأثير وعدد من المصادر الأدبية .

وقد أضفنا عدداً لا بأس به من الحواشي التاريخية والتراجم التوضيحية ، وأشرنا إلى ذلك في موضعه باستعمال الأقواس المربعة [ ] .

كما قمنا بتصحيح بعض الأخطاء التي وقعت في بعض الأسماء والأحداث والسنوات ، وأوردنا الأسماءَ كاملةً في بعض الحالات ، وعرَّفنا بإيجاز بأصحابها ، وأشرنا إلى كل ذلك في موضعه باستعمال الأقواس المربعة .

أما بالنسبة لأسماء المدن والمعاقل — وأسماءُ الكثير منها مشتقةٌ من أصول عربية — فقد اعتمدْنا كتابَ (نزهة المشتاق) للشريف الأدريسي في المقام الأول ، فهو العُمدةُ في ذلك ، إذ عاش في الجزيرة ووصفَ معالمَها في مصنَّفه الشهير . وقد اثبتْنا الاسمَ العربيَّ متبوعاً بالاسم الأوروبي بين قوسين للتعريف وتيسيراً للَّفظ .

وبالنسبة للمراجع الأجنبية التي أوردها المؤلف في الحواشي ، فإننا ، للإيجاز والتسهيل ، اكتفينا بذكر أسماء أصحابها بالعربية والأفرنجية وذكرِ المرجع بالعربية ، دون اللغة الأجنبية ، مع إحالة القارىء إلى التفاصيل في ثبت المراجع الأجنبية تحت اسم الكاتب .

وقد رأينا أن نستخرجَ من ثبت المراجع الذى أعدَّه المؤلف المراجعَ العربيةَ ، نصاً وتأليفاً ، وأفردنا لها قائمةً بذاتها مرتبةً حسب حروف المعجم ، وأما بقية المراجع ، فقد أثبتناها في قائمة أخرى منفصلة .

ويجد القارئ خريطةً لصقلية وجنوب إيطاليا في أول الكتاب ، وفيها أوردنا أسماءَ المدن والأماكن كما رسمها الشريف الأدريسي . وأوردنا في نهاية الكتاب ، وقبل ثبت المراجع ، قائمةً تعرِّف بسبعةٍ من المراجع المهمة التي تكرَّرَ ورودُها في الحواشي موجزة ، فمثلاً عند ذكر (أمارى) في الحواشي ، يُقصد بذلك كتابه المعروف عن تاريخ مسلمى صقلية ، وعند ذكر (المكتبة) يُقصد (المكتبة العربية الصقلية) التي تحتوى على نصوص عن صقلية الإسلامية استخرجها أمارى من المصادر العربية .

وكما تقدَّم ، فإن كتاب (تاريخ صقلية الإسلامية) كتاب شامل لتاريخ المسلمين

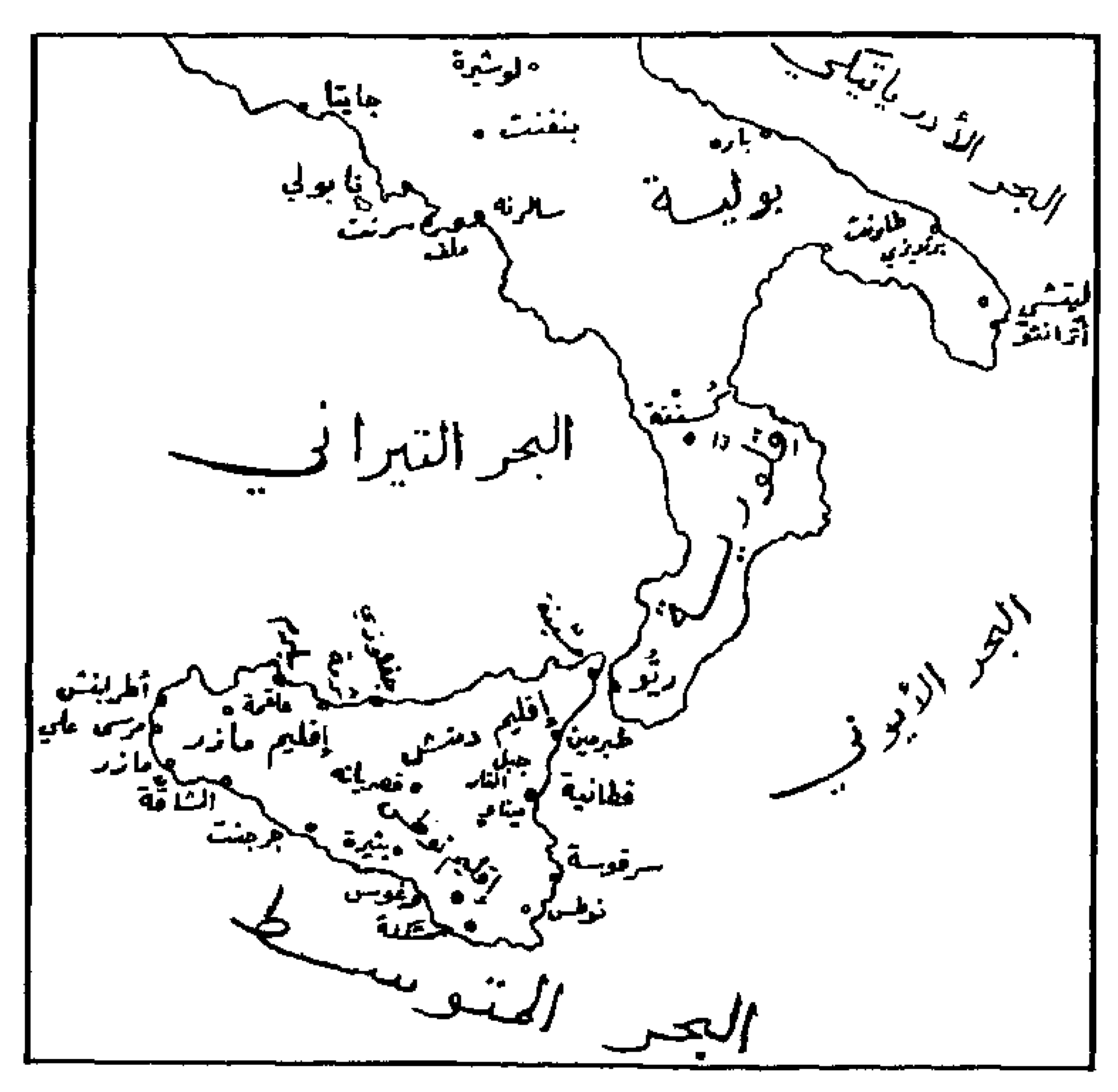
في الجزيرة ، وتراثهم الفكرى والأدبي والفني ، ابتداءً من افتتاح العرب لصقلية في سنة ٢١٢ هـ/٨٢٧ م ، حتى نهاية الوجود الإسلامى في الجزيرة وجنوب إيطاليا في سنة ٦٩٩ هـ/ ١٣٠٠ م . والكتاب ، في نظرنا ، يلبّى حاجةً ماسةً بالنسبة للباحثين العرب في الموضوع ، والمهتمين منهم بالعلاقات العربية الأوروبية في القرون الوسطى وبدوْر العرب الحضارى المرموق ، وانتقال التراث الفكرى العربي عن طريق صقلية والأندلس إلى أوروبا ، مما ساهم وعجّل في بزوغ عصر النهضة فيها في أواخر القرون الوسطى . إن الهدف الذى نتوخاه من إصدار الكتاب باللغة العربية هو خدمةُ أساتذة وطلبة التاريخ والدراسات العربية والإسلامية في الجامعات والكليات والمعاهد العلمية على وجه الخصوص ، والمثقفين العرب عامة وبخاصة أولئك الذين لا يُلمُّون بلغات أجنبية . وإذ نرجو أن يحقّق الكتابُ الفائدةَ المرجوّة ، نأمل في أن يكون حافزاً للباحثين العرب على توجيه المزيد من الاهتمام والعناية إلى هذا الميدان الثرى من التراث العربي الإسلامى ، الذى لم يَلْقَ حتى الآن ما هو جدير به من بحث ودراسة وتنقيب .

وختاماً ، نودُّ أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان للأستاذ عزيز أحمد لموافقته مشكوراً على نقل كتابه إلى اللغة العربية ، وللدار العربية للكتاب لما لا تنفكُّ تُوليه من عناية واهتمام في التنويه بالتراث وإحيائه ، والله وليُّ التوفيق .

طرابلس الغرب **أمين توفيق الطيبي**

في ١٨ رجب ١٣٩٩هـ

الموافق ٢٠ يونيو ١٩٧٩ م .



صقلية وجنوب إيطاليا

الفصل الأول

الغزوات العربية الأولى

يفصل جزيرةَ صقلية عن إيطاليا مضيقُ مسينة الضيِّق ، ولذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الإيطالية . كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحراً من الشمال الأفريقي حيث توطَّد الإسلام ديناً ودولةً منذ القرن السابع الميلادى .

ويمكن تقسيم صقلية إلى ثلاثة أقاليم جغرافية هى إقليم مازر (Val di Mazara) وإقليم نوطس (Val di Noto) وإقليم دمنش (Val Demone) . وكان هذا التقسيم ذا أهمية بالغة أثناء احتلال المسلمين للجزيرة . فقد كان الإسلام لوقتٍ ما الديانةَ الرئيسيةَ في إقليم مازر ، إلا أن عدد المسلمين كان دون ذلك في إقليم نوطس ، وأما إقليم دمنش فقد ظلَّ معظم سكانه من النصارى .

لما اتسعت الدولة الإسلامية وأصبحت امبراطورية في خلافة عمر بن الخطاب (٦٣٤–٦٤٤ م) ، كانت صقلية وجزء من جنوب إيطاليا ولايتين بيزنطيتين . وكان الخليفة عمر بن الخطاب يعارض القيام بمخاطرات عسكرية عبر البحار أو حتى عبر الأنهار الكبيرة ، إلا أن هذه السياسة أُعيد النظر فيها ، إن لم تُعكَسْ ، في عهد خلفه عثمان بن عفان (٦٤٤–٦٥٦ م) . فلحماية المدن الساحلية التي احتلَّها المسلمون حديثا على ساحل الشام ومصر من خطر غارات البيزنطيين الذين كانوا يمتلكون أسطولا قويا ، أُنشئتْ قوات بحرية من قِبَل معاوية بن أبي سفيان الوالى على بلاد الشام آنذاك ، وعبد الله بن سعد الوالى على مصر . ولم تلبث هذه القوات البحرية أن لعبتْ دورا هجوميا ودفاعيا ضد البيزنطيين في شرقي البحر المتوسط .

وحتى قبل ذلك التاريخ ، كانت صقلية قد تأثرت بصورة غير مباشرة بالفتوحات الإسلامية ، إذ كان قد لجأ إلى صقلية في سنة ٢–٦٤٣ م بعض النازحين من مدينة طرابلس الغرب فرارا من قوات عمرو بن العاص التي احتلت المدينة [١] . وكانت أول غزوة عربية للجزيرة في سنة ٦٥٢ م ، حينما أرسل معاوية بن أبي سفيان

سميَّه معاوية بن حُديْج لغزو صقلية [٢] . ولما كان أسطول الشام العربي ما زال في بدايته ، فقد كانت تلك الغزوة نائية وجريئة . وقد وصلت مراكب معاوية بن حديْج إلى صقلية ، إلا أنها لم تتمكَّن من التغلب على وسائل الدفاع البيزنطية . وكانت صقلية آنذاك تتبع أولمبيوس الوالى البيزنطى المقيم في رافنَّا . وتفشَّى وباء في جيش أولمبيوس هلك هو فيه ، ولكن العرب لم يتمكنوا من إحراز نجاح كبير في صقلية ، وعاد ابن حديْج إلى بلاد الشام بعد أن ظفر ببعض الغنائم والأسرى [٣] .

كما أن الغزوة العربية الثانية على صقلية في سنة ٦٦٧ م كانت كذلك غزوة شارك فيها المعاويتان . فمعاوية بن أبي سفيان كان قد توطَّد مركزه في الخلافة دون منازع ، وأصبح مؤسسا للدولة الأموية . وكان معاوية بن حديج واليَه على مصر ، فجهَّز حملة بحرية ضد صقلية بقيادة عبد الله بن قيْس الذى ظفر بغنائم وفيرة من بينها إيقونات من الذهب والفضة مرصَّعة باللآلئ فحُملتْ هذه إلى الخليفة الأموى الذى أرسلها ، كما تفيد الرواية ، إلى الهند عن طريق البصرة لبيعها بثمن عالٍ [٤] .

ولما افتتح العرب شمال إفريقيا بارح قُسطنْس الثاني القسطنطينية في سنة ٦٦٢ م لتركيز اهتمامه على الولايات البيزنطية القريبة في جنوب إيطاليا وصقلية حيث بقي حتى وفاته في سنة ٦٦٨ م . وكان القصد من وراء هذه الخطوة الحيلولة دون تطويق العرب للبر اليوناني ، وهذا ما كان سيحدث في حالة سيطرة العرب على هذه الولايات الغربية . وقد واجه قُسطَنْس صعوبات في تنفيذ هذه السياسة بسبب مقاومة اللمبارد في جنوب إيطاليا ولحاجته للمال [٥] . ولعلَّ عبد الله بن قيس قام بغزاته في سنة ٦٦٨ م أو ٦٦٩ م مستغلاً الفوضى التي تلتْ اغتيال قسُطَنْس الثاني في سرقوسة سنة ٦٦٨ م [٦] .

واتَّخذتْ صقلية قاعدةً لشن هجوم على العرب في برقة في سنة ٦٨١ – ٦٨٢ م . وفي خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ – ٧٠٥ م) ، استولى حسان بن النعمان الغساني الوالى على شمال إفريقيا على قرطاجنة في سنة ٦٩٣ – ٦٩٤ م وفرَّ لاجئون من الروم والبربر منها إلى صقلية ، التي أصبحت ثانية قاعدة بيزنطية لشنٍّ حملة ضد قرطاجنة في سنة ٦٩٧ م [٧] .

وفي أوائل القرن الثامن الميلادي ، غزا العرب جزيرة صقلية أكثر من مرة ، إلا أن النجاح لم يكن دائماً حليف هذه الغزوات [٨] . وبعد أن ولى إفريقيةَ موسى بن

نصير الذى تمَّ في ولايته افتتاحُ العرب للأندلس ، تكررت الغزوات العربية على صقلية . ففي سنة ٧٠٤ م بعث موسى بن نصير أسطولاً صغيراً بقيادة ابنه عبد الله لغزو جزر البليار وصقلية وسردانية . وفي صقلية ، أدَّتْ هذه الغزوات إلى الاستيلاء مؤقتا على إحدى المدن ، وإلى الظفر بغنائم وفيرة ، إذ تذكر الروايات العربية أن كل جندى تسلَّم مائة دينار ذهباً . وفي سنة ٧١٠ م ، أرسل موسى بن نصير حملة أخرى مُجزية ضد جزيرة سردانية [٩] . كما تعرضت صقلية لعدة غزوات صغيرة في العقديْن الأولين من القرن الثامن الميلادى على أيدى العرب الذين كانوا قد احتلوا جزيرة قَوْصَرَة (Pantellaria) في سنة ٧٠٠ م . وكانت هذه الغزواتُ توطئةً للهجوم التالى على صقلية [١٠] .

وفي سنة ٧٢٧ م ، غزتْ صقلية قوة عربية بقيادة بشر بن صفوان ، وأخذت عدداً كبيراً من الأسرى ، وعُقدتْ هدنة مع الروم إلا أنه لم يقع احترامها . وأرسل عبيدة بن عبد الرحمن ، الذى خلف بشر بن صفوان في ولاية إفريقية ، حملة ضد الجزيرة في العام التالى بقيادة عثمان بن أبي عبيدة ، وحملةً أخرى في سنة ٧٢٩ م بقيادة المستنير بن الحبحاب الحرشي ، إلا أن الحملتيْن لم تسفرا عن نتائج ذات بال [١١] .

وتعرّضتّ صقلية لغزوة عربية من بلاد الشام في سنة ٧٣٠ م . كما أن العرب بقيادة عبد الملك بن قطَن غزوا الجزيرة ثانية سنة ٧٣٢ م للظفر بالغنائم والأسرى ، وفي السنة ذاتها غزا عبد الله بن زياد جزيرة سردانية .

وأرسل عبيدة بن عبد الرحمن السلَمي والى إفريقية حملةً بقيادة أبي بكر بن سويد في سنة ٧٣٣ م ، وفي هذه الغزوات فُقدت عدة مراكب بفعل نيران النفط التي قذفها الأسطول البيزنطى .

وقام خلف عبيدة في مصر وإفريقية ، عبيْدُ الله بن الحبحاب ، بإرسال حملة ضد صقلية في سنة ٦٣٤ م لم تَتَكلّل كذلك بالنجاح ، وأسر الروم العديدَ من المسلمين . وفي سنة ٧٣٥ م غزت سردانية حملة أخرى أرسلها نفس الوالى . وكان ابن الحبحاب أولَ والٍ عربي يفكر في افتتاح صقلية ويحاول ذلك . والحملة التي بعث بها في سنة ٧٤٠ م بقيادة حبيب بن أبي عبيدة ، ابن أخ القائد العربي الشهير عقبة بن نافع الذى كان قبل ذلك اندفع عبر المغرب حتى المحيط الأطلسي ، كانت

حملة بنيّة احتلال صقلية . واحتل حبيب مؤقتا جزءاً من الجزيرة ، وشنّ غاراتٍ في داخلها وأجبر سرقوسة على دفع الجزية . إلا أنه اضطُر إلى الانسحاب مع قواته بسبب ثورة مَيْسرة المدغرى الذى اغتنم فرصة تغيُّب جزءٍ كبير من الجند العربي في حملة صقلية فاحتل طنجة . ولقمع ثورة مَيْسرة ، لم يُكتفَ بإرسال حملة من الأندلس ، بل استدعى الأمر كذلك سحب الجيش الذى كان قد أُرسل لغزو صقلية (١٢) .

وبعث عبد الرحمن بن حبيب ، الذى انتزى في إفريقية فيما بعد ، أخاه عبد الله غازيا إلى صقلية في سنة ٧٥٣ م . وقد أحرزت الحملة نجاحا أكبر مما أحرزته الغزوات السابقة ، إلا أن الجيش استُدعي بسبب ثورات البربر في شمال إفريقيا . وهكذا لم يتحقق ما كان عبد الرحمن بن حبيب يصبو إليه من افتتاح صقلية وسردانية . وأرسل قسطنطين الخامس أسطولا بيزنطيا قويا لحماية الجزيرتين . وقد أتاحت المتاعبُ التي واجهها العرب في شمال إفريقيا للبيزنطيين فرصةَ تحصين الجزيرتين ، وخصوصا صقلية ، وبناء أسطول قوى في وسط البحر المتوسط . وهكذا ظلّتْ صقلية نحواً من نصف قرن بمأمنٍ من أية هجمات عربية ذات بال (١٣) . وفي حين أن صقلية تعرَّضت لعدة غزوات عربية في عهد بني أمية ، فإن الجزيرة لم تتعرض لأية حملات في أوائل العهد العباسي ما بين سنتيْ ٧٥٣ و٨٠٠ م . كما تمكّن الروم من إصلاح الموانئ وإقامة التحصينات في جنوب إيطاليا ، واتخُذت هذه قواعدَ ضد الملاحة الإسلامية في البحر المتوسط . ومن هذه القواعد شنّتْ وحدات من الأسطول البيزنطى في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى غارات على سواحل الشمال الأفريقي . ودرءاً لهذه الهجمات ، قام هرثمة بن أعين والى إفريقية ببناء سور مدينة طرابلس وبإنشاء الرباط في المنستير في سنة ٧٦٩ م (١٤) .

وبالرغم من الهجمات البيزنطية على مراكب المسلمين ، فإن ثمة ما يدعو إلى الاعتقاد بأن التجارة استمرت بنشاط بين صقلية البيزنطية والعالم العربي في هذه الفترة . ولعلّ بعض التجار العرب أقاموا آنذاك في جزيرة صقلية . وقد تخلّلت الفترةَ أحداثٌ مثيرة . ففي سنة ٧٨٢ م ، ثار إلبيديوس (Elpidius) الوالى البيزنطى على الأمبراطورة أيرينة (Irene) ونادى بنفسه امبراطورا ، ولما هُزم لجأ إلى إفريقية . ويُذكر أن مبعوث هارون الرشيد إلى شارلمان ، يصحبه مبعوث من واليه على إفريقية إبراهيم بن الأغلب ، وصل إلى بيش (Pisa) في سنة ٨٠١ م ، وقام المبعوثان العربيان

بتقديم كتب تكليفها إلى امبراطور الفرنجة في معسكر يقع بين فارتشيلى (Varcelli) وإفرية (Ivrea) [١٥] .

وكان هارون الرشيد قد ولّى إبراهيم بن الأغلب إفريقية ، وحظى ابن الأغلب باستقلال ذاتي في مقابل دفع خراج للخلافة قدره أربعون ألف دينار في العام . ومن بين المشاكل التي واجهها إبراهيم بن الأغلب تأمين التجارة العربية في البحر المتوسط وعند سواحل إمارته . ولهذا الغرض أبرم مع قسطنطين ، البطريق البيزنطى في صقلية ، معاهدة سلام مدتها عشر سنوات ، بَيْدَ أن المعاهدة لم تقابل بالرضا من جانب عرب إفريقية . ومع أن الأغالبة كفُّوا لبضع سنوات عن مهاجمة مراكب البيزنطيين إلا أن منافسيهم الأمويين في الأندلس والأدارسة في المغرب الأقصى غزوا جزيرتَيْ قرشقة وسردانية ما بين عامَيْ ٨٠٦ و٨٢١ م [١٦] .

وقد طرأ بعض التغيير على سياسة الأغالبة في سنة ٨١٢ م في ولاية ابن إبراهيم ابن الأغلب أبي العباس عبد الله الذى شرع فوراً في بناء أسطول قوى . ولما نَقلَ هذه الأخبارَ النصارى المقيمون في إمارة بني الأغلب إلى البطريق [القائد] البيزنطى في صقلية ، قام البيزنطيون بتعزيز قوتهم البحرية في الجزيرة . ويرى البعض أن الحملة التي وجَّهها شارلمان إلى صقلية كان يُقصد بها في المقام الأول ان تسبق غزوةَ العرب المرتقَبة للجزيرة . وتحطَّمتْ مراكب أسطول صغير للأغالبة بفعل عاصفة قرب جزيرة سردانية . إن كل هذه العوامل لابد أنها ساهمت في إبرام معاهدة صلح جديدة لمدة عشر سنوات بين أبي العباس وجريجورى ، البطريق البيزنطى في صقلية ، في سنة ٨١٣ م . وتمَّ تبادلُ الأسرى ، كما أُخذ بعين الاعتبار مسألة سلامة التجار العرب في صقلية والتجار البيزنطيين في إفريقية [١٧] .

إلا أن الهدنة بين الروم والأغالبة انتهت فجأة فى سنة ٨١٩–٨٢٠ م ، إذ قاد حملةً ضد صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب ابن عم الأمير زيادة الله الأول (حَكَمَ ٨١٧–٨٣٨ م) . وفي هذه الحملة ظفر العرب بالعديد من الأسرى ثم انسحبوا .

الفصل الثاني

الفتح العربي وحكم الأغالبة

يرجع إخفاق عرب شمال إفريقيا ضد صقلية البيزنطية من جهة إلى ثورات البربر، ومن جهة أخرى إلى السياسة التي بدأها الأمبراطور قُسطنس الثاني لتنمية القوة البحرية البيزنطية في شرقي البحر المتوسط ووسطه . وقد تخلّى ليو الثالث عن هذه السياسة ، وحطَّ من شأن الأسطول لأسباب سياسية . إن هذه السياسة المعادية للأسطول ، والتي واصلها خلفاؤه في الحكم ، هي التي أدّتْ إلى حدٍ ما إلى فقدان البيزنطيين لجزيرتيْ كريت (إقريطش) وصقلية إبَّان القرن التاسع الميلادى [1] .

وفي سنة ٨٢٦ م ولّى الأمبراطور ميخائيل الثاني على صقلية قسطنطين الذى سُرعان ما دبَّ صراع بينه وبين قائد الأسطول البيزنطي فيمي (Euphemius) الذى سبق له أن أغار على شمال إفريقيا في عدة مناسبات ، وظفر بأسرى من بينهم بعض التجار العرب . وقد عُزى سقوط فيمي وثورته إلى قصة حب مفادها أنه وقع في حب راهبة اسمها هومونيزا (Homoniza) وتزَّوجها على كُرْه منها . وبعد التحقيق في الأمر ، أمر ميخائيل الثاني واليه قسطنطين بمعاقبته بجدع أنفه . فثار فيمى بمساندة الوحدات البحرية التابعة له ، واحتل سرقوسة وأوقع هزيمة بقسطنطين الذى أُسر وأُعدم . ونادى فيمي بنفسه امبراطوْرًا ونصَّب رجاله في مختلف أنحاء الجزيرة ، إلا أن أحدهم ، ويسميِّه المؤرخون العرب بلاطة ، قام ضده وأعلن ولاءه للأمبراطور ميخائيل الثاني وهَزم فيمي الذى اضطر إلى الاتصال بالأمير الأغلبي للتدخل والمساعدة [2] . ولعل مجرد الطموح السياسي والنجاح الذى أحرزه العرب في جزيرة كريت (اقريطش) ضد الأسطول البيزنطي قد أوحيا لفيمي بالقيام ضد امبراطوره [3] .

ولدى وصول فيمي إلى إفريقية ، عرَض السيادة على صقلية على الأمير زيادة الله على أن يظلَّ فيمي والياً على الجزيرة يحمل لقب امبراطور ويدفع الجزية للأمير الأغلبي ، ويتعهد الأمير من جانبه بتقديم مساعدة عسكرية له .

وقد حدث خلاف كبير بين أعيان القيروان ، إذ رأى بعضهم أن من غير اللائق نقض معاهدة السلام القائمة مع البيزنطيين ، فيما قال آخرون إن البيزنطيين كانوا قد خرقوا المعاهدة وأن الأسرى العرب كانوا يعانون في سجون صقلية . وقد أحال زيادة الله المسألة على قاضِيَيْ القيروان الشهيرَيْن أبي محرز محمد وأسد بن الفرات . وكان من رأي أبي محرز جمع معلومات أدق عن صقلية ، في حين أن القاضي أسد بن الفرات دعا بحماس إلى المبادرة بإعلان الجهاد ، فأخذ الأمير بمشورته (٤) .

ولّى الأمير زيادة الله القاضيَ المتحمس أسد بن الفرات قيادةَ الحملة العربية . وكان لأسد خلفية دينية من الطراز الأول إذ كان قد تتلمذ على محمد الشيباني وأبي يوسف من أشهر أصحاب الأمام أبي حنيفة ، كما يُروى بأنه قد سمع عن إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، إلا أن الرواية لا تنسبُ لأسد أية خبرة عسكرية سابقة تُذكر . ويبدو أن اختيار الأمير زيادة الله لأسد كانت تقليداً دينياً للخليفة عمر بن الخطاب ، الذى كان يختار من آنٍ لآخر رجالا ، كأبي عبيدة بن الجراح ، لإمرة الجيوش الإسلامية لورعهم ومنزلتهم الدينية أكثر من اختياره لهم لمهارتهم الحربية . وفضلا عن اختيار القائد ، فإن الحملة العربية على صقلية كان قد أُحسن التخطيط لها . وكانت الحملة تضم عناصر عديدة كالعرب والبربر والأندلسيين من جزيرة كريت (إقريطش) ، كما أن بعض الفرس قد يكونون شاركوا فيها . ولعلَّ بعض العلماء شاركوا في الحملة أيضا محتذين في ذلك حذو أسد بن الفرات . ويقول المؤرخون العرب : إن الحملة كانت تضم ١٥٠٠٠ رجلاً وما بين سبعين ومائة مركب . وفي سوسة ، انضمت إليها قوات فيمي ثم أقلعت القوتان المتحالفتان صوْب صقلية في ربيع أول من سنة ٢١٢ هـ/يونيو ٨٢٧ م . ونزلت القوات إلى البر في مازر حيث كان لفيمي بعض الأنصار . وفي أول لقاء أوقعت الحملة العربية هزيمة بالجيش البيزنطي بقيادة بلاطة الذى فرَّ إلى معقل قصريانة/قصرياني (Castrogiovanni) ومنه فر إلى مقاطعة قلَّورية (Calabria) وتوفي فيها (٥) .

وعلى إثر ثورة فيمي وغزو العرب لجزيرة صقلية ، اضطر الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثاني إلى صرف اهتمامه من جزيرة كريت (إقريطش) إلى صقلية (٦) . وفي هذه الأثناء أحرز الجيش الإسلامي بقيادة أسد بن الفرات بعض التقدم . وبعد أن ولّى أسد أبا زكي نائبا عنه في مدينة مازر ، التي تم الاستيلاء عليها ، توجَّه عبر

الجزيرة صوب سرقوسة . وفي طريقه إليها واجهه البيزنطيون في أكرا (Acra) ، وتُسمَّى الآن بلاتزولو أكريد (Palazzolo Acreid) ، وفيها اجتمع به بعض ممثلي البيزنطيين من سرقوسة وعرضوا أن يدفعوا الجزية ، ولكن ذلك كان حيلةً منهم ، إذ كان البيزنطيون في الواقع منهمكين وعلى عجَلٍ بتحصين سرقوسة وغيرها من المعاقل وبنقل كنوز الكنائس إلى معاقلَ منيعةٍ محصَّنة . أما فيمي الذي لم تتحقق مطامحه فإنه أخذ الآن يتواطأ سراً مع البيزنطيين ويحثهم على مقاومة العرب . وبعد أن فرغ البيزنطيون من تعزيز تحصيناتهم في سرقوسة ، رفضوا أن يدفعوا إلى أسد الجزية التي كانوا قد وعدوا بدفعها .

حاول أسد محاصرة سرقوسة ، ومع أنه كان تحت إمرته آنذاك ثمانية أو تسعة آلاف رجل ، فإنه لم تتوفر لديه آلات الحصار ولا المراكب الكبيرة الضرورية للاستيلاء على المدينة المحصَّنة تحصيناً منيعا . وكان اليونان قد نقلوا جميع الماشية والمواد الغذائية في المنطقة القريبة من تحصيناتهم ، مما اضطر الجيش العربي إلى أكل لحوم خيوله . وحدث تمرد على رأسه رجل يُعرف بابن قديم حثَّ أسداً على الكف عن الحصار والعودة إلى إفريقيـة . وقد تم إخماد الفتنة وأمر أسد بجلد ابن قديم . وتواصل حصار العرب لسرقوسة براً وبحراً ، وعلاوة على وصول بعض التعزيزات من إفريقية ، انضم إلى أسد غزاة بحر عرب قدموا من جزيرة كريت (إقريطش) . وتلقّى البيزنطيون المحاصَرون تعزيزاتٍ بعثَ بها الأمبراطور ميخائيل الثاني ، كما نجح الأمبراطور في إقناع رئيس البندقية الدوج جوستينيانو بارتسيباتزيو بإرسال قوة بحرية ضد الغزاة العرب . وقد دام الحصار نحوا من عام . واقترحت سرقوسة عقد هدنة ، إلا أن العرب رفضوا ذلك . وأصبح وضع أهل المدينة حرجاً ، إلا أنه لحسن حظهم تفشَّى وباء في المعسكر العربي كان من ضحاياه أسد بن الفرات[٧] .

ومع أن أسداً كان يقود العرب في صقلية لمدة عام فقط ، إلا أنه استطاع أن يُحرز موضع قدمٍ ثابتة في الجزيرة ، قُدِّر له أن يتّسع مع الزمن إلى أن أصبح افتتاحا للجزيرة بأسرها .

وعلى أثر وفاة أسد بن الفرات ، اختار الجند العربي محمدَ بن أبي الجواري قائداً دون انتظار تعيين قائدٍ لهم من قِبَل الأمير الأغلبي . ولما كان العرب قد أوهنهم الوباء ، وثبَّطت من عزيمتهم مقاومةُ البيزنطيين الصلبة ، فإنهم قرروا رفع الحصار عن سرقوسة

والإقلاع إلى شمال إفريقيا ، إلا أن مراكب البيزنطيين والبنادقة اعترضتْ سبيلهم . فعاد العرب وأحرقوا مراكبهم ، للحيلولة دون وقوعها في أيدي العدوّ ، وساروا صوْب داخل الجزيرة . واحتلوا باديءَ الأمر ميناو (Mineo) التي تقع على مسافة مرحلة من سرقوسة في اتجاه الشمال الغربي ، ثم استولوا على جرجنت (Girgenti) . وبعد ذلك وصلوا أمام قصريانه (Castrogiovanni) أعظم معاقل الجزيرة مناعةً طبيعية .

وفي قصريانه وقع حادث مثير . فقد تظاهر سكان المعقل بالخضوع لفيمي وبالاعتراف به امبراطورا عليهم ، ثم تغلبوا عليه واغتالوه . وحاول البطريق البيزنطي ثودط (Theodotus) لقاء العرب خارج قصريانه ، إلا أنه صُدَّ واحتمى بالمعقل . وتواصل حصار المعقل . وقد شعر العرب الآن بالاطمئنان في المناطق التي افتتحوها ، حتى إنهم ضربوا العُملة باسميْ زيادة الله ومحمد بن أبي الجواري . إلا أن الأخير توفي أثناء حصار قصريانه ، واختار الجند زهير بن الغوث خلفا له . وقام ثودط بهجوم مضاد مباغت أودى بحياة ألفٍ من المسلمين ، وتولى زمام المبادرة وحاصر المحاصرين الذين تكبدوا إصابات كبيرة ، ولكنهم تمكنوا من الانسحاب واللجوء إلى ميناو حيث واجهتهم مجاعة . وفي هذه الأثناء ، قامت الحامية الإسلامية في جرجنت بنهب تلك المدينة ثم أخلتْها وتوجهت صوب مازر . وهكذا فإنه لم يَبقَ في أيدي العرب في عام ٨٢٩ م ، وفي نهاية المرحلة الأولى من الحملة ، سوى ميناو ومازر الواقعتين في جانبين متقابلين من الجزيرة [٨] .

وتوفي الأمبراطور ميخائيل الثاني في سنة ٨٢٩ م وخلفه ثيوفيل (Theophilus) (حكَم ٢٩ — ٨٤٢ م) الذى أُصيب البيزنطيون في السنوات الأولى من حكمه بنكسات كبيرة في صقلية . وفي سنة ٨٣٠ م وصلت إلى العرب في الجزيرة تعزيزات بعث بها الأمير زيادة الله. وفي نفس السنة، نزلتْ في صقلية جماعة من الأندلسيين في مراكب كثيرة وعلى رأسهم أصبغ بن وكيل [الهوارى] . وإذذاك كان ما تبقى من القوة الإسلامية الأولى يعاني ضيقاً شديداً إذ إن البطريق ثودط كان يحاصر ميناو منذ قرابة عام . وقد انضم الأندلسيون إلى جيش الأغالبة على أن يُقبل أصبغ قائداً للحملة . وكان مجموع قوة الأسطولين العربيين حوالي ٣٠٠ مركب ، وأما الجند ، فكان عددهم يتراوح ما بين ٢٠,٠٠٠ و ٣٠,٠٠٠ رجل . وبعد أن توفَّرت الخيل لأصبغ ، سار لنجدة العرب في ميناو ، وقُتل ثودط ، واحتمى الجيش البيزنطي في

معقل قصريانه . وبعد نهب مدينة ميناو وحرقها ، وصل أصبغ إلى مدينة يسمّيها المؤرخون العرب غلوالية التي حُدِّدت بمدينة قالُونيانة (Calloniana) . وفي هذه المرحلة ، تفشّى وباء الطاعون في الجيش العربي ، وتوفي أصبغ ورفع الحصار المضروب على المدينة . وقام البيزنطيون بهجوم مضاد تكبَّد بسببه العرب الأندلسيون خسائر كبيرة ، إلا أنهم وصلوا إلى مراكبهم ، وعاد معظمهم إلى الأندلس . وبقي بعض الأندلسيين في صقلية وانضموا إلى القوة الأغلبية في حصارها لمدينة بلرم (Palermo) [٩] .

إن الهزيمة التي مُنيت بها القوة الأندلسية ومبارحتها للجزيرة لم تُضعضعا الروح المعنوية للجيش الأغلبي الذي كان قد تقدم من مازر في أغسطس ٨٣٠ م لمحاصرة مدينة بلرم . وبعد حصار للمدينة دام عاماً ، استسلم والى المدينة البيزنطي في ٣٠ رجب سنة ٢١٦ هـ/١٢ سبتمبر ٨٣١ م . وكان موطيء القدم العربي في صقلية قد اتسع لذلك الآن فأصبح منطقة شاسعة عاصمتها بلرم ، وأصبح العرب الآن في مركز حسن يمكِّنهم من المضيِّ في افتتاح بقية الجزيرة . وانقضت ستتان قبل أن يقوم العرب بأي هجوم كبير ضد الممتلكات البيزنطية المتبقية [١٠] . وعند استيلاء العرب على بلرم ، كان مقر البطريق والإدارة البيزنطية في صقلية قد تم نقلها من سرقوسة إلى معقل قصر يانه المنيع [١١] .

وفي سنة ٨٣٢ م ، وبعد خمسة شهور من فتح بلرم ، ولّى زيادة الله على صقلية ابنَ عمه أبا فهر محمد بن عبد الله . ولعل هذه التولية لأمير أغلبي كان مبعثها اعتبارين ، أولهما الحيلولة دون وقوع أية محاولة من جانب المغامرين الأندلسيين العرب ، الذين كانوا قد وفدوا مع أصبغ ، لضم الجزيرة للأندلس الأموية أو لإقامة إمارة مستقلة كما حدث في جزيرة كريت (إقريطش) . وأما الاعتبار الثاني فقد يكون الرغبة في تعزيز ارتباط صقلية بإفريقية الأغلبية . على أن العنصر الأندلسي في صقلية اندمج بالعنصر الإفريقي [١٢] ، وحتى بعد تولية أبي فهر ظلّت تبعية صقلية العربية للأغالبة تبعية اسمية ، وأديرت شؤون الجزيرة بقدر كبير من الاستقلال الذاتي . إلا أن العُملة التي ضُربت في صقلية في سنة ٨٣٥ م كانت تحمل اسم الأمير الأغلبي زيادة الله [١٣] .

وفي سنة ٨٣٤ م ، قاد أبو فهر حملة ضد قصريانه وأوقع خسائر في القوة

البيزنطية التي اعتصمت في المعقل . وفي سنة ٨٣٥ م ، قام بغزوتين أخريين ضد الأراضي البيزنطية سبي في ثانيتها سبياً كثيرا ، كما وقع في يدة ابن البطريق البيزنطي . وسيَّر سريةً بقيادة محمد بن سالم ضد طبرمين (Taormina) ، إلا أن بعض عسكره عدَوْا عليه فقتلوة ولحقوا بالروم (١٤) .

فأرسل زيادة الله من إفريقية الفضل بن يعقوب عوضا عنه ، فسار في سرية إلى ناحية سرقوسة ، فأصابوا غنائم كثيرة ، ثم سيَّر سريةً إلى ناحية قصريانة . وبعد بضعة شهور ، سيَّر زيادة الله من إفريقية أبا الأغلب إبراهيم بن عبد الله أميراً عليها ، وهو شقيق أبي فهر . وكان إبراهيم رجلاً سديد الرأي ثاقب البصيرة السياسية ، فأدرك أن في مقدمة المشاكل الرئيسية الخاصة بالإمدادات لمواصلة افتتاح صقلية تجهيزَ أسطول ، يضم وحدات مزوَّدة بالقذائف الحارقة ، يستطيع الصمود في وجه الأسطول البيزنطي . وغزا الأسطول الجديد الساحل الذي كان بحوزة البيزنطيين وظفر بالعديد من الأسرى ، ونزل رجال إحدى الوحدات الأخرى من الأسطول إلى البر في جزيرة قوّصرة (Pantellaria) (١٥) .

وفي هذه الأثناء قامت القوات البرية بغزوتين في ناحية جبل النار (جبل إتنة) في سنة ٥ — ٨٣٦ م ، فغنموا غنائم عظيمة حتى بيع الرقيق بأبخس الأثمان (١٦) . وفي نفس السنة ، سيَّر أبو الأغلب أيضا سرية إلى معقل قسطلياسة (Castellucio) فغنموا ، ولقيهم الروم فكانت بينهم حرب استظهر فيها الروم . وفي نفس الوقت تقريبا ، غزت وحدة تابعة للأسطول بقيادة الفضل بن يعقوب الجزائر الأيولية واستولت على بعض الحصون بما فيها دنداره (Tindaro) . وفى سنة ٨٣٧ م سيَّر أبو الأغلب عسكراً إلى قصريانه عليهم عبد السلام بن عبد الوهاب . وقد دخل العرب المعقل وأصابوا غنائم كثيرة إلا أنهم لم يستطيعوا الاستيلاء على القصبة . وعُقدت هدنة بارحتْ على أثرها الحملة العربية المعقل وعادت إلى بلرم (١٧) .

وفي سنة ٨٣٧ م ولَّى ثيوفيل على صقلية البيزنطية صهرَه الأرمني الكسيس موسيل (Alexis Mousélé) ، إلا أنه لم يلبث أن اتُّهم بالخيانة وبالتواطؤ مع العرب ، فاستدعي إلى القسطنطينية (١٨) . وفي سنة ٨٣٨ م ، حاصر العرب معقل جفلوذي (Cefalu) الذى يقع على مسافة ثمانية وأربعين ميلا شرقي بلرم ، ثم رُفع الحصار بعد وصول تعزيزات بيزنطية إلى المعقل .

وفي ١١ جمادى الثانية سنة ٢٢٣ هـ/١١ يونيو ٨٣٨ م توفي الأمير الأغلبي زيادة الله ، فخلفه في الإمارة أخوه أبو عقال الأغلب بن إبراهيم (حكم ٨٣٨ — ٨٤١ م) . ووصلت إلى صقلية تعزيزات جديدة من إفريقية . وفي عام ٨٤٠ م استسلم للعرب حصن ابلاطنو (Platani) وقلعة البلوطة (Caltabellotta) وحصن قرليون (Corleone) ولعل مدينتي مارينيو (Marineo) وجاراش (Geraci) استسلمتا لهم أيضا . وفي سنة ٨٤٠ — ٨٤١ م ، تعرَّضتْ ناحية معقل قصريانه لغزوة عَربية . وفي نهاية حكم الأمبراطور ثيوفيل (ت . ٨٤٢ م) كان عرب صقلية قد احتلوا إقليم مازر احتلالا تاما ، وعقدوا تحالفاً مع نابل (نابولي) دام نصف قرن تقريبا [١٩] . وفي سنة ٢ — ٨٤٣ م ، نقل العرب نشاطهم الحربي إلى شرق الجزيرة ، وبمساعدة نابولي احتلوا مدينة مسينة . وباستيلاء العرب على المدينة أصبحوا يسيطرون على مجاز مسينة ، ولما كانوا يسيطرون على البحر بين صقلية وإفريقية فإنه أصبح في مقدورهم الحيلولة دون دخول الأسطول البيزنطي إلى غربي البحر المتوسط [٢٠] . وفي سنة ٨٤٥ م ، زادت القوات العربية من ضغطها على إقليم نوطس واحتلَّتْ مودقة (Modica) . وفي سنة ٦ — ٨٤٧ م ، احتل الفضل ابن جعفر الهمداني ، فاتح مسينة ، مدينة لنتيني (Lentini) [٢١] . وفي سنة ٨٤٥ م حاولت الأمبراطورة ثيودورة (Theodora) ، بعد إبرامها صلحاً مع العرب في المشرق ، تحسين الوضع البيزنطي في صقلية ، فأرسلت تعزيزات إلى لواء كارسيانون (Charsianon) النائي ، إلا أن هذه التعزيزات هُزمت على أيدي العرب بالقرب من بثيرة (Butera) وتكبدت خسائر فادحة [٢٢] . وفي سنة ٧ — ٨٤٨ م ، قام الروم بمحاولة باءت بالفشل لإنزال قوات في منديله (Mondello) على بعد ثمانية أميال من بلرم . وفي سنة ٨٤٨ م كانت المجاعة الشديدة في صقلية ، ولعله نتيجة لها استسلمت للعرب مدينة رغوس (Ragusa) في جنوب شرقي الجزيرة على شروط مُذلَّة . فقد تخلَّى السكان عن جميع أموالهم للظافرين الذين قاموا بدك أسوار المدينة عند انسحابهم [٢٣] . وفي سنة ٨٤٩ — ٨٥٠ ، نفذ العرب إلى داخل معقل قصريانه ، دون القصبة ، ثم عادوا إلى بلرم بعد أن أشعلوا النار في المعقل [٢٤] .

توفي أبو الأغلب في ١٠ رجب سنة ٢٣٦ هـ/١٧ يناير ٨٥١ م بعد ولاية دامت ست عشرة سنة . وقد كان من أكثر الولاة المسلمين في صقلية كفاءة ، ومع ذلك

فإنه لم يبرحْ بلرم قط على رأس جيش . وقد حظي بقائدَيْن وفيَّين قادرَيْن واصل أكفأهما الفضل بن جعفر حرب الافتتاح ، واحتل كل إقليم مازر كما أحرز تقدما كبيراً في بقية الجزيرة ، بحيث لم تستشعر الأمان سوى تلك المدن المسيحية في الجزيرة التي قبلتْ دفع الجزية للمسلمين [٢٥] .

وبعد وفاة أبي الأغلب ، ولي صقلية من بعده العباس بن الفضل ، وهو رجل عنيف اشتهر قائداً عسكريا . وقد ولاَّه عرب صقلية أمرهم وأقرَّه على الولاية الأمير الأغلبي محمد الأول (حكَم ٨٤١ — ٨٥٦ م) . وفي سنة ٨٥٢ م ، غزا العباس قلعة أبي ثور (Caltavuturo) في الطرف الشمالي من الجزيرة ، وسبى سبيا كثيرا . وتلتْ هذه الغزوةَ غزوات في نواحي مدن هامة أخرى ، بما فيها قطانية (Catania) وسرقوسة ونوطس . وفي سنة ٨٥٣ م حاصر مدينة بثيرة لمدة خمسة شهور ، وظفر بعدد كبير من الأسرى الذين جرى استرقاقهم . وكان رقيق الحرب هؤلاء يستخدمون في الأعمال الزراعية في إقليم مازر . وخلال عام ٧ — ٨٥٨ م ، غزا العرب ثانية نواحي سرقوسة وطبرمين وغيرهما من المدن البيزنطية . وفي سنة ٨٥٨ م ، استسلم للعرب حصن جفلوذي (Cefalu) وسُمح لأهله بمبارحته ودُمِّرت تحصيناتة . وفي رمضان سنة ٢٤٤ هـ/يناير ٨٥٨ م ، احتل العباس أخيرا معقل قصريانه الحصين ، وبه دار المُلك بصقلية . وقد أصيبت غنائمُ كثيرة ، وسُبي أبناء وبنات النبلاء البيزنطيين ، وأمر العباس ببناء مسجد في المعقل . وقد أُرسل بعض السبي والغنائم إلى إفريقية ومنها إلى بلاط الخليفة العباسي المتوكل على الله (حكَم ٨٤٧ — ٨٦١ م) في بغداد [٢٦] .

وقد حفز سقوطُ قصريانه الأمبراطور ميخائيل الثاني إلى إرسال أسطول قوي من ثلاثمائة شلندي بقيادة قسطنطين قوندوميتس (Constantine Kondomytes) وصل سرقوسة في خريف سنة ٨٦٩ م . ولدى وصول الأسطول البيزنطي ، ثارت على العرب عدة معاقل منها أبلا (Avola) وأبلاطنو (Platani) وقلعة البلوطة (Caltabellotta) وقلعة أبي ثور (Caltavuturo) التي كانت قد استسلمت للعرب من قبل . وفي اشتباك بحري أوقع العرب هزيمة فادحة بالبيزنطيين الذين فقدوا مائة شلندي . ثم تقدم العباس ضد الجيش المشترك للمعاقل التي ثارت وهزمه قرب جفلوذي . وصرف انتباهه إلى إسكان المسلمين قصريانه وإلى تعزيز تحصينات المعقل ، وفي طريقه عائداً من غزوة ناجحة في ناحية سرقوسة ، اعتلَّ العباس وتوفي

ودُفن في قلعة الجنون (Caltagirone) . ولما غادر الجيش العربي المكان ، بادر الروم إلى نبش قبره وإحراق جثته [٢٧] . وقد كان العباس بن الفضل من ألمع ولاة الجزيرة العرب .

وولّى عرب صقلية أمرهم عمّه أحمد بن يعقوب ، وأقرَّ هذه التوليةَ الأمير أحمد بن محمد ، إلا أن عرب صقلية عزلوا واليهم الجديد بعد بضعة شهور من تنصيبه ، واختاروا عوضاً عنه عبدَ الله وهو ابن العباس بن الفضل . ولم يوافق الأمير الأغلبي على هذه التولية ، وولّى بدوْره خفاجة بن سفيان أميراً على الجزيرة [٢٨] ، ووصل الأمير الجديد إلى بلرم في سنة ٨٦٢ م . وفي نفس السنة غزا محمود ابن الوالي خفاجة ناحية سرقوسة. إلاَّ أنه صُدَّ وعاد إلى بلرم. وفي سنة ٨٦٣ م خلف زيادة الله الثاني أخاه أحمد أميراً على إفريقية وثبَّت خفاجة في ولايته على صقلية .

وفي سنة ٨٦٤ م ، فتح العرب مدينة نوطس (Noto) الهامة والغنية ، ثم معقل شكلة (Scicli) الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من الجزيرة . وفي سنة ٨٦٥ م سارت حملة عربية إلى سرقوسة ذاتها ، إلا أن محمد بن خفاجة وقع في كمين نصبه له البيزنطيون ، وفقدَ ألفاً من رجاله [٢٩] . وفي العام التالي قاد حملة ثانية ضد سرقوسة دون أن يحرز نجاحا ، فيما عدا احتلاله لبلدة طروانة (Troina) . وبالقرب من جبل النار (إتنة) ، اجتمع به وفد من مدينة طبرمين لإجراء محادثات صلح ، فأرسل الأمير زوجته وابنه محمداً للتفاوض بشأن إبرام معاهدة مع أهل تلك المدينة ، إلا أن المعاهدة التي أُبرمت لم تلبثْ أن نُقضتْ وَكلَّف خفاجة ابنه محمدا بتأديب طبرمين [٣٠] . كما ثارت نوطس على العرب، فاحْتُلَّت من جديد. وكذلك أُجبرت رغوس (Ragusa) على الاستسلام ثانية على معاهدةٍ تُرِكَ بموجبها جانب من السكان أحراراً ينعمون بممتلكاتهم ، في حين سُبِيَ الذين قاوموا العرب وغُنِمت ممتلكاتهم ومواشيهم [٣١] . وفي سنة ٨٦٧ م ، غزا خفاجة نواحي قطانية وسرقوسة . وقد عمَّ نشاط القوات العربية الآن سائر أرجاء صقلية [٣٢] .

وفي سنة ٨٦٨ م ، أرسل الأمبراطور باسيل (Basileus) قوة بحرية كبيرة لمواقعة المسلمين في صقلية . وأوقع محمد بن خفاجة هزيمةً ساحقة بالبيزنطيين قرب سرقوسة ، إلا أنه لم يتمكن من الاستيلاء على المدينة . كما أنه لم يتمكن من استرداد طبرمين في سنة ٨٦٩ م . وفي نفس السنة ، حاصر خفاجة سرقوسة ثانية دون نجاح . وفي طريق

العودة إلى بلرم ، اغتال خفاجةَ رجل من عسكره ، وولّى الناس عليهم ابنَه محمداً وأقرَّه على الولاية الأمير الأغلبي محمد بن أحمد .

وفي سنة ٨٦٩ م ، احتلّتْ جزيرةَ مالطة قوةٌ عربية من إفريقية ، عليها أمير أغلبي هو أحمد بن عمر . وأخفق هجوم بيزنطي مضاد لاسترداد تلك الجزيرة ، بفضل وصول تعزيزات بعث بها من صقلية محمد بن خفاجة (٣٣) . وقد قُتل محمد بن خفاجة على أيدي خدمه الخصيان في سنة ٨٧١ م ، واختار أعيان عرب صقلية محمد بن أبي الحسين خلفاً له ، إلا أن هذا الاختيار رفضه الأمير الأغلبي أبو الغرانيق محمد الثاني (حَكَم ٨٦٣ ـ ٨٧٥ م) الذى استعمل رباح بن يعقوب على الجزيرة . إلا أن الوالي الجديد توفي في نفس السنة ، وفي عام ٨٧٣ م ولّى أبو الغرانيق على الجزيرة أحد أقربائه أبا العباس بن عبد الله ، وهو رجل مثقّف متضلّع في الأدب وشاعر ومحدِّث (٣٤) . وخلفه في نفس السنة أمير أغلبي آخر هو أبو مالك أحمد .

ولما ولي الإمارة في القيروان الأمير الأغلبي الرهيب إبراهيم الثاني بن أحمد (حَكَم ٨٧٥–٩٠٢ م) خلفاً لأخيه أبي الغرانيق ، استعمل على صقلية جعفر بن محمد الذى غزا نواحي رمطة وطبرمين وقطانية ، وأفسد زرعها ، وحاصر سرقوسة . وفي خلال نصف القرن الذى انقضى بين أول حصار لسرقوسة على يد أسد بن الفرات في سنة ٨٢٧ م وهذا الحصار على يد جعفر في سنة ٨٧٧ م ، كان سكان سرقوسة قد تناقص عددهم كثيراً نتيجة للحرب والأوبئة والهجرة إلى ممتلكاتٍ بيزنطيةٍ أكثرَ أمنا (٣٥) . وفي هذا الحصار ، اشتدت الفاقة بأهل سرقوسة ، حتى إنهم اضطروا إلى أكل لحوم الموتى من البشر . وقد أرسل الأمبراطور باسيل تعزيزات بقيادة مقدَّم الأسطول أدريان ، واضُطرَّ جعفر لفترة من الزمن إلى رفع الحصار عن المدينة والعودة إلى بلرم . واستؤنف الحصار العربي في ربيع سنة ٨٧٨ م ، بقيادة أبي عيسى محمد بن قرهب ، بمزيد من النشاط . وأخيراً تم للعرب فتح سرقوسة في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ/٢١ مايو ٨٧٨ م . وقد ترك لنا الراهب تودط (Theodosius) وصفاً حياً لسقوط هذه المدينة الأزلية ، والمذبحة التي تعرَّض لها سكانها ونهب الأموال وتدمير التحصينات وحرق أحياء المدينة (٣٦) .

وفي نفس السنة ، وبُعَيْد فتح سرقوسة ، قُتل جعفر بن محمد نتيجةً لمؤامرة في القصر دبَّرها أميران أغلبيان . وقام خلفه الحسين بن رباح بغزوة لم تنجح ضد طبرمين

في سنة ٨٧٩ م . وخلفه الحسن بن العباس الذى أبدى نشاطاً في سنة ٨٨١ م في اكتساح ما تبقي من أراضٍ للروم في صقلية ، فبعث السرايا إلى كل ناحية ، وخرج إلى قطانية ثم إلى طبرمين وأفسد زرعها [٣٧] . وخلال عامي ٨٨١ و ٨٨٢ م ، أحرز المسلمون عدة انتصارات ، إلا أنهم مُنوا بهزيمة فادحة على أيدي الروم بالقرب من قلعة أبي ثور (Caltavuturo) [٣٨] . وعلى أثر هذه الهزيمة ، استُبدل الحسن بن العباس بمحمد بن الفضل الذي بث السرايا في كل ناحية من صقلية كانت في حوزة الروم . وتكبّدت نواحي قطانية وطبرمين ورمطة وطأة هذه الغزوات خلال سنتي ٨٨٢ و ٨٨٣ م ، إلا أنها لم تستسلم . وفي سنة ٨٨٥ م سار الوالي الجديد سوادة بن محمد بن خفاجة التميمي في عسكر كثير إلى طبرمين ، إلا أنه لم يُوفّق في الاستيلاء عليها . وفي سنة ٦ ـــ ٨٨٧ م نشبت فتنة بين المسلمين في صقلية ، وأرسل الثائرون سوادة إلى إفريقية وولّوا أبا العباس بن علي على أنفسهم ، إلا أن الأمير إبراهيم الثاني أرسل سوادة ومعه قوة كبيرة لإخضاع الثائرين في الجزيرة ، ونجح في ذلك . وفي سنة ٨٩ ـــ ٨٩٠ م كانت غزوة ثانية لسوادة إلى طبرمين فحاصرها دون جدوى. إلا أن الأمور لم تسِرْ سيراً حسناً في معسكر المسلمين . فقد ثار المسلمون من أصل صقلّيٍ على الوالي والجند الذين كانوا قد قدموا حديثا من إفريقية ، ودامت ثورتهم من سنة ٨٨٩ إلى سنة ٨٩٤ م . وفي سنة ٨٩١ م ، استُدعي سوادة وُولّي على صقلية محمد بن الفضل ثانية للسيطرة على الوضع في الجزيرة . وفي الفترة ما بين سنتي ٨٩٢ و ٨٩٦ م ، لم يستطع العرب في صقلية إحراز تقدم يذكر في الأراضي التي كانت ما تزال في حوزة البيزنطيين . وفي سنة ٨٩٨ م ، حدثت فتنة بين المسلمين في صقلية .

وولّى الأمير إبراهيم الثاني أحمدَ بن عمر الأغلبي القيادة في صقلية ، إلا أن الفتنة استمرت طوال سنة ٨٩٩ م . ولما لم يستطع أحمد السيطرة على الوضع ، أرسل الأمير إبراهيم الثاني ابنَه عبد الله ، الذى كان قد اشتهر لقمعه الثورات في إفريقية ، على رأس قوة كبيرة لإعادة النظام في الجزيرة [٣٩] . وقد استغلّ هذه المنازعاتِ الداخليةَ في صقلية العربية السكانُ المحليون النصارى في إقليم دمنش ، وأعلن بعضهم الاستقلال . وفي هذه الأثناء كان الروم قد أرسلوا تعزيزات إلى طبرمين وريو (Reggio) . وشنّ عبد الله بن إبراهيم هجوماً مضاداً على ريو عبر مجاز مسينة في يونيو سنة ٩٠١ م ، ونقل الحرب إلى البر الإيطالى (الأرض الكبيرة) [٤٠] .

وفي سنة ٩٠٢ م اعتزل الإمارةَ في إفريقية إبراهيمُ الثاني الذى يشكُّ بعض المؤرخين في سلامة قواه العقلية [٤١] وخلفه ابنه عبد الله الثاني ، وحلَّ الأب محلَ الابن في إمرة صقلية لكى يتولَّى شخصيا الجهاد ضد النصارى . وأثناء الحصار الشديد الذى ضربه إبراهيم على طبرمين ، وهو الحصار الذى أدى إلى فتحها ، أفلتتْ عن طريق البحر الحاميةُ البيزنطيةُ بعد أن فقدتْ كل أمل في الصمود . وقد اتهم بعضُ المؤرخين البيزنطيين القادةَ العسكريين البيزنطيين ، بما فيهم مقدَّم الأسطول يوستاثيوس ارجيروس(Eustathios Argyros)بالإهمال المجرم ، وحتى بالخيانة المطلقة ، مع أن يوستاثيوس لم يلبث أن أعُيد إلى الحظوة من قبل الأمبراطور ليو الرابع [٤٢] . وبعد الاستيلاء على طبرمين ، أمر إبراهيم بالفتك بأهلها وبإحراق المدينة [٤٣] . ثم انتقل إبراهيم إلى إخضاع بقية إقليم دمنش ، فأرسل حملاتٍ مختلفةً بقيادة أقاربه وغيرهم من القادة استولتْ على ميقه (Mico) وأكي (Aci) ورمطة . وقام هو نفسه بعبور مجاز مسينة للغزو في مقاطعة قلورية (Calabria) ، وتوفي محاصراً لمدينة كُسَنْتة (Cosenza) في سنة ٩٠٢ م . وقد ابتهج النصارى لموته ، واعتبروه رحمة إلهية [٤٤] .

وما أن حلَّ عام ٩٠٢ م حتى كانت صقلية بأسرها في قبضة المسلمين . وهكذا فإن افتتاح المسلمين للجزيرة استغرق قرابة ثلاثة أرباع القرن .

وفي عهد الأغالبة كان اتجاه الفتح العربي للجزيرة من الغرب إلى الشرق ، من مازر وبلرم شرقا . وقد كانت الحرب سجالاً لمدة أربع سنوات حتى عام ٨٣١ م . وخلال السنوات العشر التالية ، أى من سنة ٨٣١ إلى سنة ٨٤١ م ، شدَّد العرب من قبضتهم على إقليم مازر ، حيث أقاموا مستوطناتهم الأولى ونقلوا الرقيق للعمل في مزارعهم . وخلال السنوات الثماني عشرة التالية ، أى من سنة ٨٤١ إلى سنة ٨٥٩ م ، ضاعف العرب من مجهودهم لإخضاع إقليم نوطس الخصيب . وبعد سنة ٨٦٠ م ، جدُّوا في المرحلة الأخيرة لافتتاح إقليم دمنش الذى نجحوا آخر الأمر في احتلاله عام ٩٠٢ م [٤٥] .

ونتيجة للإعياء الذى خلَّفته الفتنُ الداخليةُ في الثمانينات من القرن التاسع الميلادى ، فإن صقلية العربية ظلَّت هادئةً خلال السنوات السبع الأخيرة من حكم الأغالبة ، أى من سنة ٩٠٣ إلى سنة ٩٠٩ م ، وتعاقب خلال هذه الفترة على

الحكم خمسةُ ولاةٍ ، تعرَّض النصارى للاضطهاد على يد آخرهم أحمد بن أبي الحسين (٤٦) .

ولما كان لا يفصل صقلية عن جنوب إيطاليا سوى مجاز مسينة الضيِّق ، لذا كان من الطبيعي أن ينفذ رأس حربة الهجوم العربي إلى الولايات الجنوبية من شبه الجزيرة الإيطالية عدة مرات في فترة حكم الأغالبة . ومن المناسب في هذا المقام دراسة النشاط الحربي العربي فوق البر الإيطالي بشئ من التفصيل . فبعد أن افتتح العرب ثلث جزيرة صقلية تقريبا ، تحالفت معهم جمهورية نابولى (نابل) ضد اللمبارد في مدينة بنفنت (Benevento) (٨٣٩-٢ م) . وكان هذا أولَ لقاءٍ بين اللمبارد والعرب فوق البر الإيطالي . وبعد التحالف مع نابولى ، غزا العربُ الساحل الأدرياتيكي من إيطاليا ، واحتلوا مؤقتا مدينة برنديزى في سنة ٨٣٨ م وهزموا أسطول البندقية وتقدموا بمحاذاة ساحليْ إيطاليا على البحرين الأدرياتيكي والتيراني (٤٧) .

وفي سنة ٨٤٠ م قام عرب صقلية بغزوة أخرى في البحر الأدرياتيكي في منطقة إستريا (Istria) . وعاثوا بمدينة أُسيرُه في جزيرة كيرسه (Cherso) وأحرقوا المدينة . واستنجد الأمبراطور ثيوفيل بالبنادقة فأرسلوا أسطولاً من ستين مركبا لنجدة طارنت (Taranto) ، ولكن العرب باغتوا هذا الأسطول وهزموه وأحرزوا مزيداً من التقدم في البحر الأدرياتيكي حتى مدينة أنكونا التي عاثوا فيها وأحرقوها . ووصل العرب أخيراً إلى مصب نهر البو قرب أدْرية ، إلا أنهم لم يستطيعوا مواصلة التقدم . وفي طريق العودة ، أوقعوا خسائر أخرى بفلول أسطول البندقية ، وعزَّزوا مواقعهم في طارنت (٤٨) .

وباستيلاء العرب على طارنت ، أصبح البحر الأدرياتيكي أكثر عرضة لغزوات الأساطيل العربية . وفي سنة ٨٤١ م ، استنجد بالعرب راديلكيس (Radelchis) ، الحاكم الشرعي لمدينة بنفنت (Benevento) ، ضد خصمه سيكينولف (Sikenolf) عن طريق باندون (Pandon) حاكم مدينة باره (Bari) . وسرعان ما استجاب العرب واستولوا على باره . واستنجد سيكينولف بعرب جزيرة كريت (إقريطش) ضد إخوانهم في الدين في صقلية ، وضد راديلكيس دون جدوى (٤٩) .

وقد انتعشت القوة البحرية البيزنطية في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادى في عهد الأسرة المقدونية وتمكّن البيزنطيون من استعادة بعض الممتلكات التي فقدوها في جنوب إيطاليا . وفي الفترة ما بين سنتي ٨٤١ و٨٦٦ م ، لم يقُم العربُ بتوغلٍ يُذكر في منطقة البحر الأدرياتيكى ، مع أنهم ظلوا محتفظين بكلٍ من مدينتىْ باره وبرنديزى . وقامت الحكومة البيزنطية بتوطين المَرَدة (الجراجمة) المولعين بالقتال في لوائي كيفالينيا (Cephallenia) وديراقيوم (Dyrrhachium) للحدّ من خطر القواعد العربية في جنوب إيطاليا [٥٠] إلا أن ذلك لم يحُلْ دون استمرار النشاط الحربي العربي في ساحات الحرب الإيطالية الأخرى . وفي سنة ٨٤٥ م ، حدث خلاف بين العرب وحلفائهم النابوليين بشأن جزيرة بونزه (Ponza) والموقع الساحلي المحصَّن العربي في الطرف الجنوبي من خليج سالرنه (Salerno) . وتمّ إبعادُ العرب عن مواقعهم حينما تلقّى النابوليون مساعدة من عناصر أُرسلتْ من ملف (Amalfi) وجايتا (Gaeta) وسُرنت (Sorrento) . وقام العرب بهجوم مضاد واحتلوا ميسينه (Miseno) [٥١] .

وفي سنة ٨٤٦ م ، ظهر العرب عند مصب نهر التيبر ، واقتربوا من رومة . ومع أن الباباوات الأوائل كانوا قد توقعوا الخطر العربي ، وقام البابا جريجورى الرابع (٨٢٧-٨٤٤ م) بتحصين مصب نهر التيبر وبني حصنا في أُستيا (Ostia) ، فإن الأسطول العربي تمكّن من شقِّ طريقه مخلِّفا أُستيا وراءه ، وزحفت قوة عربية في اتجاه تشيفيتافيكيا (Civitavecchia) بينما هزمتْ قوة أخرى الحاميةَ التابعة للبابا في نوفا أُستيا (Nova Ostia) . ولم تكُنْ هذِه حملة كبرى أو حتى مخطَّطا لها ، بل كانت غارة جريئة على نطاق واسع ، اجتذبها ما كان لثراء المدينة المقدسة من صيت . وقد عيث بكنيسة القديس بطرس الكبرى وأصيبت ببعض الأضرار ، مما أثار الأسى بين كافة النصارى [٥٢] . إلا أنه يبدو أن العرب إما أنهم لم يحاولوا جدياً الاستيلاء على رومة ، وَإما أن أهل رومة نجحوا في الدفاع عن أنفسهم ، إذ إن العرب تحوّلوا جنوباً صوب بنفنت وعاثوا بمدينة فوندى (Fondi) وحاصروا مدينة جايتا (Gaeta) . ووصل لويس (الأمبراطور فيما بعد) إلى جنوب إيطاليا لمحاربة العرب وانضم إليه سيزارى (Cesare) ابن القنصل في نابولى . وقد هزم العرب لويس وعقدوا صلحا مع سيزارى ، إلا أنه في طريق العودة ، هبّتْ عاصفة شديدة بدّدتْ أسطولهم ودمرته . ووقع عدد كبير من العرب في الأسر ، وأُتي بهم إلى رومة وسُخِّروا للعمل على تشييد تحصينات مدينة

الفاتيكان [٥٣] . وقبل منتصف القرن التاسع الميلادى ، كانت جميع سواحل إيطاليا الجنوبية من سيبونتو (Siponto) في الشرق إلى مصب نهر التيبر في الغرب قد تعرّضت لغزوات جماعات من العرب كانت تتجمّع من نقاط مختلفة في حوض البحر المتوسط . وقد أدّتْ هذه الغزوات إلى إقامة مواقع ثابتة على السواحل اتخُذت مراكز للغزو البحرى [٥٤] .

وبالرغم من الجهود التي بذلها إمبراطور الفرنجة لويس الثاني وأمراء اللمبارد فإن بولية (Apulia) بقيت تحت الاحتلال العربي من سنة ٨٤٩ إلى سنة ٨٦٦ م . وكان هذا الاحتلال يقوم على محور طارنت باره . وفي باره أعلن مفرج بن سلاّم استقلاله واحتل ثمانية وأربعين حصنا في مقاطعة بولية ، وشن غزوات على أراضي نابولى [٥٥] . وفي سنة ١ — ٨٥٢ م ، عاث العرب في مقاطعة قلّورية (Calabria) وهدّدوا مدينتيْ بنفنت وسالرنه . وباء بالفشل الحصار الأول الذى ضربه لويس الثاني على مدينة باره . وفي سنة ٨٥٨ م غزا عرب باره أراضي بنفنت ثانية وهزموا جيشا للفرنجة قدم لنصرة تلك المدينة . وتوغل العرب في مقاطعة كامبانيا (Campagna) ودمروا ضواحى نابولي ، واحتلوا فينافرو (Venafro) ووادى فولتورنو (Volturno) . وفي سنة ٨٥٩ م أُجبر أديلكيس (Adelchis) صاحب بنفنت على دفع جزية للعرب . وفي سنة ٨٦٦ م قام لويس الثاني بمحاولة أخرى لمعالجة أمر العرب في باره ، ومع أنه احتل متيرة (Matera) وفينوسا (Venosa) وكنوسا (Canosa) ، إلا أنه أخفق ثانية في محاولة الاستيلاء على باره [٥٦] .

وفي أواخر أيام حكم الأمبراطور البيزنطى ميخائيل الثالث ، أقلع العرب في مراكبهم في البحر الأدرياتيكى في سنة ٨٦٦ م وحاصروا مدينة رغوس (Ragusa) على ساحل دلماشيا لمدة خمسة عشر شهراً ، وأنقذ المدينةَ من هذا الحصار أسطولٌ تحت إمرة نيكيتاس أُريفاس (Nicetas Oryphas) . وأبرم الأمبراطور البيزنطى باسيل الثاني معاهدة تحالف مع لويس الثاني الذى كان يسعى جاهدا لإخراج العرب من مقاطعة بولية ، وأرسل الأمبراطور في سنة ٨٦٩ م أسطولا من أربعمائة مركب لمساعدته [٥٧] . إلا أن الحصار الذى ضربه لويس حول باره في تلك السنة باء بالفشل للمرة الثانية ، وقام « سلطان » باره بغزو مقاطعة بولية حتّى جرجانو (Gargano) . وفي سنة ٨٧١ م ، نجح لويس في احتلال باره ، فحرم بذلك العرب من تلك القاعدة القوية في البر الايطالى [٥٨] .

وكان الأمير الأغلبي أبو الغرانيق قد ولّى أحمدَ بن يعقوب على صقلية ، وولّى أخاه عبد الله بن يعقوب على الممتلكات الإسلامية في جنوب إيطاليا . ولما نزل عبد الله في طارنت في سنة ٨٧١ م ، أرسل السرايا للغزو في عدة جهات . وقام هو نفسه بمحاصرة سالرنه ، إلا أنه توفي أثناء العمليات . وتواصل الحصار بعض الوقت بعد وفاته ، ولم يُرفع إلا في سنة ٨٧١ م حينما اضطُرّتْ القوات العربية إلى الانسحاب إلى مقاطعة قلورية . أما اللمبارد الذين كانوا قد أسروا لويس الثاني ، فإنهم أطلقوا سراحه أمام الخطر العربي [٥٩] . ومع أن لويس الثاني بارح جنوب إيطاليا وتوفي في سنة ٨٧٥ م ، فإنه بفضل هجومه المضاد حيل بين المسلمين وبين افتتاح جزء كبير من إيطاليا .

وبعد سنة ٨٧٢ م ، وجّه العرب السرايا في جهاتٍ مختلفة ، وواجههم أميرُ بنفنت أديلكيس وجنوده اللمبارد دون نجاح . وفي سنة ٨٧٥ م ، بعد وفاة لويس الثاني ، أقلع أسطول إسلامي إما من صقلية وإما من جزيرة كريت (إقريطش) في البحر الأدرياتيكي وبلغ مدينة جراده (Grado) ، وفي طريق العودة ترك بلدة كوماتشيو (Comacchio) طُعمةً للنيران . وقامت تعزيزات جديدة على رأسها عثمان أمير طارنت بغزو ناحية بنفنت واحتلّتْ مدينتيْ تليس (Telese) وأليف (Alife) في وادى فولتورنو (Volturno) واستنجد اللمبارد بالبيزنطيين ، إلا أن أديلكيس خشي التبعية للبيزنطيين ، فعقد صلحًا مع العرب ، ومع ذلك نجح البيزنطيون في احتلال باره . ويستطيع المرء أن يميِّز بين سلسلتين مختلفتين من أوجه النشاط الحربي الإسلامى في جنوب إيطاليا بعد سنة ٨٧٥ م . في خليج طارنت كان موقفهم دفاعيا ضد البيزنطيين ، أما في خلجان سالرنه ونابولى وجايتا ، فإن زمام المبادرة كان بأيدى العرب . وفي سنة ٨٧٦ م ، عاثت جماعات عربية من جديد في ناحية رومة . وفي سنة ٨٨٠ م ، استدعى أتانسيو (Atanasio) أسقفُ رومة قوة عربية لمساعدته ، ولما أدى ذلك إلى حدوث أعمال تخريب في جنوب إيطاليا ، اضطر البابا جون (يوحنا) الثامن إلى إعلان الحرمان الكنسي ضده . وكان البابا قبل ذلك قد عمل على فسخ تحالف مَلف وكابوا وسالرنه مع العرب ، كما رضخت نابولى كذلك لضغطه في سنة ٨٨١ م . وفي نفس السنة احتلّ عرب سبينو (Sepino) ، بالتحالف مع الكونت جاى أمير سبوليتو ، مدينتيْ إسرنية (Isernia) وبوجانو (Bojano) ، كما احتلوا مرة ثانية الوادى الأعلى لنهر فولتورنو (Volturno) [٦٠] .

وفي هذه الأثناء احتلت قوة بيزنطية قوية طارنت في سنة ٨٨٠ م . واسترد البيزنطيون السيادة على كل مقاطعة قلورية ، وعلى جزء من مقاطعة بولية في الفترة ما بين سنتيْ ٨٨١ و٨٨٦ م . وكان احتلال البيزنطيين من جديد لقلورية ، باستثناء وادي قراطي (Crati) ، بعد سنة ٨٨٣ م مع حملات نيقوفور فوقاس . وحارب عرب أجروبوليس (Agropolis) وجاريليانو (Garigliano) ، بمساندة نابولي ، البيزنطيين في شنت سفرينه (Santa Severina) وعاثوا بناحية جويمار (Guaimar) . واستغاث صاحب سالرنه بالبيزنطيين وقَبِلَ سيادتهم . وفي سنة ٨٨٨–٨٨٩ م ، دمَّر عربُ صقلية أسطولا بيزنطيا قرب ريُو (Reggio) ، وفر سكان المدينة فزعاً ، إلا أن مقدَّم الأسطول البيزنطي قام بهجوم مضاد ، وأسر القائد العربي مُجَبّر بن إبراهيم[٦١] .

وكما ذكرنا من قبل ، فإنّ آخر الغزوات العربية على جنوب إيطاليا أثناء حكم الأغالبة قادها الأمير الأغلبي عبد الله الذى عاث بمدينة ريُو في سنة ٩٠١ م ، ووالده الأمير السابق إبراهيم الثاني الذى توفي محاصرا لمدينة كُسَنْتَة (Cosenza) في سنة ٩٠٢ م . وفي حين أن افتتاح العرب لجزيرة صقلية تم تدريجيا ، فإن الغزوات العربية على جنوب إيطاليا واستيطان العرب هناك لا يدلاّن على وجود أية خطة أو سياسة محددة للفتح الدائم ، وقد اتخَّذتْ تلك الغزوات طابع مغامرات عسكرية وبحرية إلى حد كبير .

كان سكان صقلية في عهد الأغالبة مزيجاً من كثير من الشعوب والأجناس والديانات المختلفة ، كالصقليين النصارى والمسلمين ، واليونان ، واللمبارد ، واليهود ، والعرب ، والبربر ، وكذلك بعض الفرس والسودان . وكان العرب يشكِّلون النخبة الحاكمة . ويليهم أهميةً البربر الذين كانوا قد قاموا بدور هام في افتتاح الجزيرة . وكان الكثيرون منهم يوجدون على وجه الخصوص في جرجنت (Girgenti) وبعض نواحي إقليم مازر[٦٢] .

أما النصارى الذين كانوا يشكِّلون أكثرية سكان الجزيرة ، فيمكن تقسيمهم إلى أربع فئات : فئة ظلَّتْ مستقلة إلى حد كبير ، وفئة دفعت الجزية ، وفئة التابعين الإقطاعيين (vassals) وفئة الرقيق . وأثناء استمرار المقاومة البيزنطية ، كان النصارى في المناطق المستقلة يعترفون بالسيادة البيزنطية . أما الجماعات النصرانية التي عقدت معاهدات مع الدولة العربية ، فإنها كانت تدفع لهذه الدولة الجزية أو الخراج .

وكانت معاهداتُ دفع الجزية ساريةَ المفعول لفترات ، كل فترة منها عشر سنوات . وأما الباقون من السكان النصارى الذين كانوا يقيمون في المناطق الواقعة تحت إدارة المسلمين المباشرة ، فكانوا يُعتبرون من أهل الذمة ، وكان لهم ما لأهل الذمة في بلاد المسلمين إذ ذاك من التزامات وامتيازات . وكان يتمُّ البتُّ في منازعاتهم الشخصية فيما بينهم وحسب قوانينهم ، وأما المنازعات التي يكون فيها أحد المسلمين طرفاً ، فإنها تخضع لحكم الشرع الإسلامي . وكانوا مؤمَّنين على ممتلكاتهم وحرية عبادتهم ، إلا أنه لا يجوز لهم النَّيلُ من القرآن الكريم أو النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلمّ ، أو الإسلام ، ولا يجوز لهم إهانة امرأة مسلمة أو تنصير مسلم . وأما الطبقة الرابعة من النصارى وقوامها الرقيق ، فكانت تتكوَّن من ثلاث فئات : مَنْ يؤسرون في الحرب أو أثناء الغارات ، ومَنْ يبيعهم النصارى أو المسلمون رقيقاً ، والعمال الزراعيون (٦٣) .

إن السكان النصارى في صقلية الذين عاشوا في ظل حكم المسلمين كانوا أحسن حالاً من أولئك الذين كانوا تحت حكم اللمبارد أو الفرنجة في إيطاليا . وكثيراً ما كان الرقيق النصارى يعتنقون الدين الإسلامي أملاً في الحصول على معاملة أفضل أو ليتمَّ عتقهم . وفي إقليم مازر ، حيث كان يكثر العبيد ، سار اعتناق الإسلام بخطىً سريعة . أما في إقليم نوطس ، خلال القرن من حوالى سنة ٨٥٠ إلى حوالى سنة ٩٥٠ م ، فإن النصرانية ظلَّت راسخة القدم . وأما إقليم دمنش ، فقد ظل معظم سكانه على الدين المسيحي حتى الفتح النورماني . ومع ذلك ، فقد كان المسلمون يشكِّلون نسبة مئوية كبيرة من سكان الجزيرة خلال القرنين العاشر والحادى عشر الميلاديَّين في عهد حكم الأمراء الكلبيين (٦٤) .

وفي عهد الأغالبة ، كان الوالى العربي على صقلية ، وكان يحملُ لقبَ أمير أو والٍ أو صاحب ، يتمتع بحرية كبيرة . فكان يُعلن الحربَ ويعقد الصلح بقرار منه ، وكان يتولَّى توزيعَ غنائم الحرب . والعُملات التي ضُربتْ في صقلية في المرحلة الأولى كانت تحمل اسميْ والى صقلية والأمير الأغلبي الحاكم في إفريقية ، أما العُملات التي ضُربت فيما بعد ، فكانت لا تحمل سوى أسماء الأمراء الأغالبة . وقد يدلُّ ذلك على أنه بينما كان الولاة الأوائل يضربون العُملة في صقلية ، فإن العُملات فيما بعد كانت

تُضرب في إفريقية ثم تُجلب إلى الجزيرة (٦٥). وفي خطبة الجمعة ، كان يُذكر اسم الأمير الأغلبي مع اسم الخليفة العباسي في بغداد .

وأما الدواوين ، فكانت لا تختلف عن الدواوين في البلاد الإسلامية في ذلك العصر. وفي المدن كانت توجد هيئات بلدية شبيهة بتلك القائمة في شمال إفريقيا . وكانت الهيئة البلدية تُعرف باسم (الجماعة) ، وقوامها رؤساء العائلات النبيلة والفقهاء والموسرون ووجوه أرباب الصنائع . وكانت الجماعة تساهم بالمال أو بالعمل في إنشاء وإصلاح الصهاريج والآبار والمساجد ، كما كانت تساعد المعُوزين من المسافرين (٦٦) . وكانت الضرائب التي يدفعها السكان أقلّ مما كانوا يدفعونه في عهد البيزنطيين . وقد أُلغيت الضريبة على الدواب ، وهي الضريبة التي كانت قد عرقلت الزراعة من قبل ، كما عُمل بنظامٍ لضريبة الأرض من شأنه أن يحول دون ترك الأراضي القابلة للزراعة بوراً دون استغلال (٦٧) .

وكانت ملكية الأرض في صقلية الأغلبية على أربعة أنواع . فأولاً الأرض التي يمتلكها مسلم قبل اعتناقه الإسلام إما عن طريق الإقطاع أو الفلاحة ، وثانيا الأرض التي يمتلكها غير المسلم ويدفع عنها الخراج ، وثالثا الأرض الخاضعة لدفع الخراج دوماً بصرف النظر عما إذا كان يمتلكها مسلم أو غير مسلم ، ورابعا الأرض التابعة للدولة وكانت وقفاً لا تباع . وقد أدى احتلال المسلمين إلى إحداث تغييرات عميقة في كيان وتوزيع الأراضي الريفية في صقلية . وقد أُدخل نظام الإقطاع لفائدة الجند . والأرض التي تركها النصارى أو التي أُخذت منهم آلت إلى الدولة وخُصِّصت للجند من العرب . وانقسمت جماعاتُ الجند إلى مدنيةٍ وعسكريةٍ عندما انتقلت من العاصمة واستقَّرتْ في مختلف المدن والحصون قريباً من أراضيها . ونجم عن ذلك تدريجياً كلُّ ما لنظام الإقطاع من مساوىء ، بما في ذلك إثارة المتاعب وإنزال الحيف بأهل الريف مسلميهم ونصاراهم على حدٍ سواء (٦٨) .

الفصل الثالث

صَقلِّيَّة في عهد الفاطميين الأوائل

في سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م انتهى حكم الأغالبة بعد قيام العبيديين الفاطميين عليهم في إفريقية . والفاطميون إسماعيليون شيعة ينتسبون إلى فاطمة الزهراء ابنة النبي صلّى الله عليه وسلّم وزوجها الإمام علي بن أبي طالب . وكان الداعي أبو عبد الله الشيعي قد ظفر بتأييد قبيلة كتامة من البربر ، وبمساعدتها وُلِّي أولُ خليفة فاطمي وهو عبيْدُ الله المهدى على إفريقية . وقد لجأ إلى صقلية كثير من المسلمين من أهل السُّنَّة من نخبة البلاط الأغلبي[1] .

وفي صقلية انحاز إلى الدعوة الفاطمية والٍ سابق على الجزيرة كان قد عُزل ، هو علي بن أحمد بن أبي الفوارس ، وتزعَّم الفئةَ المناصرةَ للفاطميين التي تغلَّبت على الفئة المناصرة للأغالبة واعتقلت الوالى أحمد بن أبي الحسين . وقد أقرَّ المهدى عبيْدُ الله الفاطمي عليَّ بن أحمد واليا ، إلا أنه لم يلبث أن عُزِل واستبُدل سنة ٩١٠ م بأحد رجال الفاطميين الأكثر إخلاصا هو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبي خنزير[2] . وتلا القاضي الجديد اسحاقُ بن أبي المنهال اسمَ المهدى في الخطبة في بلرم . وبذلك توطَّد الحكمُ الفاطمي في صقلية عملياً ونظرياً .

وفي سنة ٩١٢ م ، قاد ابن أبي خنزير حملة في إقليم دمنش حيث كان قد قام النصارى . وفي السنة التالية قامت ثورة عليه ، ولعلَّه كان لها أسباب طائفية . وأصدر المهدى ، عن حكمةٍ ، عفواً عن الثائرين ووافق على تنحية ابن أبي خنزير ، وولَّى على صقلية علي بن عمر البَلَوى[3] .

وفي سنة ٢-٩١٣ م ، كان أشراف العرب في مركز قوة كبيرة في بلرم ، وكان من بينهم شريف ثريّ هو زيادة الله بن قرهب الذى ينتمي لأسرةٍ وثيقة الصلة ببني الأغلب . وفي سنة ٩١٣ م ، قامت ثورة عربية مناهضة للفاطميين في بلرم ، أدَّت إلى قيام ثورة مماثلة بين البربر في جرجنت . واجتمع العرب والبربر على اختيار ابن قرهب زعيماً لهم وأميرا على صقلية . ولفترة قصيرة أقام ابن قرهب في صقلية إدارة

سُنيَّة حازمة شعبية . وتُليتْ الخطبة باسم الخليفة العباسي المقتدر (حكَم ٩٠٨-٩٣٢ م) الذى بعث إليه كتابا بالولاية يُضفي الشرعيةَ على إمارته . ووفد على الجزيرة سيل من النازحين المالكيين من إفريقية .

وفي سنة ٩١٤ م ، هَزمتْ قوة بحرية تابعة لابن قرهب أسطولا فاطميا قرب ساحل إفريقية ذاته . وفي سنة ٩١٥-٩١٦ م ، أرسل ابن قرهب حملة إلى البر الإيطالى ، ومع أن مراكب الأسطول تحطَّمتْ نتيجة لهبوب عاصفة ، إلا أن يوستاثيوس (Eustathius) القائد والوالى البيزنطى في قِلَّورية وافق على دفع جزية له . وفي الوقت الذى بدا فيه أن حكم ابن قرهب كان يزداد استقراراً ورسوخاً ، قام البربر في جرجنت بثورة ضده لم تلبث أن امتدت إلى أجزاء أخرى من الجزيرة . واستصرخ الثائرون المهدى الفاطمي ، وأُسر ابن قرهب وأُرْسِلَ إلى المهدى الذى أنَّبه على عمله . وردَّ ابن قرهب بأن أهل صقلية هم الذين ولَّوه وهو كاره وخلعوه وهو كاره . وأمر المهدى بإعدام ابن قرهب (٤) .

إن العرب والبربر الذين كانوا قد قاموا على ابن قرهب ظلُّو على شغبهم وعجرفتهم في معاملاتهم مع السلطة الفاطمية . وولَّى المهدى على صقلية أبا سعيد موسى [بن أحمد] الضيف وسيَّر معه جماعة من شيوخ كُتامة الذين يرجع إليهم الفضل في تولى الفاطميين الحكم ، والذين كانوا يشكِّلون العمود الفقرى للجيش . وتمكَّن هؤلاء البربر من السيطرة على بلرم وجرجنت وبقية أنحاء الجزيرة سيطرة تامة ، وقمعوا كل مقاومة بقسوة شديدة . وبعد أن دخل أبو سعيد بلرم في سنة ٩١٧ م ، ألقي القبض على زعماء الثورة وأُرسلوا إلى المهدية عاصمة الفاطميين ثم أُعلن عفواً عاما . وتمَّ بذلك القضاءُ على استقلال صقلية الإسلامية ، وهو الاستقلال الذى بدا حقيقياً في عهد ابن قرهب ، وتوطَّدتْ سيادة الفاطميين على الجزيرة ، ولما فرغ أبو سعيد من مهمته عاد إلى إفريقية تاركاً الجزيرة في يدى الوالى الجديد سالم بن راشد (٥) .

ولى سالم بن راشد صقلية لمدة عشرين عاما من سنة ٩١٧ إلى سنة ٩٣٧ م ، وقد أُنقصتْ سلطته . وفي هذه الأثناء توفي المهدى عبيْد الله في سنة ٩٣٤ م ، وخلَفه ابنُه أبو القاسم محمد القائم (حكَمَ ٩٣٤-٩٤٦ م) .

وكانت سياسة الفاطميين في هذه الفترة تقوم على استغلال الظروف وعلى

التسامح . وقد استمرت الدعاية الإسماعيلية ولكن بكياسة كبيرة ، وتُركتْ معظم المدن المسيحية وشأنها . ومن الناحية الإدارية ، أُنشئ ديوانان أحدهما يتناول شؤون الحرب والأمن والنظام ، ويتناول الديوان الثاني بقية مجالات الإدارة والسلطة الداخلية . وكان ثمة صاحب شرطة ، وزعيم محلى لبربر كُتامة في صقلية (٧) .

وفي سنة ٩٣٧ م ، قامت ثورة في جرجنت ، تلتْها ثورة في بلرم وانتفاضات في سائر أنحاء الجزيرة . وكَتبَ وجوه بلرم إلى القائم في المهدية يؤكدون ولاءهم له ، إلا أنه لم يَعُدْ في وسعهم احتمال طغيان الوالى سالم بن راشد . وَقبِلَ القائم التماسهم واستبدل سالم بوالٍ أكثر وداً هو خليل بن اسحاق . وهذا الوالى الجديد هو الذى اختطَّ مدينةً الخالصة الحصينة على مقربة من بلرم ، على غرار المهدية عاصمة الفاطميين . وقد أصبحت الخالصة مركزَ الإدارة ، فيها مقر الوالى والدواوين المدنية والعسكرية . وقد ضمَّتْ مخازنَ السلاح لحاضرة صقلية ، ودار الحكومة والسجن وكافة أجهزة الدولة في الجزيرة (٨) .

وفي سنة ٩٣٨ م ، تحوَّل خليل إلى جرجنت وحاصرها ثمانيةَ شهورٍ عبثاً . ولما فرض ضرائب جديدة حذتْ المستوطنات الإسلامية في مازر حذو جرجنت وشقَّتْ عصا الطاعة . وتفيد إحدى الروايات أن الثائرين [كاتبوا ملك الروم في القسطنطينية يستنجدونه فأمدَّهم بالمراكب فيها الرجال والطعام] (٩) . وفي سنة ٩٣٩ م ، تمكَّن خليل من احتلال مازر ، وأجبر جرجنت على الرضوخ في السنة التالية . ومرة أخرى سادت سلطة الفاطميين أرجاء الجزيرة . وبعد أن أنجز خليل مهمته عاد إلى إفريقية في العام التالى ، وترك على بلرم متولِّيَيْن أحدهما ابن الكوفي والآخر ابن عطاف دون أن يحمل أىّ منهما لقبَ (والى) .

إن الثورة الخارجية التي تزعَّمها أبو يزيد [مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار] من سنة ٩٤٣ إلى سنة ٩٤٧ م ، وهى الثورة التي كادت تُطيح بحكم الفاطميين في إفريقية ، كان لها صداها غير المباشر في صقلية . فلما سقطت مدينة تلو أخرى في إفريقية في يد أبي يزيد ، حاولت بعض العناصر الموالية للفاطميين اللجوء إلى صقلية ، كما خالف بعض المغامرين من البربر في الجزء الجنوبي من الجزيرة ، ورفضتْ عدة مدن دفع الجزية أو الضرائب (١٠) . وبعد هزيمة أبي يزيد والانتصار النهائي للفاطميين في إفريقية ، استعمل الخليفةُ الجديدُ المنصور (حَكَمَ

٩٤٦–٩٥٣ م) الحسنَ بن على [بن أبي الحسين] الكلبي على جزيرة صقلية لمعالجة أمر القائمين في الجزيرة . وبولايته بدأ فصل جديد في تاريخ الجزيرة .

وإذا تحوَّل المرء إلى البر الإيطالى خلال هذه الفترة ، فإن عليه أن يُلقي نظرة سريعة على نشاط المغامرين من عرب الأندلس الذين قاموا في سنة ٨٩١ م بإنشاء مستوطنةٍ في فراكسنيتوم Fraxinetum (Garde-Freinet حاليا) ، قرب نيس ، التي امتدت نحو الداخل في العقد الأول من القرن العاشر الميلادى . وفي سنة ٩١١ م لم يستطع أسقفُ نربونة (Narbonne) ، الذى كان قد استُدعى إلى رومة ، الرجوعَ إلى نربونة لأن ممراتِ جبال الألب كان يسيطر عليها هؤلاء المغامرون العرب الذين كانوا ينقضُّون من آنٍ لآخر على سهول مقاطعة بيدمنت في شمال غربي إيطاليا (١١) . وقد ظلَّ هؤلاء العرب يشكلون تهديداً للمناطق المجاورة حتى سنة ٩٤٠ م ولم يتم إقصاؤهم نهائيا عن فراكسنيتوم حتى سنة ٩٧٢ أو ٩٧٣ م .

وفي جنوب شبه الجزيرة الإيطالية ، كانت جاريليانو (Garigliano) المعقلَ الرئيسيَّ للغزوات العربية في مقاطعة كمبانيا (Campagna) . وفي سنة ٩٠٥ م ، غزا العرب من جاريليانو مدينة كابوا (Capua) التي كانت آنذاك متحالفة مع مدينة نابولى . وخلال العقد الأول من القرن العاشر الميلادى ظهر العرب من جديد على مقربة من رومة واحتلوا مقاطعة سابين (Sabine) ومدن نارني (Narni) وأورتي (Orte) ونيبي (Nepi) . وكانت هذه الجماعات العربية من جاريليانو ، وقد يكون بعضُها قَدِم من سبينو (Sepino) وبوجانو (Bojano) . ونظراً لاحتلال البيزنطيين لجنوب إيطاليا احتلالا ثابتا فإن الغزاة العرب تحوَّلوا عن مهاجمة جنوب إيطاليا إلى مهاجمة وسطها . وقام البيزنطيون عندئذ بفرض سيادتهم على صاحب نابولى وأجبروه على التخلِّي عن تحالف نابولى التقليدى ، ولو أنه تحالف متقطِّع ، مع العرب . وفي سنة ٩١٥ م اجتمع القائد البيزنطى نيكولاس بكنيلي (Nicholas Picnigli) وحلفاؤه من الإمارات البحرية الإيطالية على جاريليانو واحتلوها . وكان استيلاؤهم على المدينة إيذاناً بنهاية آخر مستوطنةٍ عربيةٍ على ساحل البحر التيراني ، وأصبحت مقاطعة كمبانيا وإيطاليا الوسطى في مأمن من الغزوات العربية (١٢) .

ومع ذلك ، فإن مقاطعة قِلَّورية ظلَّت عرضة لغزوات العرب البحرية . ولما توطَّدت سلطة الفاطميين في صقلية ، تكرَّرت الغزوات من الجزيرة ، إلا أنها كانت

غزوات كرٍ وفر لا يُقصد من ورائها الاستحواذ على مواقع دائمة . وقام القائد والوالى البيزنطى على قلورية يوستاثيوس (Eustathius) بشراء السلم مع العرب في سنة ٩١٨ م ، بأن دفع لهم اثنتين وعشرين ألف قطعة من الذهب . واضطرَّ خلفه جون موزالون / بيزالون (Muzalon/Bizalon) إلى فرض ضرائب إضافية ليتمكَّن من دفع الضريبة ، وكان ذلك سبباً في ثورة أدّتْ إلى اغتياله [١٣] . وفي سنة ٥-٩٢٦ م ، قامت وحدات من أسطول صقلية تعزِّزها بعض الوحدات من إفريقية بغزوات على سواحل لمبارديا (أنكبردة) وقلورية . كما غزا العرب أراضي سالرنه ونابولى في سنة ٩٢٩ م وساحل جنوة في سنة ٩٣٥ م .

ولم يحدث تغيير كبير على الخريطة السكانية لصقلية في أوائل حكم الفاطميين للجزيرة . وكانت كثافة السكان ما زالت في إقليم مازر . وكان الوافدون المسلمون الجدُد إلى الجزيرة من الصنّاع والجند والنازحين . وقد ضمَّ سكانُ الجزيرة الأحرارَ والتابعين الإقطاعيين والرقيق . وكان السكان النصارى ما زالوا أكثرية راسخةً في الجزء الشرقي من الجزيرة ، خصوصاً في إقليم دمنش [١٤] . ومما يُذكر أن جوهراً ، قائد الفاطميين المملوك الشهير الذى وسَّع رقعة سلطان الفاطميين بحيث شمل عملياً كلَّ المغرب وفتَحَ مصر في سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٩ م ، هو من أصل صقلى بيزنطى . وقد شغل المسلمون الصقليون مناصب سامية في الإدارة الفاطمية في إفريقية . ومن بينهم أبو الفتح متولى مدينة طرابلس . وكان صقلِّيٌ آخرُ اسمه بُشرى أحدَ قادة الجيش الفاطمى ضد الثائر الخارجى أبي يزيد [١٥] .

الفصل الرابع

ولاية بني أبي الحسين الكلبيين

في سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧ م ، ثار في بلرم بنو الطبرى ، وهم قبيلة نبيلة من أصل فارسي ، على ابن عطّاف ، فاستعمل المنصور الحسن بن على [بن أبي الحسين] الكلبي على جزيرة صقلية لمعالجة هذا الوضع . وقد أدّت ولايته إلى تأسيس أسرة شبه مستقلة من أمراء الكلبيين حكمت الجزيرة أكثر من تسعين عاما [١] .

وبعد أن سيطر الحسن على الوضع في الجزيرة ، غزا البرّ الإيطالى مرتين في سنة ٩٥٠ و٩٥٢ م ، كما سنذكر فيما بعد . وعند وفاة الخليفة الفاطمى المنصور وارتقاء ابنه المعز لدين الله العرش (حَكَمَ ٩٥٣–٩٧٥ م) توجّه الحسن إلى المهدية للمثول في البلاط الفاطمى ، تاركاً ولاية صقلية في يدى ابنه أحمد بن الحسن . وفي سنة ٣٤٤هـ/٩٥٦ م سيَّر المعزُ الحسنَ بن على إلى الأندلس على وحدة من أسطول صقلية ، فوصل إلى ألمَرِّية وأحرق ما في القاعدة البحرية الأموية من مراكب . وفي سنة ٩٥٨ م ، شارك الحسن أخاه في حملته الإيطالية . وفي سنة ٢–٩٦٣ م ، تمكَّن أحمد بن الحسن من أن يُخضع نهائياً المنطقة الجبلية الواقعة جنوبي مسينة ، حيث كانت عدة مدن مسيحية قد احتفظت بشئ من الاستقلال ، وأُجْبِرَتْ هذه المدن على دفع الجزية ، وأقيمت مستوطنات عربية في وسطها . وفي أثناء هذه العمليات الحربية ، تحوَّل أحمد ، يعاونه ابن عمه الحسن بن عمار ، إلى محاصرة طبرمين (Taormina) ، وهى من أمنع الحصون وأشدها على المسلمين ، وكانت قد ثارت على العرب . وكانت مدة الحصار سبعة أشهر ونصفا ، إلى أن استسلم الحصن في ذى القعدة ٣٥١هـ/ديسمبر ٩٦٢ م . وقد أُجبر السكان على التخلى عن ممتلكاتهم إلا أنهم أُمِّنوا على أرواحهم وأصبح الكثيرون منهم رقيقاً للمسلمين ، وأُسكن الحصن نفراً من المسلمين ، وسمِّى الحصن المعزِّية نسبة إلى المعز لدين الله الفاطمى [٢] .

واستغاث النصارى في رمطة (Rametta) بالأمبراطور البيزنطى نيقوفور فوقاس الذى أرسل قوة كبيرة قوامها جنود من الأرمن والروس والتراقيين تحت إمرة الخصىّ

نيكيتاس (Nicetas)[٣] . واستنجد أحمد بن الحسن بالمعز لدين الله طالباً إرسال تعزيزات ، فأرسل إليه قوة كبيرة من الجند تحت إمرة والده الحسن بن على . أما البيزنطيون الذين كانوا قد نزلوا إلى البر بالقرب من مسينة ، فقد انهزموا أقبح هزيمة براً وبحراً ، ووقع نيكيتاس في الأسر وأُرسل إلى إفريقية . وشنَّ العرب هجوما شاملاً فتحوا على أثره مدينة رمطة في سنة ٩٦٥ م ، وفي أثر هذا الحصار توفي الحسن بن على مؤسس الأسرة الكلبية الحاكمة[٤] .

وحتى سنة ٩٦٩ م ، لم يكن في نية الفاطميين تنصيب الأسرة الكلبية بصورة دائمة ولاةً بالوراثة على صقلية . فبعد أن ولى أحمد بن الحسن الجزيرة مدة تزيد على ستةَ عشرَ عاما ، استُدعى إلى إفريقية مع جميع أفراد الأسرة الكلبية ومواليهم وأتباعهم وحاشيتهم . وعُهد بالولاية على الجزيرة إلى يعيش مولى الحسن ، [إلا أنه لم ينهض بالأمر] وحدثت اضطرابات في صقلية كان ضحاياها الرئيسيون البربر من قبيلة كُتامة . واضطرَّ المعز إلى استدعاء يعيش وإلى إرسال أبي القاسم على بن الحسن إلى الجزيرة نائباً عن أخيه أحمد . ولما توفي أحمد [بمدينة طرابلس] بعد ذلك ببضعة شهور ، ثُبِّت أبو القاسم في الولاية في سنة ٩٧٠ م . وبذلك اعترف الخلفاء الفاطميون ضمنا بحكم الكلبيين الوراثي للجزيرة . وفي سنة ٣٦١هـ/٩٧٢ م ، نَقَلَ المعزُ لدين الله العاصمةَ الفاطميةَ من المهدية إلى القاهرة ، وكان معنى ذلك عملياً ، لا نظرياً ، أن الكلبيين في صقلية حظُوا بمزيد من الاستقلال . فالأمير الزيرى بلقين الحاكم في إفريقية باسم الخليفة الفاطمى لم يُمنح سلطةً على صقلية . ومن بين العوامل الأخرى التي أدَّتْ إلى تدعيم الأسرة الكلبية الحاكمة في صقلية رضا السكان المسلمين عموماً عنها ، والهدوءُ النسبي الذى ساد الجزيرة والتوسعُ في إنشاء المستوطنات الإسلامية ، وحاجة الفاطميين إلى جماعة وفيَّة لهم في صقلية يستفيدون من واليها في خططهم البحرية ، ويستطيعون أن يمنحوه استقلالا ذاتيا كما فعلوا بالنسبة لأمراء بني زيرى في إفريقية في سنة ٣٦١هـ/٩٧٢ م . والكلبيون من جانبهم ظلُّوا على ولائهم التام للفاطميين ، الذين أنعموا عليهم بألقاب شرَفية[٥] .

وعند وفاة أبي القاسم على بن الحسن في الحملة الإيطالية ، اختار وجوه صقلية ابنه جابراً أميراً عليهم ، وثبَّته في الولاية الخليفةُ الفاطمى العزيز (حَكَمَ ٩٧٥–٩٩٦ م) . ولم يكن لجابر ما كان لأبيه وعمه من مقام مرموق وكفاءة

إدارية . ولم يلبث الصقليون أن خلعوه ، فاستُدعي إلى القاهرة حيث وقع ضحيةً لدسائس البلاط . وبعد ذلك ولّى العزيز على صقلية رجلاً آخر من الكلبيين ، هو جعفر بن محمد ، ولدى وصوله إلى الجزيرة في سنة ٩٨٣ م ، نظّم أمورها وعمل على إعادة الرخاء إليها . وكانت النخبة الصقلية تُجلُّه لعلمه ، وتحبه العامة لجوده وكرمه . وتوفي في سنة ٩٨٦ م ، وخلفه في الحكم أخوه عبد الله بن محمد ، الذي توفي هو الآخر في نفس العام بعد حكم لم يقعْ فيه ما يجدر ذكره . وكانَ في حياته قد سمّى ابنه أبا الفتوح يوسف خلفاً له وأُقِرَّتْ تسمية يوسف للولاية من قِبَلَ الخليفة العزيز ، الذي أنعم عليه أيضا بلقب (ثقة الدولة) . وكان حكمُ يوسف كفئاً وعهده عهد سلم ، كما شنَّ بعض الغزوات على الأراضي البيزنطية في جنوب إيطاليا . واشتهر يوسف بعلوّ الهمة والعدل . ويعكس أدبُ الفترة ثقافته وثقافة بلاطه .

وفي سنة ٩٩٨ م ، أقعده الفالج ، وولى الجزيرةَ ابنُه جعفر الذي أنعم عليه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (حَكَمَ ٩٩٦ - ١٠٢١ م) بلقبيْ (تاج الدولة) و(سيف الملّة) ، إلا أنه كان في الواقع أكثر استقلالا عن الفاطميين من أسلافه . وكغيره من السلاطين المسلمين المستقلين اتخذ جعفر لنفسه وزيراً وحاجباً، ونظم شعراءُ عهده القصائدَ في مديح راعيهم. ومع أن جعفر كان مثقفاً، إلاَّ أنه لم تتوفر فيه سجايا والده وفطنتُه . فقد كان كسولاً وجشعا وقاسيا ، وفي الحقيقة ، فإن ضعف الأسرة الكلبية بدأ بحكمه . وفي سنة ١٠١٥ م ، خالف عليه أخوه علي مع البربر والعبيد . وقد قُمعت الثورة وأُعدم علي على ما كان لذلك من أسىً في قلب والدهما المريض يوسف . وفُرضت ضريبة مقدارها عشرة بالمائة على الحبوب والفاكهة . وتلا ذلك قيامُ ثورة في بلرم سنة ١٠١٩ م ، وعندئذ تدخَّل والده المشلول يوسف ، وهدّأ الثائرين ، وعزل جعفر ، واستبدله بابنه الآخر أحمد الملقّب بالأكحل [٧] .

وقد أنعم الخليفةُ الحاكم بأمر الله على أحمد الأكحل لدى توليه الحكم بلقب (تأييد الدولة) . وفي هذه الآونة وبعد أن هزم الأمبراطور باسيل الثاني البلغار [سنة ١٠١٤ م] وأعاد توطيد سلطان البيزنطيين في البلقان ، عيَّن القائد بوجونيس (Bojaonnes) لمعالجة أمر العرب في صقلية ، فقام هذا القائد بتحصين ريُّو ، ونزل بجنوده إلى البر في مسينة . وقد عرض الأمير الزيرى المعز [بن باديس] مساعدة على الأكحل ، إلا أن المراكب التي جهَّزها تحطَّمتْ بفعل عاصفة . وهزم العربُ

تعزيزاتٍ بحرية بيزنطية بقيادة أريستيس(Orestes) بالقرب من ريُّو . وفي الفترة ما بين سنتيْ ١٠٢٦ و١٠٣٥ م قام أسطولا الزيريين والكلبيين معاً بشن غزوات على الأراضي البيزنطية بما فيها مقاطعة إلليرية (Illyria) [على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي] وعلى بعض الجزر اليونانية وحتى ساحل تراقية (Thrace) ، وما أن حلَّ عام ١٠٥٣ م حتى التمس البيزنطيون الصلح [٨] .

وفي العام نفسه انهار التحالف الزيري الكلبي ، واستعان أبو حفص زعيمُ ثورةٍ نشبتْ في صقلية بالزيريين فأرسل المعز بن باديس حملة لمساندة الثائرين . وفي سنة ١٠٣٨ م ، هُزم الأكحل وأُعدم . ويبدو أنه كان للزيريين لبعض الوقت نفوذ كبير في الجزيرة ، إلا أنه كانت توجد كذلك عوامل سياسية وعسكرية أخرى ، بينما لاح البيزنطيون في الأفق ومن ورائهم النورمان . وفي سنة ٧–١٠٣٨ م ، أغار البيزنطيون على مسينة بقوة كبيرة ، وانضم إليهم نحو خمسة عشر ألفاً من النصارى الصقلّيين . وكان القائد البيزنطي مانياكس (Maniakes) قد لمع اسمه في الحروب في بلاد الشام ما بين عاميْ ١٠٣٠ و١٠٣٤ م . وسُرعان ما احُتلَّت مسينة ، إلا أنه انقضى عامان قبل أن يتمكن مانياكس من إحراز موطئْ قدم ثابت بالرغم من المساعدة التي تلقَّاها من بعض الروس وبضع مئات من النورمان ، بما فيهم هارولد هاردرادا (Harold Hardrada) بطلُ إحدى الملاحم السكندناوية [٩] . وقد أدى انتصارٌ أحرزه في رمطة إلى احتلال اثنتيْ عشرةَ مدينة ، وفي أعقاب انتصار مهم آخر أحرزه في تروينة في سنة ١٠٤١ م ، سقطت في يده معظم المدن في ناحية جبل النار (إتنة) . ولكن مانيكاس استُدعي إلى القسطنطينية بسبب الدسائس في البلاط وزُجّ به في السجن . وكان القادة العسكريون الذين جاءوا بعده دونه كفاءة ، فلم يصمدوا في وجه العرب الذين ما إن حلَّتْ سنة ١٠٤٢ م حتى كانوا قد استردوا كل الأراضي تقريبا التي كانوا قد فقدوها . وقد تولَّى تنظيمَ وقيادةَ هذا الهجوم العربي المضاد الأميرُ الكلبي الحسين الملقب بصمصام [١٠] .

وخلال فترة حكم الكلبيين ، استمر النشاط البحري والعسكري العربي من صقلية وغيرها ضد جنوب إيطاليا ، ولكن دون إحراز أية نتيجه دائمة . وكان الحسن بن علي مؤسس الأسرة الكلبية قد حاصر ريُّو بمساندة قوة مساعدة قدمتْ من إفريقية ، وكاد ينفذ عبر خطوط دفاع المدينة . ثم انتقل إلى الشمال الشرقي وحاصر

جراجة (Gerace) التي حصلت على الأمان بأن عرضت دفع الجزية . ثم بعد أن دحر قوة بيزنطية وصل إلى وادى كراتي (Crati) وحاصر قسانة (Cassano) التي وافقت بدورها على دفع الجزية . ثم عاد الحسن بن على إلى مسينة ، ولكنه غزا ثانية مقاطعة قلورية في سنة ٩٥٢ م ، ملحقاً هزيمة منكرة بالجيش البيزنطى الذى قُتل قائده مالاكينوس (Malakenus) . ومضى الحسن إلى محاصرة جراجة ، إلا أنه رفع الحصار عند وصول سفارة بيزنطية على رأسها جون بيلاتوس (John Pilatus) ، فأبرم صلح كان من بين شروطه موافقة البيزنطيين على بناء مسجد في مدينة ريُّو . واستمرت الغزوات العربية الصغيرة حتى بعد إبرام الصلح ، واضطر سكان بعض المدن الساحلية في قِلَّورية إلى اللجوء إلى الداخل من آن لآخر(١١) .

وغزا شقيق الحسن قِلَّورية في سنة ٩٥٦ م ، إلا أن قوة بيزنطية كانت في هذه الأثناء قد هاجمت صقلية واستولت على بلدة ثرمة (Termini) الواقعة على بعد أربعة وعشرين ميلاً فقط شرقي بلرم كما هدَّدتْ مازر . وبعد ذلك بعامين ، قام الحسن وأخوه بهجوم مضاد في مقاطعة قلورية ، ونازلا معاً الأسطول البيزنطى في طارنت . وفي نفس الوقت تقريبا هاجمت قطع من الأسطول العربي مدينة نابولى ، ومع أنها أخفقت في الاستيلاء على المدينة ، إلا انها أصابت غنائم كثيرة . وفي سنة ٩٦١ م ، عُقد من جديد صلح مع البيزنطيين .

وتلت هزيمة نيكيتاس في سنة ٩٦٤ م عشرُ سنوات من السلم بين البيزنطيين والفاطميين . وقد تخلَّلها احتلال البيزنطيين لمدينة مسينة التي استردها الأمير الكلبي أبو القاسم في سنة ٩٧٦ م ، ثم اندفع صوْب قلورية وتقدَّم في وادى كراتي (Crati) حتى مدينة كُسنْتة (Cosenza) التي أُجبرت على دفع الجزية . وفي سنة ٩٧٥ م ، وبعد انقضاء نصف قرنٍ غزت قوة عربية بولية في ناحية بطنطُه (Bitonto) . وفي العام التالى ، شُنَّت غزوات عربية أخرى في ناحية باره . وفي سنة ٩٧٦-٩٧٧ م ، سار أبو القاسم ثانيةً على رأس قوة عربية إلى جنوب إيطاليا وهاجم طارنت وأحرق أورية (Oria) ، وتقدم حتى أُترنتو (Otranto) . واستولى العرب على شنت أغاثه (Santa Agata) بالقرب من ريُّو. وتكررت الغزوات ما بين عامى ٩٧٨ و ٩٨١ م على مقاطعتىْ قلورية وبولية ، لا بل وهدَّد العرب أراضي اللمبارد في ناحيتىْ سالرنه وكابوا (١٢) .

وفي سنة ٩٨٢ م ، لما تقدَّم امبراطور الأفرنج أُتو الثاني (Otto) في مقاطعة قلورية ، أعلن أبو القاسم الجهاد ضده . ويرى البعض أنه قد يكون أبرم تحالفٌ بين العرب والبيزنطيين ضد أتو في هذه المرحلة . وأوقع أُتو هزيمة منكرة بالعرب جنوبي قطرون (Cotrone) ، إلا أن أبا القاسم أعاد تجميع قواته وأحرز انتصاراً ، ولم يتمكن أُتو من النجاة بنفسه إلا بصعوبة كبيرة [١٣] .

وقد سيِّرت حملات برية وبحرية متقطعة خلال الثلاثين سنة التالية . ففي سنة ٩٨٦ م ، احتل العرب جراجة (Gerace) ، وزحفوا ثانية صوب كستنة . وفي سنة ٩٨٨ م ، هددوا باره عاصمة الممتلكات البيزنطية في جنوب إيطاليا ، ولما عجزوا عن ضرب حصار فعَّال حولها انصرفوا عنها إلى مهاجمة طارنت . وفي سنة ٩٩٤ م ، احتلوا متيره (Matera) بعد حصار طويل . وفي سنة ١٠٠٣ م ، حاصروا باره لعدة شهور إلى أن وصل أسطول تابع للبندقية لنجدتها . وفي سنة ١٠٠٦ م صدَّ البيزنطيون ، بمساعدةٍ من بيش (Pisa) ، هجوماً عربياً قرب ريُّو . وفي سنة ١٠٠٩ م تقدَّم العرب ثانية عبر قلورية حتى وادى كراتي (Crati) واحتلوا كستنة [١٤] . وأوقع البيشيون بحراً هزيمةً منكرةً بأسطول عربي في مجاز مسينة في سنة ٥-١٠٠٦ م [١٥] . وفي سنة ١٠١٢ م [١٦] أو سنة ١٠١٥ م [١٧] قامت قطع من أسطول عربي من الأندلس بقيادة مجاهد بن عبد الله صاحب دانية بمهاجمة بيش ، ولعلها نفس القوة العربية التي كانت قد احتلَّت أجزاء من سرّدانية [١٨] ، إلا أن هذه القطع هُزمت من قِبَل أسطولَيْ بيش وجنوة معاً . وفي سنة ١٠١٧ م ، حاصر العرب الصقليون مدينة سالرنه ، ويُذكر أنه أثناء الحصار وقع أول اشتباك بين العرب والنورمان .

واستمرت الحال على هذا المنوال عقدين آخرين من الزمن ، إلا أن الغزوات العربية ضد بولية أخذت في التناقص . ومع ذلك ، فإنهم هدَّدوا ضواحي باره ما بين سنة ١٠١٠ وسنة ١٠١٥ م ، وبالتحالف مع رايكة (Rayca) أحد الأمراء في بولية احتلوا في سنة ١٠٢٠ م بسنيانو (Bisignano) . وفي سنة ١٠٢٣ م ، هوجمت باره من قِبَل أبي جعفر الذى يقول عنه أمارى إنه هو الأمير الأكحل [١٩] . وبالتعاون مع رايكه قام أبو جعفر في سنة ١٠٢٩ م بغزوة عاث فيها في جنوب إيطاليا ، وحاصر قلعة أُبيانو (Obbiano) . وفي سنة ١٠٣١ م ، احتل العرب قَسَّانه (Cassano) [٢٠] . وهَزَم القائد البيزنطي نيقوفور قارنتينوس (Karentenus) أسطولا عربيا صغيرا كان

يهاجم جزيرة كورفو في سنة ١٠٣٢ م . ولقي أسطول صغير آخر من إفريقية نفس المصير قرب الساحل الغربي لبلاد اليونان . وحينما أرسل الأمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع سفارة إلى الأكحل أمير صقلية ، فإنه كان يتفاوض من مركز قوة ، وقَبِلَ الأكحل منه لقب (magistros) [٢١] .

ومن هذه السنة فصاعدا ، أصبح مركز العرب دفاعيا . وفي سنة ١٠٣٤ م ، استولى البيشيون على بونة (عنابة) في شمال إفريقيا ، وهم الذين قاموا بعد ذلك بثلاثين عاما بمهاجمة بلرم ذاتها . ومع أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فإنها كانت عملية جريئة جدا ، وقد خلّد البيشيون ذكراها في شعرهم وفي نقش معمارى [٢٢] . إلا أن بعض الأفراد العرب لم ينسحبوا فوراً حتى خلال فترة تفسخ حكم الكلبيين في صقلية وظهور النورمان . فحتى عام ١٠٦٠ م على الأقل ، ظل يقيم في مدينة ريُّو وغيرها من الأماكن في جنوب إيطاليا عدد من المسلمين ، لعلّهم كانوا تجاراً ولاجئين . وقد بقيت في إيطاليا شواهد قبور كثيرة بالعربية [٢٣] .

إن المقطوعات الشعرية التي عُثر عليها في السنوات الأخيرة تبيِّن أن إمارة الكلبيين في صقلية طغتْ عليها حرب أهلية في سنة ١٠٤٠ م [٢٤] . وتاريخ صقلية للفترة من سنة ١٠٤٠ إلى سنة ١٠٥٢ م تاريخ مضطرب وتسوده الفوضى . ففي سنة ١٠٤٠ م ، هُزم الأمير الزيرى عبد الله بن المعز وطُرد من الجزيرة على يد الوالى الكلبي الحسين الملقب بالصمصام (صمصام الدولة) . إلا أن سلطة الصمصام لم تدُمْ طويلا ، ولم تشمل الجزيرة كلها . وخلال الأربعينات من القرن الحادى عشر الميلادى ، انقسمت صقلية الإسلامية [كما انقسمت الأندلس في نفس الفترة في عهد ملوك الطوائف بعد زوال خلافة قرطبة] إلى عدة إمارات صغيرة .

وأصبح القائد عبد الله بن منكود (أو منكوت) مسيطراً على أطرابنش (Trapani) ومرسالا (Marsala) ومازر والشاقّة (Sciacca) والسهول الغربية . واستولى قائد آخر هو على بن نعمة المعروف بابن الحوّاس على قصريانه وجرجنت والقصر الجديد (Castronovo) . وبعد ذلك بقليل ، احتل قطانية القائد ابن المكلاتي . وفي سنة ١٠٤٤ م خُلع الصمصام وبه انتهت الأسرة الكلبية . وأصبحت بلرم نوعا من الجمهورية الأليغارقية تحكمها جماعة من أعيان المدينة . وكان ابن الحوّاس أقوى هؤلاء الحكّام الصغار [٢٥] . ومما زاد من حدة انقسام هذه الإمارات

الصغيرة التوزيعُ السكاني ، إذ كان يوجد بين كل فئات السكان عرب وبربر وفدوا على الجزيرة من إفريقية والأندلس [٢٦] .

وفي الفترة من سنة ١٠٥٣ م إلى سنة ١٠٦٠ م ، ظهر قائد آخر هو محمد بن إبراهيم بن الثُمنة (المعروف بابن الثُمنة) [٢٧] وسيطر على سرقوسة ، وهاجم ابن المكلاتي صاحب قطانية الذي كان متزوجا من ميمونة شقيقة ابن الحوَّاس . وقُتل ابن المكلاتي وتزوج ابن الثُمنة من ميمونة ، وهزم ابن منكود ، واستولى على أراضيه في الجزء الغربي من الجزيرة . وبدا وكأن ابن الثمنة في هذه المرحلة كان أقوى حتى من ابن الحوَّاس ، واتخذ لنفسه لقباً رفيعاً هو (القادر بالله) ، وجعل خطبة الجمعة تُتلى باسمه في بلرم . ثم حدث خصام عائلي بينه وبين زوجته ميمونة ، مما أدَّى ، فضلا عن التنافس على السلطة في الجزيرة ، إلى نشوب نزاع بين ابن الثمنة وشقيقها ابن الحوَّاس صاحب قصريانه . وحاول ابن الثمنة محاصرة المدينة المنيعة ولكنه باء بالفشل ، وعند انهزامه بدا وكأن صقلية بأسرها قد أفلتتْ من قبضته وانحازت إلى ابن الحوَّاس . وبدافع اليأس ، عرض ابن الثمنة الجزيرة على النورمان في جنوب إيطاليا أملا ، في غير محله ، منه في أن يسلِّمه النورمان الجزيرة بعد فتحهم لها [٢٨] . وكما ذكر مؤرخ ، فإن أسبابَ هلاك مسلمي صقلية الحسدُ والشقاق [٢٩] .

إن نمط توزيع السكان على أساس الدين ظلَّ كما كان في عهد بني الأغلب . فكان معظم السكان في إقليم مازر من المسلمين ، وكانت نسبة المسلمين أقلَّ من ذلك بكثير في إقليم نوطس ، وظلَّت المسيحية الديانةَ السائدةَ في إقليم دمنش . إلا أن سياسة الكلبيين منذ البداية انتهجتْ زيادة عدد المستوطنات الإسلامية في إقليميْ نوطس ودمنش على حساب النصارى الذين كانت أراضيهم تُصادَر أحيانا وتوزَّع بين المسلمين . إن هذه السياسة لم تَحْظَ بنجاح يُذكر ، إذ إنها لم تؤدِّ في هذين الإقليمين إلى اتجاه ملحوظ لاعتناق الدين الإسلامي. أما المصدر الثابت الوحيد لزيادة عدد السكان المسلمين فكان الهجرة من شمال إفريقيا ، وكان هذا يعتمد إلى حد كبير على الوضع السياسي والاقتصادي السائد هناك . ففي سنة ٤-١٠٠٥ م ، وعلى أثر تفشي الطاعون في إفريقية ، حدثتْ هجرة كبيرة إلى صقلية . وتلتْ ذلك موجات هجرة أخرى في السنوات ٥-١٠١٦ م و٨-١٠١٩ م و٢-١٠٢٣ م [٣٠] . وفي السنوات الأخيرة من حكم الكلبيين حدثتْ موجة هجرة من جانب الإسماعيليين الذين

اضطهدهم الأمير الزيرى المعز بن باديس . ولعلَّ عدد السكان المسلمين في صقلية بلغ في ذروته نصف مليون نسمة (٣١) .

وكانت جماعة المسلمين في الجزيرة تفتقر إلى وحدة الكلمة . وقد عمل الأكحل على ضرب فئات المهاجرين القدامى والجدُد ببعضها البعض . ويقارَنُ مسلمو صقلية أحيانا بالمولَّدين في الأندلس ، وكانوا مثلهم عرضة لاستغلال النخبة العربية .

والمقدسي هو الوحيد الذى يقول إن أكثر أهل صقلية حنيفيون (٣٢) ، أما بقية الروايات فتتفق على أن المذهب المالكى كان مذهب السكان عامة . ولعلَّ الولاة الكلبيين ، الذين ظلوا على ولائهم لسيادة الفاطميين الاسمية ، كانوا إسماعيليين ظاهرياً على الأقل ، وكذلك كانت الحال بالنسبة لنسبة مئوية غير معروفة من الطبقة الحاكمة . إلا أنه لا يبدو أن المذهب الإسماعيلي قد تسرَّب إلى النخبة المبدعة وعامة الناس . وفي حين أن مصنَّفاتٍ فقهيةً سُنِّيةً كثيرةً أُلِّفت في صقلية ، فليس ثمة من دليل على وجود أى فقه إسماعيلي يُذكر . وكل هذا يدلُّ على أن صقلية في عهد الكلبيين حظيتْ بتسامحٍ ديني ملحوظ فيما يتعلق بالمذاهب الإسلامية . ومع أنه كانت في الجزيرة عدة عوامل تعمل على التجزئة والانقسام داخل جماعة المسلمين فيها كما تقدم ، إلا أن الطائفية لم تكُنْ واحدة منها .

وفي إقليم مازر كان الجند يتقاضون أعطياتهم نقداً من بيت المال . وكان لكل إقليم في صقلية وحدة من الجند ومركزه العسكرى والديني . وفضلا عن ذلك ، فإن نظام الإقطاع الذى كان الأغالبة قد أدخلوه إلى الجزيرة وعملوا به أدى في هذه الفترة إلى تفتيت ملكية الأرض حسب نظام الإرث الإسلامى . ويلاحظ أن أسماء الأماكن العربية للضياع والمزارع والتي بقيت إلى يومنا هذا في صقلية تشير إلى تفتيت ملكية المزارع الصغيرة (٣٣) . وفي المناطق المسيحية كان إيراد الدولة يتم تحصيله عن طريق الضريبتيْن الإسلاميتين على أهل الذمة وهما ضريبتا الجزية والخراج ، افتراضاً بأنه كان قد تم التمييز بينهما في تلك الآونة .

وكان اقتصاد صقلية الزراعى في عهد الكلبيين ينهض على نظام ممتاز للرى . فقد أُدخلت إلى الجزيرة أساليب الرى الفارسية ، كما احتُفظ بالنظام الروماني الخاص بالأنابيب ذات الحنايا (٣٤) . وما زالت في الجزيرة إلى يومنا هذا بقايا صهاريج الماء العربية . وقد اكتسبت معظم عيون الماء في صقلية وكذلك مقاييس انسياب الماء

أسماء عربية . وبفضل وفرة الماء العذب من العيون والجداول ، فإن الجزيرة كانت غنية بالبساتين والجنان . وكان القطن والكتان يُزرعان في جطين (Giattini) وفي غيرها من المناطق . كما أن أشجار البرتقال والليمون وغيرهما من الحمضيات كانت تُزرع بكثرة وتصدَّر ثمارها . وقد أدخل العرب إلى صقلية وإلى أوروبا زراعةَ قصب السكر وطريقةَ عصره في المعاصر. كما أدخلوا أشجار التوت وتربية دودة القز وزراعة البردى وشجرة الصمغ للدباغة والصباغة ، فضلا عن أشجار الفواكه كأشجار النخيل والمكسَّرات كالفستق الحلبي . وكان مسلمو صقلية خبراء في زراعة الخضروات على اختلاف أنواعها . وقد أدّى كل ذلك إلى إحداث تغيير ثورى في اقتصاد صقلية الفلاحى والصناعى . وتشهد المفردات العربية الخاصة بالبستنة في اللهجة الصقلية على مهارة العرب وحذقهم في الزراعة [٣٥] .

وكانت صناعات التعدين تشمل الذهب والفضة والرصاص والزئبق والكبريت والنفط وحامض الكبريتيك والكحل والشبّ . وكان معظم الإنتاج المعدني متركزاً في منطقة جبل النار (إتنة) . وكان ملح الأمونيا يُستخرج بالقرب من جبل النار ويباع في الخارج . وكان الخشب يُجمع بكثرة من الغابات وخصوصا في الوادى العريض خلف مدينة جفلوذى (Cefalu) . وازدهرتْ صناعة صيد الأسماك ، وابتُكر أسلوب جديد في صيد سمك التونة .

وكان للحرير المصنوع في صقلية أسواق رائجة في الخارج . وكانت توجد دور طراز لصناعة الأقمشة الثمينة في قرليون (Corleone) وبلرم ، إلا أن معظم إنتاج دور الطراز كان يُستهلك في صقلية ذاتها . وكان معظم التجارة الخارجية في أيدى العرب ، إلا أن ثمة ما يدل على أن بعض تجار الحبوب والعبيد والماشية كانوا من أصل فارسي [٣٦] . وكانت التجارةُ نشيطةً بين صقلية وإفريقية ومصر والمعاقل الإسلامية في جنوب إيطاليا . كما كانت ثمة تجارة على نطاق واسع مع الإمارات الساحلية الإيطالية ، وخصوصا نابولى ، وسالرنه ، وَملْف . وكانت هذه التجارة الكبيرة مصدرَ ثروة طائلة للجزيرة [٣٧] .

ومن ناحية أخرى فإن المنازعاتِ الداخليةَ التي كانت تنشب من آن لآخر استدعتْ إنشاء تحصينات ونقاط منيعة حيث كان بوسع المزارعين وغيرهم من المواطنين اللجوء إليها في حالة نشوب حرب في المنطقة . وكانت صقلية على عهد

الأمراء الكلبيين تضم ثلاثمائة وعشرين معقلاً في سائر أرجاء الجزيرة ، تحمي ثلاثاً وعشرين مدينة والعديد من المدن الصغيرة وقرى لا عدَّ لها (٣٨) . وكانت الحاضرة بلرم محصَّنة ، وكانت تحصينات ربضيْن هامَّين من أرباضها ، هما القصر والخالصة ، تحصيناتٍ منيعةً على وجه الخصوص . وفي كل إقليم كانت مدينة واحدة على الأقل محصَّنة تحصيناً جيداً ، وبها مسجد جامع يمثل معقلاً للسلطة الإسلامية .

وفي ولاية أبي القاسم علي بن الحسن زار صقلية الجغرافيُّ والرحالةُ ابن حوقل في سنة ٣٦٢هـ/٢–٩٧٣ م . وتعُطينا روايته صورةً واضحةً عن الحاضرة بلرم في عهد الكلبيين الأوائل . فكانت المدينةُ مسورَّةً يحيط بسورها خندق وبها خمس حارات . وكان القصر ، وهو أحد هذه الحارات ، يقع في بلرم القديمة ، وكانت تقوم على جوانب تحصيناته أبراج ، وكان يسكن حارةَ القصر التجارُ وسراةُ القوم . أما الخالصة ، التي كان يسكنها الأمير وأتباعه ، فلم يكنْ فيها أسواق أو فنادق بل كان فيها الجند ودار الصناعة والديوان والسجن وعدة حمَّامات. وأما الحارة التي كانت أعمرَ وأجلَّ من هاتين الحارتين اللتين كانت تسكنهما نخبة أهل المدينة ، فكانت حارةَ الصقالبة التي كانت على الساحل ، وفيها كان يلتقي البحارة والتجار الأجانب . وأما الحارتان المتبقيتان من المدينة ، فكانتا الحارة الجديدة وحارة المسجد . وكان لهاتين الحارتين أسواقها وحرفها ، وكان يسكنها الجند ، وبها الزيَّاتون وتجار الحبوب وباعة البقل والطرازيون وصانعو الدروع والحدادون . وبالإضافة إلى حارات المدينة الخمس الكبرى ، يذكر ابن حوقل كذلك حاراتٍ أصغر منها كحارة اليهود والمعسكر ، ولعلَّ الأخيرة كانت نقطة عسكرية صغيرة . وكان عدد سكان المدينة كلها آنذاك يبلغ حوالى ثلاثمائة ألف نسمة . وكانت المنطقة كلها الممتدة من المدينة إلى ضفاف وادى [عبَّاس] (Oreto) مليئةً بالجنان والمتنزهات (٣٩) .

وكان عدد المساجد ببلرم يزيد عن عددها في أية مدينة إسلامية أخرى زارها ابن حوقل . وكان الناس يتباهَوْن بأن لهم مساجدَ خاصةً بعائلاتهم ومواليهم (٤٠) . ويقول جغرافي عربي آخر هو المقدسي إن الاحتفال بالعيديْن في صقلية كان أبهى منه في أى مكان آخر في العالم الإسلامى (٤١) .

وكان سكان بلرم مزيجاً من مختلف الأجناس . فبالإضافة إلى العرب ، كان هناك البربر واليونان واللمبارد واليهود والصقالبة والفرس والترك والسودان . وكانت المدينة

تجمع بين الثراء والفقر ، وبين عنف الجند ووداعة أهل الحِرَف والصنائع . وكان المسلمون قد اقتبسوا كثيراً من الأعراف والعادات غير الإسلامية . وكما هو الحال في كل حاضرة أخرى ، كان في بلرم أنفة وأحقاد وشقاء وغير ذلك من العِللَ الاجتماعية (٤٢) . ويبدو أن ابن حوقل انزعج كثيراً من هذه العلل ، وهو يشكو من أن بلرم لم يكُنْ فيها أهل فطنة ، أو علماء أو عقلاء أو صلحاء ، وهي اتهامات تنفيها بعضُ الروايات الأخرى . وقد وجد ابن حوقل أهل المدينة أغبياء وكسالى وينزعون إلى الرذيلة أكثر من نزعتهم إلى الفضيلة . وقد أزعجه طعامُهم الذى كان يشتمل على الإسراف في أكل البصل النيّ ، ونتج عن ذلك أن « ليس بالبلد عاقل ولا فاضل ولا عالم بالحقيقة بفن من فنون العلم ، ولا ذو مروءة ولا متدين . . . . وأكثر أهله سقّاط أوضاع ، لا عقول لهم ولا دين كامل » (٤٣) . وقد شوّه هذا الكلام صورة بلرم لدى بعض الجغرافيين المسلمين الذين جاءوا بعد ابن حوقل ، ونجد صداه عند ياقوت الحموى الذى يعتبر طعام مسلمي صقلية طعاماً غير صحي وكريه الرائحة ، ويعتبر عاداتهم غير نظيفة ولا صالحة ، وبيوتهم مظلمة قذرة (٤٤) . ومن ناحية أخرى نجد روايات تمتدح مسلمي صقلية ، فهم « مرموقون من بين من جاورهم بنظافة الأعراض والثياب والأحوال ، متميّزون بالجميل في الناس ، وحسن الصور والقصد في المعاش ، إلى مروّات ظاهرة وعشرة حسنة » (٤٥) .

وكانت مسينة على ما يُحتمل أكبرَ موانئ صقلية ، كما كانت مستودعاً دولياً للتجارة ، وفيها كان يجتمع التجار من أوروبا وشمال إفريقيا .

الفصل الخامس

النشاط الفكرى أثناء الفترة الإسلامية

مع أن صقلية كانت في طرف ناءٍ من العالم الإسلامى وكان لها تاريخ مضطرب في فترة الحكم الإسلامى لها ، فقد توفرت فيها عدة عوامل ساعدت على ازدهار العلوم والآداب في الجزيرة . وكان المعلمون في المحاضر الملحقة بالمساجد في صقلية مُعفين من المشاركة في الجهاد [1] . وكانت النخبة الحاكمة من الأغالبة والكلبيين تضم أشخاصا لم يكونوا رعاة للأداب فحسب ، بل كانوا هم أنفسهم أيضا كتّابا وعلماءَ مبُدعين [2] . وكانت صقلية مأوىً أميناً يلجأ إليه العلماء المضطهدون في شمال إفريقيا . ومن ناحية أخرى ، كان علماء صقلية يرحلون أثناء فترات الاضطراب إلى شمال إفريقيا أو مصر ، لا بل إنهم كانوا يرحلون إلى جهات أبعد شرقاً طلبا للعلم أو لتأدية فريضة الحج . إن حركة العلماء هذه من صقلية وإليها أبقتْ على الجزيرة في المجرى الرئيسي لحركة العلوم الإسلامية . وقد استفادت صقلية في القرنين الرابع والخامس للهجرة/العاشر والحادى عشر للميلاد على وجه الخصوص من التيارات الفكرية الكبرى التي نمَتْ في القيروان .

وكانت المساجد في الغالب مراكزَ لهذه النشاطات الفكرية ، وفيها كان يُدرَّس علما النحو واللغة فضلاً عن العلوم الدينية كالفقه والحديث والقراءات . كما استمر التقليد الشعرى وتأقلمَ في صقلية . فعلى بن حمزة البصرى ، الذى اشتهر لغوياً وراوياً لأشعار المتنبي ، هاجر إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٨٩٥ م . ووُضعتْ دراسات عن المتنبي وشروح لديوانه من قِبَل ابن البر الذى زار صقلية ، ومن قِبَلِ صقليين كابن القطّاع وأبي على الحسين بن عبد الله [3] .

ومن بين علماء القرآن الأوائل المقرئ محمد بن خراسان [النحْوى] الذى كان والده من موالى بني الأغلب . وقد درس في مصر ثم أخذ القراءة عن ابن المظفر [بن أحمد بن حمدان] ولعلَّ ذلك كان في العراق ، وعاد إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٩٩٦ م [4] وثمة عالم صقلى آخر في النحو وفن القراءات هو إسماعيل بن خلف الذى

كان قد درس في مصر وتولّى عند عودته التدريس في صقلية ، ثم رحل عنها بسبب الاضطرابات السياسية في الجزيرة إلى الأندلس أولا ثم إلى مصر وفيها توفي سنة ١٠٦٣ م . وتوجد مخطوطات من كتابه الشهير (كتاب العنوان في القراءات) في برلين واسطانبول وبانكبور . ومن بين مؤلفاته رسالة في شَكْل النصّ القرآني الكريم (٥) .

ومن بين أوائل علماء الحديث أبو العباس الذى تَعُدُّه الرواية بين شيوخ المحدِّث أبي داود والمؤرخ الطبرى ، ويُشك في صحة ما يقوله البعض من نسبة أبي العباس إلى مقاطعة قِلَّورية (٦) . ومن علماء الحديث الصقليين في أوائل القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى أبو بكر محمد بن إبراهيم التيمى [الصوفي] الذى سافر في طلب الحديث إلى العراق حيث يقال إنه حضر الحلقة الصوفية التي أقامها الصوفي الكبير جُنَيْد ، وعاد آخر الأمر إلى صقلية (٧) .

وهنالك عدة علماء آخرين لم تصلْنا سوى أسمائهم . ومن بين هؤلاء ابن الفراء (٨) ، وموسى بن الحسن الذى هاجر إلى مصر (٩) ، وعبد الرحمن بن محمد بكر الذى كان ينزع إلى الصوفية والذى سافر عَبْر شمال إفريقيا ومصر والحجاز ، والحسن بن على [الصقلى النحوى] الذى توفي بمكة المكرمة سنة ١٠٠١ م ، وأبو القاسم المتوفَّى سنة ١٠٣٥ م . ومن بين صغار المحدثين الصقليين أبو مسعود سليمان الذى استقر في بغداد ، وأبو الفضل العباس بن عمرو الذى هاجر إلى الأندلس ودرَّس فيها (١٠) . وكان أبو محمد عمَّار الكلبي عالماً شهيراً من علماء الحديث (١١) .

وكان أسد بن الفرات الذى بدأ به افتتاحُ العرب لصقلية عالماً فقيهاً في المقام الأول ، لا بل إنه يُعدُّ في طليعة الفقهاء في القرون الثلاثة الأولى للإسلام . وكانت أسرته التي تنتمى [بالولاء] إلى قبيلة بني سُلَيم العربية قد استقرَّت في نيسابور . وقد وُلد أسد في مدينة حرَّان بالعراق سنة ٧٥٩ م ، وأحضره والده إلى القيروان حينما كان أسد طفلا في الثانية من عمره . ودرس أسد القرآن الكريم في إفريقية ثم ارتحل في مطلع شبابه إلى المدينة المنوَّرة ، وفيها ، كما تذكر الرواية ، سمع من إمام دار الهجرة مالك بن أنس صاحب المذهب المالكى في الفقه . ومهما يكن من أمر ، فإن أسدا درس الفقه المالكى على أبي الحسن العبْسي المتوفي سنة ٨٠٠ م . وفي الكوفة اجتمع أسد ببعض أصحاب الأمام أبي حنيفة صاحب المذهب الحنفي في الفقه ، ولعلّه

درس عليهم . وفي مصر واصل أسد دراسة المذهب المالكى على أحد كبار علماء المذهب [عبد الرحمن] بن القاسم . وعاد إلى القيروان في سنة ٧٩٧ م ، وفيها دوَّن كتابه الشهير (الأَسَدية) . وليس الكتاب شرحا لموطأ الإمام مالك ، بل هو خلاصة لفتاوى ابن القاسم . وقد أشار بعضهم إلى أثر الحركة الأباضية الخارجية على تكوين أسد الروحي . وفي سنة ٨١٨ م ، ولى أسد قضاء القيروان ، وهو منصب وليه في آن واحد مع أبي محرز محمد . وقد نشر أسد في إفريقية بعض جوانب الفقه الحنفي ، ويبدو أن مركزه الفقهى يقوم على الاقتباس من المذهبيْن المالكى والحنفي . كما ذُكر بأن الفقيه المغربي الكبير سحنون تتلمذ عليه ، مع أن سحنون في كتاباته فيما بعد خالف أسداً الرأى [١٢]

وقد أُلِّفت عدة كتب عن المذهب المالكى في صقلية الأغلبية من بينها كتاب صنَّفه يحيي بن عمر [بن يوسف بن عامر الأندلسي] المتوفي سنة ٩٠٣ م ، وكان كتابه منتشراً في صقلية انتشاره في إفريقية [١٣] . وفقيه صقلى بارز آخر هو ميمون [بن عمر الأفريقي] المتوفي سنة ٩٢٨ م [ولى القضاء في القيروان ، ووليه في صقلية ، وكان آخر من روى بالمغرب عن سحنون] [١٤] . ووصل إلى صقلية في سنة ٩٠٥ م فقيه فارسي هو أبو جعفر المروزى واتُّهم بالمروق والكذب [١٥] . ونظراً للصلة الدينية والفكرية الوثيقة بين إفريقية وصقلية ، فإن علماء البلد الواحد منهما كانوا يشغلون مناصب في البلد الآخر. فالفقيه المالكى البارز لقمان بن يوسف المتوفي سنة ٩٣٠ م كان قد أقام في صقلية أربع عشرة سنة [يدرِّس المدوَّنة] [١٦] . ومع أن التواريخ المتعلقة بفقيه صقلِّى آخر أبي محمد الحسن بن على [ابن الجعد الصقلى المالكى] ليست ثابتة ، إلا أن كتابه عن أحكام الفقه المالكى الخاصة بالميراث اعتُبر مرجعا معتمدا [١٧] . ومن بين فقهاء صقلية البارزين ابن يونس المتوفي سنة ١٠٥٩ م الذى اعتُبر شرحه للمدوَّنة حُجَّة معتمدة ، وتلميذه عبد الحق بن محمد القرشي الذى أدَّى فريضة الحج مرتين ، وذُكر أنه اجتمع بإمام الحرمين الشريفين الجويْني . وتشمل مؤلفاته شروحاً نقدية لمؤلفات سحنون [١٨] . وثمة فقيه صقلى اشتهر بورعه وعلمه هو عتيق بن على السمنطرى الذى جاب أقطارَ المشرق الإسلامى [١٩] .

وفي مجال علم الكلام ، اتبع علماء صقلية إجمالاً المذهب الأشعرى [٢٠] . وكان بعض الفقهاء كعبد الحق بن محمد وابن ظَفَر من المتكلمين أيضا . واشتهر الإمام

المازرى [شارح الموطأ لمالك] فقيهاً ومتكلماً ، ومقالته النقدية عن الجويني مفعمة بآراء الأشعريين في علم الكلام .

ويشتمل أدب التراجم على معلومات عن عدة صلحاء من صقلية عَفُّوا عن الرذائل وقضُّوا أياماً وليالى في التهجد والتوبة ، وكانوا موضع تقدير الأهالى وإجلالهم . وكانت الصوفية الأولى في صقلية كما يمثِّلها أبو بكر محمد والسمنطرى تقوم على البساطة والزهد . وقد رحل سعيد بن سلاَّم ، وهو صقلى من مواليد جرجنت ، إلى الحجاز حيث حظى باحترام كبير ، ثم توجَّه إلى بلاد فارس ، وتوفي في نيسابور سنة ٩٨٣ م (٢١) . وذُكر أن أبا الحسن على كان تلميذاً للصوفي الشهير سَري السَقَطى (٢٢) . وارتحل صوفي صقلى هو عتيق بن محمد إلى بغداد حيث حظى بالاحترام (٢٣) .

ومن ناحية أخرى فإن الجغرافي ابن حوقل ، الذى كان شديد الانتقاد لأخلاق عرب صقلية وعاداتهم ، انتقد بشدة كذلك الرباطاتِ الصوفيةَ في الجزيرة ، إذ كانت « مشحونةً بالرياء والنفاق والبطَّالين والفسَّاق » (٢٤) . كما انتقد آخرون النزعاتِ الملاميةَ في الصوفية الصقلية وأفراطها الصاخب وانشغالها بالغناء والرقص .

وإذا انتقلنا إلى النشاط الفكرى الأكثر دنيوية ، وبدأنا بكتابة التاريخ ، وجدنا أنه باستثناء ما يسمَّى بتاريخ كمبردج الذى كتبه أحد النصارى أو ابن أحد النصارى في صقلية في عهد الكلبيين ، وهو مصدر مهم لتاريخ صقلية الإسلامية ، فإن ما وصلَنا من الكتابة التاريخية لمسلمى صقلية ضئيل . وقد ذكر حاجى خليفة تاريخاً لصقلية من تأليف أبي زيد الغمارى (٢٥) .

وتولَّى عالم من أصل صقلى اسمه عبد الله ترجمة رسالة ديوسقيريدس (Dioscorides) في علم النبات للخليفة الأموى الأندلسي عبد الرحمن الثالث [الناصر] . ويذكر ابن القطَّاع أبا عبد الله محمد بن الحسن بن القرني ، [ويصفه بأنه كاتب ومنجِّم وحاسب] ، كما يشير إلى أن الشاعر والأديب الشهير [أبا عبد الله محمد بن الحسن [بن الطازي كان طبيباً في المقام الأول (٢٦) . ويرى أمارى أنه لما كان ثمة يونان يعيشون جنبا إلى جنب مع العرب في صقلية ، فإن عرب الجزيرة لا بد وأنهم اهتموا نوعا ما بالفلسفة والعلوم اليونانية ودرسوها باللغة اليونانية . وكان من بين الأطباء العرب في صقلية أبو سعيد بن إبراهيم الذى وصلَنا كتابُه في الصيدلة .

وكان أبو بكر الصقلّي من بين شيوخ الطبيب والمؤلف الشهير ابن أبي أصيبعة (٢٧). ووضع أبو العباس أحمد بن عبد السلام شرحاً لأحد مصنّفات ابن سينا الطبية (٢٨).

وقد ازدهرت الأداب والعلوم في صقلية على عهد الأمير أبي الفتوح يوسف. وكان من بين رجال الفكر في عهده شخصية خارجة عن المألوف، ابن المؤدب، الذى صرف همّه إلى دراسة الكيمياء والبحث عن حجر الفلاسفة [الذى كان يُظنّ أنه يحوّل المعادن إلى ذهب]. لا بل وأشهر منه كان محمد بن عبدون أحد مدّاحى الأمير. وكان ما يسود البلاطَ الكلبى من ثقافة ورقة معروفَيْن لدى الناس في إيطاليا وموضعَ إعجابهم (٢٩).

اما فيما يتعلق بوضع المعاجم والدراسات الخاصة باللغة وفقهها، فان صقلية كانت جزءاً لا يتجزأ من عالم الإسلام. فعلماء صقلية في هذه الميادين كانوا يرحلون أو يهاجرون إلى الخارج، بينما نجد أن علماء من أقطار أخرى اتخذوا صقلية موطناً لهم. فالنحوى واللغوى والشاعر القرطبي موسي بن أصبغ مثلا وفَد إلى صقلية واستقر فيها. وفي مطلع القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى وصل إلى صقلية عالم لغوى بارز آخر هو سعيد بن فتحون. ورحل نحوى صقلّي شهير، أبو عبد الله محمد الكتّاني إلى العراق وخراسان والهند الغزنوية وتوفي في إصفهان سنة ١١١٨ م (٣٠). وسكن صقلية [أبو عبد الله محمد] بن خراسان من موالى بني الأغلب وهو نحوى ومقرئ متصدِّر، ويوحى اسمه بأنه من أصل فارسي (٣١). وكتاب (رياضِ النفوس) هو مساهمة صقلية بارزة في أدب الطبقات، إذ يشتمل على تراجم عن سير وأعمال الفقهاء والنحويين واللغويين والشعراء وغيرهم. ورحل سعيد بن الحسن اللغوى من بغداد إلى صقلية وتوفي فيها سنة ٩٩٥ م. وأمضى طاهر بن محمد [بن] الرقباني الصقلى اللغوى الشطرَ الأكبر من حياته في صقلية [« ولم يكن في زمانه أعلم منه بلغة العرب . . . وقصدتْه العلماء من كل مكان »]. وكان ابنه على لغوياً أيضا، وكان يحفظ عن ظهر قلب شطراً كبيراً من الشعر العربي الجاهلى (٣٢).

وكان من أشهر علماء اللغة في صقلية الحسن بن رشيق المعروف بالقيرواني (٣٩٠/١٠٠٠-٤٦٣/١٠٧٠)؛ [وأبوه مملوك رومى من موالى الأزد] وُلدَ في المسيلة [أو المهدية حسب إحدى الروايات] وهاجر إلى صقلية، وتوفي في مازر. ولعل انتقاله إلى صقلية جاء نتيجة لغزوة قبائل بني هلال وما نتج عنها من خراب في

إفريقية . وكان ابن رشيق قبل قدومه إلى صقلية من إفريقية قد ألَّف كتابَ (العُمدة) [٣٣] تحت رعاية الأمير الزيرى المعز بن باديس ، ويُعتبر الكتاب من روائع المصنَّفات عن نقد الشعر في اللغة العربية . وألَّف ابن رشيق بعد وصوله إلى صقلية عدداً من الكتب الأخرى ، ولكنها فقدت . كما كان ابن رشيق من كبار شعراء العربية [٣٤] .

وأبو بكر محمد بن علي بن البر من علماء اللغة وفقهها وُلد في صقلية في أواخر القرن الرابع الهجرى/العاشر الميلادى ، وبعد أن تلقى العلم في المشرق وفي الاسكندرية والمهدية ، عاد إلى صقلية في أواخر الفترة الكلبية . وعاش بعد ذلك فترة من الزمن في مازر أيام صاحبها القائد ابن منكود ، وفيها التقى بابن رشيق . وقد أبعده ابن منكود عن مازر بسبب إدمانه الشراب ، فانتقل إلى بلرم وسكن فيها حتى سنة ١٠٦٨ م . وقد ساهم في بقاء التقليد الشعرى للمتنبي ، ولعلَّه يعود إليه انتقال قاموس (الصحَّاح) الشهير للجوهرى إلى الجزيرة [٣٥] .

ولم تصلْنا سوى شذراتٍ من أعمال الشعراء العرب في صقلية في كتب المجموعات والدواوين ، وأشهرها كتاب (الدرة الخطيرة والمختار من شعراء الجزيرة) لابن القطَّاع ، وقد ضمَّن عمادُ الدين الكاتب الأصفهاني في مجموعه الكبير (خريدة القصر وجريدة العصر) منتخبات من كتاب (الدرة الخطيرة) ومقطوعاتٍ من أعمال عدة شعراء آخرين من جزيرة صقلية [٣٦] . وترد مقتطفات ومنتخبات في مجموعات أخرى ككتابيْ ابن سعيد المغربي وابن بشرون .

وقد كان واحدٌ على الأقل من الأمراء الأغالبة الذين ولوا صقلية ، وهو محمد بن إبراهيم ، شاعراً . وكان واليا على مسينة ، وعلى الأراضي العربية في جنوب إيطاليا ، وأسره البيزنطيون [٣٧] . ونظم القصائدَ الشعريةَ عددٌ لا بأس به من الأمراء الكلبيين من بينهم أحمد بن الحسن ، وجعفر بن يوسف وغيرهما [٣٨] . ومن الطبيعى أن يكون هؤلاء وغيرهم من الأمراء الكلبيين رعاةً للشعراء ، وكذلك كان بعض سراة الكلبيين ورجال الدولة ، ومن بينهم الفقيه أبو موسى عيسى بن عبد المؤمن وابنه محمد [٣٩] . وكان من الشعراء أيضا الكاتب ابن الصبَّاغ من أنصار الأكحل وصديق ابن رشيق .

وثمة شاعر عربي يسترعي الانتباه عاش نحواً من نصف قرن في البلاط الكلبي ، هو ابن الخياط ، الذى لا يكاد يُعرف شيءٌ عن حياته في بلرم . وقد احتفظ لنا

صديقه إسماعيل التُجيبي ببعض المقطوعات من شعره . ووصلَنا حوالى مائتي بيتٍ من شعر ابن الخياط ، وفيها يظهر مادحاً لأمراء الكلبيين ومفتوناً بالمناظر الطبيعية في صقلية (٤٠) . ومن الشعراء أيضا أبو القاسم هاشم بن يونس ، وكان كذلك كاتب رسائل ومقامات ومُلَحٍ وروايات (٤١) . وأبو الفضل مشرف بن راشد الذى وصلتْنا قصائده الثلاث في المديح ، كان شاعراً ، في أشعاره انسجام ورقة ، كما أنه لم تُعوزه جزالة اللفظ أو سموُّ الفكر (٤٢) . ولعل ابن الطازي الذى تقدَّم ذكره كان أيضاً أكبر الهجَّائين في صقلية الكلبية ، ويبرز في هذا الميدان لما تتميَّز به أفكاره من حيوية ، فضلا عن أسلوبه اللاذع ورشاقة شعره وظرفه . وكان أبو الحسن على بن الحسن بن الطوبي كاتبا شهيراً آخر في ميدانيْ النثر والنظم ، وقد عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، وسافر إلى المشرق ، والتحق بعض الوقت ببلاط الأمير الزيرى المعز بن باديس في إفريقية (٤٣) . واتخذ [عثمان بن عبد الرحمن المعروف] بابن السوسي ، وهو شاعر من أصل أندلسي أو مالطى ، بلرم موطناً له ، وأشعاره عن صقلية مليئة بالشوق والحنين (٤٤) .

أما أغراض الشعر العربي الصقلى في الفترة الكلبية فهى المديح والنسيب والخمر والرثاء ، أو وصف قصرٍ أو عودٍ أو قنديلٍ أو أشجار البرتقال والنخيل . ولكثيرٍ من هذا الشعر جماله الفذ الفريد . ولا يتخلَّله كثير من الغزل المكشوف الذى يكثر في الشعر العربي عامة ، بل يلمس المرءُ فيه شعوراً بالفخر والاعتزاز ببسالة أبطال العرب في صقلية ، وبالثناء على بطولة أمرائها ، كما يلمس المرء فيه شعوراً ينمُّ عن أسى الإنسان يعبِّر عنه ببساطة نادرة (٤٥) .

ومن الطبيعى أن نجد صقلية العربية تنجذب في تقليدها الشعرى نحو إفريقية ، التي كانت ترتبط بها سياسياً ، إلا أن جابرييلى لاحظ وجود عناصر في الاتجاه وفي الأسلوب تشير إلى وجود صلة وثيقة بين التقاليد الشعرية العربية في كلٍ من الأندلس وصقلية . فقصائد أعلام شعراء العرب في الأندلس ، كابن زيدون وابن اللبَّانة وابن الزقَّاق ، لها نفس الخصائص التي نجدها في المقطوعات الباقية من الشعر الصقلى — نفس الأغراض ، ونفس التراث الخيالى ، ونفس المحسِّنات الشكلية ، لا بل وكثيرا ما نجد حتى نفس البحور التي تركِّز على الصورة الغنائية . وكادت صقلية أن تكون « ولاية أدبية » أندلسية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادى

عشر الميلاديين . والأزجال التي يشتهر بها ابن قزمان في الأندلس كانت تُنظم كذلك في صقلية ، ولعلّها كانت قريبة من روح السكان ولغتهم . وهذه الأزجال هي بمثابة مفتاح لطبيعة اللغة العربية التي كانوا يتخاطبون بها في الجزيرة ، ولعلّها كانت قريبة الشبه ببعض اللهجات العربية المعاصرة في شمال إفريقيا [٤٦] .

الفصل السادى

النورمان في صِقلّيَة

تفيد رواية إيمى من مونتي كاسينو(Aimé of Monte Cassino) أن ثُلّةً من فرسان النورمان في طريق عودتها من الحج إلى بيت المقدس وصلتْ ناحيةَ سالرنه (Salerno) بينما كان العرب يحاصرون المدينة ، فدحروا المحاصِرين وأجبروهم على الفرار . وقد أُعجب أمير سالرنه جويمار الرابع ببسالة هؤلاء المغامرين النورمان وبمهارتهم الحربية ، فبعث برسالة إلى مقاطعة نورماندى [بشمال فرنسا] يدعو فيها الجنودَ النورمان إلى الانضمام إلى جيشه . ويقال إنه استجاب لهذه الدعوة كثير من المغامرين النورمان وأتباعهم ، وقدموا إلى جنوب إيطاليا [١] . إلا أن هذه القصة قد تكون قصةً من نسج الخيال [٢] .

لما ظهر النورمان في جنوب إيطاليا في أوائل القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ، كانت المنطقة مجزّأةً إلى عدة وحدات صغيرة . فبولية (Apulia) وقلّورية (Calabria) كان يحتلها الروم البيزنطيون . وكانت جايتا (Gaeta) ونابولي وَملْف (Amalfi) جمهوريات صغيرة . وكانت بنفنت (Benevento), وكابوا وسالرنه إمارات لمباردية .

وما أن التحق المغامرون النورمان الأوائل في خدمة أمير سالرنه وغيره من صغار الأمراء حتى أخذوا في الإغارة على الأراضي البيزنطية ، ونجحوا في توطيد أقدامهم في جنوب إيطاليا على حساب البيزنطيين . وكان زعيمُهم وليام (غليالم) ، المعروفُ بصاحب الذراع الحديدى (William of the Iron Arm) ، أحدَ أبناء تانكريد من أُسرة هوتفيل (Hauteville) . وتوفي وليام في سنة ١٠٤٨ م ، واعتُبر أخوه دروجه (Drogo) خلفاً له في زعامة النورمان في مقاطعة بولية . ووصل شقيق دروجه ، روبرت جيسكارد (Guiscard) فيما بعد ، وعُهد إليه بافتتاح مقاطعة قلّورية . وكانت سيرةُ روبرت جيسكارد الأولى قائمةً على اللصوصية وقطع الطرق علناً ، فهو « لم يكنْ يستنكفُ عن ارتكاب كل أعمال العنف ، ولم يكن لشيءٍ قُدْسية في نظره . وكان لا

يحترم العجزةَ ولا النساء ولا الأطفال ، وهو في بعض الأحيان لم يكن يرأف بكنيسة أو دير » [٣] .

ومع أن دروجُه قُتل إثْر مؤامرة ضد النورمان في سنة ١٠٥١ م ، إلا أن قوة هؤلاء ظلَّت في نمو مضطرد . وأخيرا جرَّد البابا ليو التاسع السلاح ضدهم متحالفاً مع أرجيروس (Argyrus) ، القائد البيزنطي في باره ، إلا أن البابا مُني بهزيمة ووقع أسيرا في أيدى النورمان في سنة ١٠٥٣ م ، ولم يُفرجوا عنه حتى رضخ لجميع مطالبهم . وفي سنة ١٠٥٧ م هدَّد روبرت جيسكارد مدينة ريُّو (Reggio) بوّابة صقلية . وكان شقيقه رجار قد وصل قُبيْل ذلك إلى جنوب إيطاليا فأقرَّة في مونتي ليوني (Monteleone) . وفي سنة ١٠٥٨ م ، اختصم الأخوان روبرت ورجار ، ومارس رجار أعمال اللصوصية فعانت أراضي أخيه الويلات من هذه الأعمال . وأبرم روبرت صلحاً معه ، وتنازل له عن نصف مقاطعة قِلّورية [٤] .

وفي سنة ١٠٥٩ م ، تصالح النورمان مع البابا نيكولاس الثاني الذى تلقَّى قسَماً بالولاء من جيسكارد وقلَّده إمارة بولية وقلّورية وصقلية .

وفي سنة ١٠٦٠ م ، استولى جيسكارد على طارنت وبرنديزى وريُّو من أيدى البيزنطيين ، ولما احتل ريُّو « اجتذبْه وأخاه رجار صقلية اجتذاباً لا يقاوَم » ، إلا أن تهديد البيزنطيين لممتلكاتهما من الخلف كان ما يزال قائما . وفي الفترة ما بين سنتي ١٠٦٠ و١٠٧١ م ، ظل جيسكارد في صراع مستمر مع البيزنطيين ، وهو صراع خرج منه ظافراً ، إلا أنه بسبب انشغاله بالبيزنطيين ، أصبح دَوْره في افتتاح صقلية ثانوياً بالنسبة لدوْر أخيه رجار [٥] .

ولا بد أن النورمان استهوتهْم ثروةُ الجزيرة وخصبُها ، في حين أن وجود المسلمين في صقلية لا بد وأنه بدا للنورمان تهديداً لممتلكاتهم الإيطالية التي استحوذوا عليها حديثا [٦] . وعملت الحرب الأهلية والفوضى في صقلية على اجتذاب النورمان إليها . ويقول المؤرخون العرب إن ابن الثمنة كان قد عرض الجزيرة كلَّها على النورمان لقاء مساعدتهم له ، أما المصادر الأوروبية فتقول إنه عرض عليهم جزءاً منها فقط . ومهما يكن من أمر فإن ابن الثمنة ارتهن أحد أبنائه عند روبرت جيسكارد [٧] . كما أن الطريق أصبح ممهَّداً أمام الفتح النورماني لصقلية ، بعد الانتصارات التي حقَّقها الجنويون والبيشيون ضد العرب .

وقام رجار بأول محاولة استطلاعية في صقلية في سنة ١٠٦٠ م ، حينما أبحر من ريُّو وهاجم مسينة التي صمّدتْ في وجهه فانصرف إلى البر الإيطالى ، ويمكن صرف النظر عن الرواية المسيحية القائلة بأن رجار استدعاه النصارى في الجزيرة (٨) .

وفي فبراير سنة ١٠٦١ م ، هاجم رجار مسينة ثانية ، وكان ذلك هذه المرة بدعوة من ابن الثُّمنة ، إلا أن هجومه باء بالفشل للمرة الثانية . إن هذين الفشلين الأولين أقنعا رجار بأنه لا يمكن إحراز تقدم في صقلية ، إلا بعد الاستيلاء على مسينة ، ولذلك فإنه وأخاه روبرت جيسكارد ركّزا على مهمة إعداد حملة عسكرية قوية لهذا الغرض . وقد أدرك المدافعون المسلمون عن مسينة مدى هذا الخطر ، فاستصرخوا ابن الحوَّاس إرسال تعزيزات إليهم . وقد نزل رجار إلى البر في كالكارا (Calcara) جنوبي مسينة ، وأوقع هزيمة بقوة إسلامية كانت تقترب لمساعدة مسينة ، ثم سار على رأس جيش نورماني من ألفيْ رجل وتمكّن أخيرا من احتلال المدينة (٩) . وفر الجزء الأكبر من الحامية الإسلامية في مسينة ، وسبي النورمان نساء المسلمين وأطفالهم وعبيدهم ، كما ظفروا بغنائم وفيرة (١٠) .

وقد اتخذ جيسكارد مسينة مركزاً للعمليات النورمانية في صقلية ، وأعاد ترميم تحصيناتها . واحتل النورمان رمطة (Rametta) بسهولة ، إذ يُحتمل أن واليها كان من أنصار ابن الثُمنة . ولم يواجه النورمان أية مقاومة من جانب السكان النصارى في المنطقة الواقعة بين رمطة وفرازانُه (Frazanno) . ومضى جيش رجار قدُماً عبر وادى سيميتو (Simeto) إلى كنتوربي (Centorbi) ، إلا أنه لم يتمكّنْ من احتلالها ، ولكنه احتل بطرنو(Paterno) في مقاطعة قطانية . ويرى البعض أن هذه الحملة النورمانية في سنة ١٠٦١ م لعلّها كانت بغرض إعادة هذه الأراضي لابن الثُمنة ، وهى الأراضي التي يبدو أن ابن الحوَّاس كان قد احتلّها ، إذ إن النورمان لم يواجهوا في هذه المنطقة مقاومة تُذكر (١١) .

بيْد إن النورمان لقوا مقاومة حقيقية في حصار قصريانه (Castrogiovanni) حيث كان ابن الحوَّاس قد جمع من حوله جيشاً كبيراً ، ولم يتمكنوا من الاستيلاء على ذلك المعقل المنيع ، ولكنهم عاثوا في المناطق المجاورة . وأثناء حصار قصريانه ، كان روبرت جيسكارد على رأس النورمان ، بينما قام رجار بالعبث والتخريب في ناحية جرجنت (Girgenti) . ولما أخفق النورمان في الاستيلاء على قصريانه ، انسحبوا

وظلوا يحتفظون بمسينة ، وبموطئ القدم الذى كانوا قد أقاموه في صقلية [١٢] .

وفي أواخر سنة ١٠٦١ م ، عاث رجار ثانية بالمنطقة الواقعة بين مسينة وجرجنت ، وسلَّم نصارى طروينه (Troina) مدينتهم إليه . وفي ربيع سنة ١٠٦٢ م ، شنَّ غارة أخرى بالتعاون مع ابن الثمنة ، واحتل بَطَرْلَيْه (Petralia) بالقرب من جفلوذى (Cefaiu) . وبينما عاد رجار إلى إيطاليا ، واصل ابن الثمنة الحملة ولقي مصرعه في أحد الاشتباكات . وبموته حُرم النورمان من حليف قيِّم ، واضطروا إلى إخلاء طروينه وبَطْرَالْيه وإلى التقهقر إلى مسينة [١٣] . وفي هذه الآونة ، نشب نزاع آخر بين روبرت جيسكارد وأخيه رجار ، سُرعان ما سُوِّى خشية حدوث تمرد ، واتفق الأخوان على إقامة حكم مشترك بينهما على كل مدينة وكل معقل في مقاطعة قلَّورية .

وتمكَّن رجار الآن من صرف كل اهتمامه إلى صقلية ، إلا أن السكان النصارى ثاروا ضده عندئذ ، لأن الغزاة النورمان استباحوا نساءهم [١٤] . وبعد حصار طويل ، تمكَّن من استرداد طروينة .

وفي هذه الأثناء ، وبعد وقت قصير من تجربة الوقع الأول للنورمان ، لجأ بعض مسلمى صقلية إلى إفريقية ونقلوا إلى المعز بن باديس أخبار الوضع السيِّئ للمسلمين في الجزيرة والخلافات القائمة بينهم . فأرسل المعز قوةً بحريةً إلى صقلية ، إلا أنها تبدَّدتْ بفعل عاصفة قرب جزيرة قَوْصَرة (Pantellaria) . وقرر تميم الذى خلف أباه سنة ٤٥٤ هـ/١٠٦٢ م إرسال حملة عسكرية أخرى بقيادة ابنيْه أيوب وعلى . ونزل أيوب إلى البر في بلرم وأقام سيادةَ أبيه في المنطقة الممتدة من مازر إلى جفلوذى . وبمساعدة ابن الحوَّاس ، وطَّد على أقدامه في جرجنت ، ثم ساعد على تعزيز حامية قصريانه .

ولبعض الوقت بعد سنة ١٠٦٣ م ، كان أيوب القائدَ العسكريَّ المسلمَ الرئيسيَّ في صقلية ، إلا أن الخلاف كان قد نشب بين المسلمين الصقليين والحملة العسكرية القادمة من إفريقية . وتنازع أيوب وابن الحوَّاس واقتتلا ، ولقي الأخير مصرعه وسيطر أيوب على جرجنت وقصريانه وبلرم . وفي الفترة ما بين سنتي ١٠٦٥ م و١٠٦٧ م ، لم تقع معركة كبرى بين المسلمين والنورمان . إلا أن رجار أوقع في سنة ١٠٦٨ م هزيمةً حاسمةً بأيوب في منزل الأمير (Misilmeri) ، مما أوهن الروح المعنوية للجماعة القادمة

من إفريقة ، وأضعف من هيبتها ، فانسحبت مع أيوب إلى إفريقية تاركةً مسلمى صقلية وقد اعترى تنظيمَهم خللٌ كبير . إلا أنه كانت أمامهم مهلة لبضع سنوات حتى سنة ١٠٧١ م ، إذ إن رجار كان قد توجّه إلى إيطاليا لمساعدة أخيه في حصار باره .

وبعد سقوط باره ، جهّز روبرت أسطولا للمساعدة في الاستيلاء على بلرم ، التي لا تكفي محاصرتها براً ، لأن المدينة تستطيع تلقي الإعانات والمؤن عن طريق البحر . وكان أسطوله يضم بحّارة من باره وقلّورية ومن اليونان . وفي طريقهم إلى بلرم ، احتل النورمان غدراً مقر حلفاء ابن الثمنة الذين كانوا ما يزالون حلفاء لهم [١٥] . ثم تجمّعت القوات النورمانية عند بلرم وحاصرتها براً وبحرا . ووصلت قوة عسكرية من إفريقية لنجدة الحاضرة المحاصَرة واخترقت الحصار المضروب على المدينة ، ولكنها مُنيت بخسائر كبيرة . وتواصل الحصار عدة شهور ، وفيه هلك الكثيرون من المحاصِرين والمحاصَرين بسبب المجاعة . وأخيرا استسلمت بلرم في ربيع ثاني سنة ٤٦٤ هـ/يناير ١٠٧٢ م ، ومُنح سكانها المسلمون ضمانات بحماية أرواحهم وديانتهم وشرائعهم [١٦] .

وقد أدى سقوط بلرم إلى استسلام مازر أيضا ، إلا أن قصريانه واصلتْ صمودها . وفي سنة ١٠٧٢ م ، كان كل الساحل الشمالى للجزيرة في أيدى النورمان . وفي الغرب كانت سلطة النورمان تمتد حتى مازر ، وكانت سلطتهم في الشرق تمتد حتى مسينة . وأصبح المسلمون في وسط الجزيرة مطوّقين من كلا الجانبين . واقتسم الأخوان الممتلكات النورمانية في الجزيرة ، فاحتفظ جيسكارد بالسيادة على الجزيرة ، كما كانت له السيطرة المباشرة على بلرم وعلى جزء من مسينة وإقليم دمنش ، وكان الباقي من نصيب أخيه رجار الذى قلّده جيسكارد منصبَ قومس (كونت) صقلية .

وبعد سقوط بلرم ، صمد المسلمون حتى في إقليم دمنش في مثلثٍ تحيط به ممتلكات النورمان في مسينة وطروينه وقطانية ، متمركزين في طبرمين (Taormina) . كما كان المسلمون يسيطرون على أطرابنش/طرابنش (Trapani) والمناطق المجاورة لها . وكان ولاء المناطق العربية إما لأمير قصريانه في الوسط ، وإما لأمير سرقوسة في الجنوب .

وفي سنة ١٠٧٢ م ، كان بطل المقاومة الإسلامية في الجنوب (Benavert) أو

(Benarvet) حسب رواية المؤرخين الأوروبيين [١٧] ، ولعلّه ابن عباد [١٨] الذى امتدحه الشاعر الصقلّى الشهير ابن حمديس . وفي هذه المرحلة ، ثار الجزء الإسلامى من الجزيرة بأسره على النورمان . واستصرخ الأهالى الأمير الزيرى تميم بن المعز الذى أرسل في سنة ١٠٧٤ م أسطولا صغيراً أغار على نقوطره (Nicotra) في مقاطعة قلّورية ، وقام في العام التالى بإنزال جنود إلى البر قرب مازر ، إلا أنهم صُدُّوا على أيدى النورمان . وثأرا من غارات المسلمين ، وخصوصا أعمال ابن عباد الحربية ، عاث رجار في البلاد عيثاً أدى إلى معاناة صقلية في سنة ٤٦٩ هـ/٦-١٠٧٧ م من مجاعة شديدة [١٩] . وفي سنة ١٠٧٩ م ، نظّم رجار حملة ضد طبرمين ومنطقة جبل النار (إتنة) واحتلها . وبينما كان النورمان ملتحمين في الصراع ضد البيزنطيين في سنة ١٠٨١ م ، جدّد ابن عباد نشاطه الحربي ، وانتصر على قائد قطانية النورماني (وكان مسلماً قد تنصّر) واحتلّ تلك المدينة مؤقتا ، إلا ان النورمان هزموه آخر الأمر وأُبعد نحو الجنوب .

وفي سنة ١٠٨٤ م ، استأنف ابن عباد نشاطه الحربي ، وعاث بساحل قلورية وأرباض مدينة ريّو وأشعل النار في بعض الكنائس ، واحتل دير روكا داسينو (Rocca d'Asino) وأسر جميع الرهبان فيه . وكان لذلك رد فعل قوى في إيطاليا ، وقرر رجار استغلال هذا الحادث . واتخذت حملته ضد الجزء الذى كان ما يزال في أيدى المسلمين طابع حملة صليبية ، ويمكن القول إنه من تلك اللحظة فصاعداً ، تميّزت المراحل التالية من الغزو النورماني لصقلية بعنصر كبير من الحمية الدينية . وفي سنة ١٠٨٢ م ، قُتل ابن عباد ، وسقطت سرقوسة في أيدى النورمان . وفي شهر يوليو من نفس العام ، تم احتلال جرجنت ، ولم يبق عندئذ في أيدى المسلمين سوى نوطس (Noto) وبثيرة (Butera) وقصريانه . واستسلم [ابن] حمود أمير قصريانه لرجار وتنصّر ومُنح إقطاعا في مقاطعة قلّورية . ولم تلبث حامية قصريانه أن استسلمت بعد أن تخلى عنها قائدها . وفي الفترة بين سنتىْ ١٠٨٦ و١٠٨٨ م ، شُغل رجار بشؤون إيطاليا ، إلا أنه في سنة ١٠٨٨ م احتل بثيرة ، ورُحّل سكانها المسلمون إلى قِلّورية [٢٠] . وفي سنة ٤٨٤ هـ/١٠٩١ م ، استسلمت آخر المدن الإسلامية نوطس ، فتم بذلك افتتاح النورمان لجزيرة صقلية . وكان الجيش النورماني الذى

افتتح الجزيرة يضمُّ أجناسا متباينة : فالنبلاء كانوا من النورمان ، أما الجند فقد ضمَّ عدداً لا يُستهان به من الإيطاليين [٢١] .

وبالمقارنة بالفتح الإسلامي للجزيرة ، فإن الفتح النورماني لصقلية تمَّ في خلال ثلاثين عاماً (٤٥٤ – ٤٨٤ هـ/١٠٦١ – ١٠٩١ م) ، ويرجع الفضل الأكبر فيه إلى شخص واحد هو الكونت رجار ، مع أنه تلقَّى في المراحل الأولى من الفتح مساعدةً ومشاركةً هامتين من أخيه جيسكارد . وكان من الممكن أن يتم الفتح النورماني لصقلية في فترة أقصر من ذلك ، لولا أن القوة العسكرية المتوفرة لرجار كانت ما أمكن الاستغناء عنه من التزامات النورمان ومواجهاتهم الكبرى في إيطاليا .

وبعد وفاة روبرت جيسكارد في سنة ١٠٨٥ م ، أصبح الكونت رجار قويا جدا ، ومع أنه اعترف بسيادة ابن أخيه دوق رجار ، إلا أنه كان بوسعه التعامل معه على قدم المساواة . وفي الواقع ، فإنه كان يمثل الاستقرار والقوة وسط الفوضى العامة السائدة في ممتلكات النورمان في إيطاليا . وفي مقابل الخدمات التي أسداها رجار لابن أخيه في التحكيم ، انتزع منه التنازل له عن معاقل في قلَّورية فضلا عن النصف من بلرم الذى كان من نصيب جيسكارد . وأصبح رجار صاحب صقلية من الشخصيات البارزة في أوروبا . وسعى إلى التحالف معه كل من الكونت ريمون الرابع صاحب سينت جيل (St. Gilles) [بجنوب غربي فرنسا] ، وفليب الأول ملك فرنسا ، وكونراد بن هنرى الرابع ، وملك المجر كالمان/كولومان (Kalman/Koloman) . ولما عجز ابن أخيه عن تقديم الحماية التي طلبها منه البابا إربان الثاني (Urban) ، فإن البابا عرض الحماية على صاحب صقلية في سنة ١٠٩٨ م ، وتنازل له عن السفارة الرسولية (Apostolic Legateship) ، ونتج عن ذلك أن تدخل البابا في دولة رجار لم يعُدْ يتم إلا عن طريق الكونت رجار نفسه . وهكذا تمكَّن رجار صاحب صقلية من إعادة صقلية إلى مجرى السياسة الأوروبية بفضل قوته العسكرية التي كان يشكِّل المسلمون جزءاً كبيراً منها [٢٢] .

وبعيْد وفاة أخيه ، شرع رجار في تقسيم ممتلكاته في صقلية وإيطاليا إلى إقطاعات وزَّعها بين أفراد أسرته وبين أصحابه . فانتشر بذلك نظام الإقطاع في صقلية التي كان جانب كبير من سكانها من المسلمين. وقد احتفظ هذا التقسيم في بعض الحالات

بتوزيع الأراضي كما كان في فترة الحكم الإسلامي للجزيرة ، وفي هذه الحالة ، كانت الإقطاعات تماثل الأقاليم الإسلامية السابقة . ومن القوائم التي وصلتنا والتي احتفظ فيها المُقطَعون بأسماء عبيد الأرض [أو رجال الجرائد] (villeins) في إقطاعاتهم ، يبدو أن عدداً كبيراً من هؤلاء كانوا من المسلمين (٢٣) .

وفي العقد الذى تلا إتمام الفتح النورماني ، من سنة ١٠٩١ إلى ١١٠١ م ، ساد الهدوء الجزيرة وأبدى رجار تسامحاً في الحكم . والثورة الكبيرة الوحيدة التي حدثت ضده هي ثورة مسلمي بَنْطليقة (Pantalica) وتم إخمادها بسهولة . ويمكن القول إجمالا بأن المسلمين الذين عاملهم رجار بتسامح ظلُّوا مطيعين له . وكان العنصر الإسلامي في جيشه بارزاً في الهجمات التي شنَّها على مَلْف وكابوا في سنة ١٠٩٨ م . وقد قاوم لأسباب تتعلق بسلامة الدولة ضغوطَ الكنيسة لتنصير المسلمين (٢٤) .

وتوفي رجار سنة ١١٠١ م وقد بلغ السبعين من العمر ، وكان في ذروة قوته . واستمرت وصاية أرملته الكونتيس أدليد (Adelaide) عشر سنوات من سنة ١١٠١ إلى سنة ١١١١ م . وحكمت صقلية وقلَّورية باسم ابنها سيمون حتى سنة ١١٠٣ م ، وباسم ابنها الثاني رجار الثاني حتى سنة ١١١١ م . ويبدو أنه لم تقع أحداث ذات بال في فترة الوصاية ، وفيها أصبحت بلرم مقراً للحكومة . وفي أواخر أيام وصايتها ، خُطبت اديليد من قِبَل بولدوين (Baldwin) ملك بيت المقدس [الصليبي ، الذى تسميه المصادر العربية بردويل] . وقبل توجهها إلى بيت المقدس ، اشترطت اديليد أن يؤول تاجُ مملكة بيت المقدس إلى ابنها رجار الثاني إذا كان زواجها الثاني بدون عقب . إلا أن هذا الاتفاق ظلَّ حبراً على ورق ، وماتت الملكة المهجورة تعيسةً في صقلية .

إن رجار الثاني (حكم ١١١١–١١٥٤ م) هو اشهر حُكَّام صقلية النورمان وأبرزهم . وعلى أثر وفاة ابن عمه وليام (غليالم) الأول دوق بولية في سنة ١١٢٧ م ، ظهر رجار أمام سالرنه وحمل البابا هنوريوس الثاني على أن يقلّده ، مُكرهاً ، دوقية بولية أيضا . وفي الفترة ما بين سنتي ١١٢٧ و١١٣٠ م ، توحَّدت بزعامته الإمارات التي كان رؤساء النورمان قد أقاموها في إيطاليا وصقلية . واغتنم رجار الثاني فرصة انتخاب شخصيْن ، هما أناليكتوس الثاني وانوسنت الثاني ، لكرسي البابوية سنة ١١٣٠ م ، فوعد بمساعدة الأول وحصل منه على « عرش

صقلية وقلّورية وبولية وإمارة كابوا والرئاسة الشرفية لنابولى وحماية أهل بنفنت) [٢٥] . وعلى الأثر تمَّ تتويجه ملكاً في بلرم .

ومن آن إلى آخر ، كانت الأمبراطوريتان الألمانية والبيزنطية تتحدان ضد المملكة الجديدة في صقلية ، واضُطرَّ رجار الثاني وخلفه إلى الكفاح ضد اعتداء هاتين الأمبراطوريتين . أما البابا الذى كان قد وافق مُكرهاً على إنشاء مملكة صقلية ، فإن سياسته تأرجحتْ بين مساندة الأمبراطور الألماني ضد صقلية ، وبين مساندة صقلية ضد الأمبراطور . وفي المواجهات الأوروبية ، استخدم رجار جنوده من مسلمى صقلية على نطاق كبير .

والمواجهة الحربية الرئيسية لرجار الثاني مع العالم الإسلامى كانت حملاتهُ البحرية ضد عدد من المدن الواقعة على ساحل الشمال الأفريقي واحتلالها آخر الأمر . وتولَّى تنظيمَ الأسطول النورماني قائدان بحريان من أصل يوناني هما جورج الأنطاكى وكريستودولوس (Christodulus) ، وتشير المصادر العربية إلى الأخير باسم عبد الرحمن النصراني . وكان جورج الأنطاكى قد عمل سابقا في خدمة الأمير الزيرى تميم ، فتوفَّرتْ لديه معلومات وافية عن طبوغرافية ساحل شمال إفريقيا ، ثم التحق بخدمة رجار الثاني في سنة ١١١٢ م [٢٦] . وقام الأسطول النورماني بقيادة هذين المقدَّمين البحريين بمناهضة الدول الإسلامية في شمال إفريقيا للسيادة البحرية في البحر المتوسط . وفي سنة ١١١٣ م ، كانت قِطَعٌ من أسطول بني زيرى قد أغارت على نابولى وسالرنه ، ونتيجة لنشاط غزاة البحر المسلمين أصبح البحر غير مأمون بالنسبة للتجار والحجاج الأوروبيين . إلا أن المنازعاتِ الداخليةَ بين الدول الإسلامية في شمال إفريقيا أتاحتْ للنورمان الفرصة التي كانوا يتطلَّعون إليها .

وقد باءت بالفشل المحاولاتُ الأولى التي قام بها رجار الثاني ما بين سنتي ١١١٨ و١١٢٧ م لإحراز موطئ قدم في شمال إفريقيا . وفي أثناء الفوضى التي سادت شمال إفريقيا على أثر قدوم قبائل بني هلال ، أقيمتْ في قابس إمارة عربية صغيرة هى إمارة بني جامع . وقد قبل الأمير الزيرى يحيي بن تميم التعايش معها ، إلا أن ابنه علياً هاجمها ، فاستنجد بنو جامع برجار الثاني الذى أرسل أسطولا لمساعدتهم ، نظرا للعلاقات التجارية بينهما . وقد فشلت هذه الحملة النورمانية الأولى ، وكانت بدايةَ العداء بين النورمان وبين أمراء بني زيرى . واستنجد على بن يحيي بالمرابطين ، ولكنه

توفي في سنة ١١٢١ م ، وخلفه في الحكم ابنه الحسن الذى كان آخر أمراء بني زيرى [في إفريقية] . وفي سنة ١١٢٢ م ، قام بنو ميمون من أتباع السلطان المرابطى على بن يوسف بن تاشفين بمهاجمة نقوطرة (Nicotra) في مقاطعة قلّورية ونهبها ، وذبحوا جانبا من سكانها ، واسترقّوا بعضهم . ورداً على هذا الهجوم ، أرسل رجار الثاني أسطولا ضد المهدية و[قصر] الديماس بقيادة مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكى . وقد غرقت بعض المراكب بسبب هبوب عاصفة ، أما المراكب التي قُدِّر لها الوصول إلى المهدية ، فكانت ضعيفة الأثر ، ولم يعُدْ إلى صقلية من مراكب النورمان الثلاثمائة سوى مائة مركب . وفي سنة ١١٢٧ م ، غزا بنو ميمون أراضي النورمان للمرة الثانية ، فهاجموا بَطِّي (Patti) ، وهدَّدوا قطانية ، وأنزلوا جنوداً إلى البر لفترة قصيرة قرب سرقوسة ، حيث ظفروا بالغنائم والأسرى . ولمواجهة المرابطين ، اضطرَّ رجار الثاني إلى العمل على التحالف مع ريمون الثالث كونت برشلونة [٢٧] .

وفي هذه الأثناء ، ساءت أحوال مملكة بني زيرى وازداد ضعفها ، بحيث لم يعُدْ ثمة أمل في بقائها . وفي سنة ١١٣٥ م ، سار يحيي بن عبد العزيز من أمراء بني حماد نحو المهدية . ولمواجهة هذا الخطر ، لم يكتف الأمير الزيرى الحسن بالاستعانة بقبائل بني هلال فحسب ، بل استعان أيضا بالنورمان أعداء الأمس . وهزَم حلفاؤه الحماديين [٢٨] ، وقامت بين بني زيرى والنورمان علاقة تتصف بكونها أكثر من هدنة . ومن سنة ١١٣٥ م فصاعداً ، كانت سياسة رجار الثاني تقوم على ترك المهدية وشأنها مؤقتاً ، ثم أن يرسل ، بحجة تأديب غزاة البحر المسلمين ، حملات ضد نقاط أخرى على ساحل شمال إفريقيا ، حيث لم يكن سلطان للأمير الزيرى . وفي سنة ٥٢٩ هـ/١١٣٥ م ، احتل أسطول نورماني جزيرة جربة [« وملك الفرنج الجزيرة ، وغنموا أموالها وسبوا نساءها وأطفالها وهلك أكثر رجالها ، وعاد من بقي منهم وأخذوا لأنفسهم أماناً من رجار ملك صقلية ، وافتكوا أسراهم وسبيهم »] [٢٩] .

ومن سنة ٥٣٧ هـ/١١٤٣ م فصاعداً ، تواصلت حملات النورمان على ساحل شمال إفريقيا . وأخفقت قوة بحرية صقلية في محاولتها الاستيلاء على مدينة طرابلس الغرب ، حيث كان بنو مطروح قد أعلنوا استقلالهم عن بني زيرى [٣٠] . وعاثت القوة النورمانية في طريق عودتها بمدينة جيجل الساحلية التابعة لبني حماد . وفي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٤ م هاجم النورمان مدينة برشك وجزيرة قرقنة . وفي سنة

٥٤١ هـ/١١٤٧ م نجح النورمان في هزيمة بني مطروح واحتلال مدينة طرابلس الغرب حيث « سفكوا دماء أهلها وأخذوا نساءهم وأموالهم . . . ثم نودى بالأمان في كافة الناس ، فرجع كل من فرَّ منها . . . وألزم أهل صقلية والروم بالسفر إليها ، فانعمرت سريعاً وحسُن حالها »[٣١] .

وفي سنة ٥٤٢ هـ/١١٤٧ م ، اغتصب شخص [اسمه يوسف] الحكم في مدينة قابس ، فاستنجد أميرها [معمر بن رشيد] من أسرة بني جامع بالأمير الحسن الزيرى ، بينما استنجد مغتصب الحكم بالنورمان . وقام الأمير الحسن باحتلال قابس وإعدام مغتصب الحكم ، مما أتاح الفرصة لرجار الثاني لخرق صلحه مع الأمير الحسن . واحتلَّ أسطول نورماني بقيادة مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكى مدينة المهدية في سنة ٥٤٣ هـ/١١٤٨ م . وكان ذلك بمثابة مشاركة رمزية من جانب رجار الثاني في الحروب الصليبية . وكما جرى في مدينة طرابلس الغرب ، لم يلبث النورمان أن أعلنوا عفواً عاما في مدينة المهدية ، وسرعان ما عاد إلى المدينة نشاطها الذى عهدتْه أيام حكم بني زيرى الذين أفلتْ شمسُهم الآن[٣٢] .

كما احتل النورمان في سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨ م مدن سوسة وصفاقس وقابس . ومع أن مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكى توفي في سنة ١١٥٢ م ، فإن استيلاء النورمان على مدن شمال إفريقيا الساحلية استمر ، ففي سنة ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م احتُلَّتْ مدينة بونة (عنابة) . وفيما عدا مدينة تونس ومدينة أو مدينتيْن أخريين ، فإن جميع مدن ساحل شمال إفريقيا دفعت الجزية لرجار الثاني ، الذى أضاف إلى ألقابه لقبَ ، (ملك إفريقية)[٣٣] . وكان حكم رجار الثاني لساحل شمال إفريقيا رحيماً بالسكان المسلمين ، كما كان رحيماً بالمسلمين في صقلية . فقد رمَّم المدن ، ووفَّر رأس المال للتجار ، وتصدَّق على الفقراء ، وولَّى قضاةً حازوا رضا الأهالى[٣٤] .

وفي الوقت الذى كان فيه أسطول رجار الثاني يحتل ساحل إفريقية ، فإن ثمة ما يبعث على الاعتقاد بأنه انتهج سياسة ودية تجاه الفاطميين في مصر ، الذين كانت علاقاته التجارية معهم مُرضية[٣٥] . ويبدو أن التجارة عامة ، وتجارة القمح خاصة ، بين صقلية ودول شمال إفريقيا استمرت حتى خلال السنوات الطويلة من الحروب القائمة بينهما .

وتوفي رجار الثاني في سنة ١١٥٤ م عن عمر يناهز ثمانيةً وخمسين عاما . وكان

قد ساد ممتلكاته أمن وسلم ورخاء لم تتوفر في أوروبا آنذاك . وقد أصلح القانونَ القضائي ، ووضع القانون والأمن موضع التنفيذ . واستعان في النهوض بالإدارة المدنية برجال أكفاء يتكلمون لغاتٍ مختلفة ، ويعتنقون أدياناً ومذاهبَ مختلفة . ولم تفارقه روحُ التسامح إلا في أواخر أيام حكمه ، أما في معظم سنوات حكمه فقد كان تصرفه تصرفاً حسناً حتى إن ابن الأثير امتدحه لحمايته المسلمين ، وإظهار المودة لهم [٣٦] . وكانت بطانته من المسلمين وغيرهم ، ويقال إنه كان في جملة حريمه سبايا مسلمات فضلاً عما كان في حاشيته من العبيد والفتيان المجابيب . وكان يرتاح لصحبة علماء المسلمين ، وقد أمضى كثيرا من الوقت في السنوات الأربع عشرة الأخيرة من حكمه في بحث الأمور العلمية حسب التقاليد العربية . وقد راجت بين رعايا مملكته من المسلمين والنصارى شائعات لا أساس لها من الصحة مفادها أنه كان مسلماً سراً [٣٧] . وكان من بين الشخصيات اللامعة الرئيسية الخمسة في بلاطه عربيان هما أبو الصلت أمية [بن عبد العزيز] والشريف الأدريسي ، وثلاثة من اليونان هم يوجينيوس ، ونيلوس دكسوباتريوس ، وثيوفانيس كيراميوس [٣٨] . ومع أن رجار الثاني كان يعرف اليونانية والعربية ، إلا أنه كان يؤثر استعمال اليونانية في مكاتباته الدبلوماسية ، حتى مع السلاطين المسلمين [٣٩] .

وكان في الوقت ذاته راعياً للكنيسة المسيحية . فقد شيَّد أثرين دينيَّيْن عظيمَيْن هما الكنيسة الملكية في القصر(Capella Palatina)، والكاتدرائية في مدينة جفلوذى (Cefalu) . ويرى البعض أن رجار الثاني كان يرغب في أن تكون تحت سلطانه كنيسة « قومية » ، وهي فكرة لعلَّها مستمدة من التأثير اليوناني ، وعلى هذا الأساس فإنه كان يصبو إلى أن يجمع في يديه السلطتين الزمنية والدينية معاً [٤٠] .

وقد خلَفَ رجار الثاني في المُلكْ ابنُه وليام (غليالم) الأول (حَكَم ١١٥٤–١١٦٦ م) . ولما كان وليام دون والده نشاطاً ، وفي رأى ابن الأثير فاسد التدبير ، فإنه ترك لوزرائه أمر تصريف شؤون الدولة . وفي سنة ٤–١١٥٥ م ، احتل البيزنطيون باره وطراني (Trani) وجيونيتسو (Gionenezzo) ومُلفته (Molfetta) ، كما زحفت ضده قوات البابا وثار عليه أتباعه الإقطاعيون . إلا أن وليام نجح في إخضاع الثائرين في سنة ١١٥٦ م ، واسترد المدن التي كان قد احتلَّها

البيزنطيون . واضطُر البابا هادريان الرابع إلى التعامل معه ، وأقرّه في ممتلكاته الصقلية والإيطالية .

وبعد سنة ١١٥٦ م ، ازدادت سلطة ونفوذ كبير وزرائه مايو (مايوني) (Maio/Majone) . وكان الحزب الذى تزعمه مايو والملكة مارغريت حزبَ القصر ، وهو حزب معادٍ لحزب النبلاء ، وكان بعضهم قد شارك في الثورة السابقة . وكان حزب القصر يضم رجال القصر ، وكثير منهم من المسلمين الذين اضطلعوا بدور هام في الإدارة المالية التابعة لمايو [٤١] . وألقى النبلاء اللوم على مايو للإجراء الصارم الذى كان وليام الأول قد اتخذه ضدهم بعد الثورة ، وكذلك لحرمانهم من المشاركة في الحكومة . كما أن مايو لم يكن محبوباً من قِبَل سكان المدن الكبرى ، الذين ألقوا عليه تبعةَ حرمانهم من حرياتهم البلدية ، ولفرضه ضرائب باهظة عليهم . وأخيرا دُبِّرتْ مؤامرة ، وقامت ثورة كبرى ، شارك فيها النبلاء وعناصرُ أخرى ، أودتْ بحياة مايو في سنة ١١٦١ م ، لا بل إن الثائرين قبضوا على الملك نفسه ، إلا أنهم اضطروا إلى الإفراج عنه تحت ضغط الشعب والكنيسة . وعلى الأثر نجح وليام في معالجة أمر النبلاء في صقلية وجنوب إيطاليا .

وكان للاضطراب الذى حدث في صقلية نظيرُه في شمال إفريقيا . وفقد وليام الأول المواقعَ التي كان والده قد استحوذ عليها في شمال إفريقيا . ومع أن النورمان قاموا بالإغارة على تنيس في مصر وانتهبوها في سنة ١١٥٤ م، إلا أن هذه الغارة كانت في الحقيقة استمراراً تلقائياً للفتوحات التي أُحرزت في شمال إفريقيا في عهد رجار الثاني . وقد حدث الآن رد فعل في شمال إفريقيا لتلك الفتوحات . ففي صفاقس ، ثار في سنة ٥٥١هـ/١١٥٨ م عمر بن الحسين الفريانّي وتكلّلت ثورته بالنجاح . وحذت جزيرتا جربة وقرقنة حذو صفاقس . وفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٨ م ، استردَّ بنو مطروح سلطانهم في مدينة طرابلس الغرب . وفي قابس ثار على النورمان محمد بن رشيد ، وكانوا قد نصّبوه قائداً على المدينة ، ونجح في ثورته عليهم . وفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٨ م ، أرسل وليام الأول عشرين شينيّاً لإخماد ثورة في زويلة وحقّق بعض النجاح . إلا أنه ما أن حلّ عام ٥٥٢هـ/١١٥٩ م حتى وصل السلطان الموحدى عبد المؤمن [بن على] بعد زحف طويل [من

مراكش] لم يعرف الكلل ، وصفّى ممتلكات النورمان في شمال إفريقيا . وفي سنة ٥٥٥هـ/١١٦٠ م ، قطع عبد المؤمن وصول المؤن عن الحامية النورمانية في المهدية مما اضطرها إلى الاستسلام [« ودخل عبد المؤمن المهدية بكرة عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وسمّاها سنة الأخماس »] [٤٣] وبذلك أنهى عبد المؤمن المغامرة النورمانية في شمال إفريقيا .

وكان وليام الأول بطبيعته كسولا ، ولعلّه كان « قاسيا » ، إلاّ أنّ صفة «السيّئ» (The Bad) التي خلعها عليه فالكاندوس ، أحد المدافعين عن حزب النبلاء ، صفة فيها نظر . وقد كان وليام ينفر من السياسة ، وكان أكثر ميلا من أبيه لحياة الدعة في القصور وبين الحريم ، محتذيا في ذلك حذو سلاطين المسلمين. وكان كوالده يحب مناقشة المسائل الأدبية والفلسفية مع العلماء اليونان والمسلمين [٤٤] . وقبل وفاته في سنة ١١٦٦ م ، كان وليام الأول قد عيّن زوجته الملكة مارغريت وصيّةً على المملكة إلا أن سلطتها هذه اغتصبها « مجلس العشرة » الذى نصّبه النبلاء الثائرون . ونجح إنجليزى هو ولتر أُوفاميل (Walter Ophamil) ، الذى عُيِّن رئيساً لأساقفة بلرم في سنة ١١٦٩ م ، في تجريد « مجلس العشرة » من السلطة التي كان المجلس قد اغتصبها ، وعاد إلى السياسات الإدارية التي كان قد انتهجها رجار الثاني ووليام الأول . واحتفظ بثقة وليام الثاني ، حينما بلغ الأخير سنّ الرشد ، وتقلّد زمام الحكم [٤٥] .

وكان وليام الثاني (حكم ١١٦٦–١١٨٩ م) ، بعكس أبيه ، محبوباً في المملكة ، وهو يُعرف في التاريخ باسم وليام « الطيِّب » (The Good) . وحينما ارتقى العرش لم يكن يتجاوز الثالثة عشرة من العمر ، ويبدأ حكمه الحقيقي في سنة ١١٧١ م . وبالرغم من معارضة وزرائه ، جهز وليام الثاني حملات عبر البحر المتوسط ضد أراضي المسلمين . وكانت هذه السياسة تحدوها دوافع دينية في المقام الأول . ومع أنها كانت ترمى إلى إحداث ضغط لحماية تجارة صقلية مع المشرق ، إلا أن أهدافها الأساسية كانت تأمين خطوط المواصلات بين أوروبا والأراضي المقدسة [فلسطين] وتوفير الحماية النورمانية للجماعات النصرانية في المشرق . وكان وليام الثاني من بين أول من حَملَ الصليب عند بدء الحملة المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة [١١٨٩–١١٩٢ م] مع أنه لم يتمكّن من المشاركة فيها شخصياً ، وتوفي في سنة

١١٨٩ م . إلا أن مقدَّم أسطوله مارجريتوس (Margaritus) أبلى في الأعمال الحربية المسيحية قرب مدينة اللاذقية [٤٦] .

وأثناء فترة حكم وليام الثاني ، تكررت الغارات على ساحل مصر ، فأغار النورمان على دمياط في سنة ١١٦٩ م . وفي سنة ١١٧٤ م ، قام أسطول نورماني قوى ، قوامه مائتان وثمانون شينّياً على متنها ثلاثون ألف رجل وألف وخمسمائة حصان ، بمهاجمة الأسكندرية ، إلا أنه لم يستطع أن يُحرز تقدما يُذكر ، بفضل تحصينات المدينة أو القوة العسكرية المصرية التي أعدَّها السلطان صلاح الدين [٤٧] . وأغار الأسطول النورماني على تنيس مرتين ، ما بين سنتي ١١٧٥ و١١٧٨ م ، وعاث بالمدينة في الغارة الأخيرة . وفي سنة ٨٠ — ١١٨١ م ، أرسل وليام الثاني وحدة بحرية خاصة ضد جزر البليار [الجزائر الشرقية] التي كانت عندئذ في قبضة بني غانية المرابطين . ولم تُسفر هذه الحملة عن أية نتائج ، إذ إن الجنويين حلفاء النورمان أبرموا صلحاً منفصلاً مع بني غانية . وفي الوقت نفسه تقريبا ، عُقدت معاهدة بين وليام الثاني وبين السلطان الموحدى أبي يوسف يعقوب . ولعل الباعث على عقدها هو المصالح التجارية المتبادلة أكثر من العداء المشترك نحو بني غانية . ولدينا رواية [الرحالة الأندلسي] ابن جبير عن الملاحة والتجارة بين صقلية النورمانية والأندلس ، مع أنه يُحتمل أن معظم المراكب كان يمتلكها الجنويون [٤٨] .

ولما كان وليام الثاني يفتقر إلى النشاط الذى تميَّز به النورمان ، وقد أخلد إلى الراحة بين الحريم وحياة الدعة ، فإنه لم يقُمْ قط بقيادة قواته شخصياً فوق ساحة القتال ، إلا أنه كان سياسيا ثاقب الرأى ، وكانت فترة حكمه فترةً سادها السلام والهدوء . كما كان ، كأبيه وجده ، ملمًّا باللغة والعلوم العربية ، وهو الذى شيَّد كاتدرائية مونريالى (Monreale) وقصرَ القبة (La Cuba) . وقد اختار دانتي أن يضعه في الجنة [٤٩] .

توفي وليام الثاني دون أن يترك عقباً . وبناءً على رغبته ، كان ينبغي أن تخلفه على عرش صقلية كونستانسا (Constance) ابنة رجار الثاني التي كانت متزوجة من الأمبراطور الألماني هنرى السادس ، إلا أن نبلاء صقلية انقسموا إلى ثلاثة أحزاب .

وفي سنة ١١٩٠ م ، قام ماثيو من أجيلُّو (Matthew of Ajello) ، الذى أصبح المستشار ، بتنصيب تانكريد صاحب ليتشي (Tancred of Lecce) ملكاً ، وهو ابن غير شرعى للدوق رجار صاحب بولية ، وعلى ذلك فهو حفيد رجار الثاني . وقد قامت عدة ثورات ضد تانكريد ، منها الثورة المصيرية التي قام بها مسلمو صقلية ، وهى الثورة التي أشغلت تانكريد طوال السنة الأولى من حكمه . وبعد المذبحة التي حاقت بالمسلمين في بلرم ، انسحب معظمهم إلى الجبال في الداخل واحتلوا عدداً من المعاقل المنيعة . وتضاعفت أعدادهم حينما انضم إليهم عبيد الأرض المسلمون الذين فرُّوا من تحكُّم سادتهم الإقطاعيين النورمان (٥٠) . وكما سنرى فيما بعد ، فإن هذه الثورة ، وقمعها ، كانت بداية النهاية للوجود الإسلامى في جزيرة صقلية .

وقد وصلت الحملة الصليبية الثالثة إلى أبواب صقلية ، واحتل الملك الإنجليزى رتشارد قلب الأسد مدينةَ مسينة ، إلا أن تانكريد عقد اتفاقاً معه . وفي هذه الأثناء ، كان هنرى السادس يخطِّط لاحتلال صقلية ، مطالباً بميراث زوجته كونستانسا . فأبرم معاهدتين مع جنوة وبيش لضمان حيادهما ، وفي سنة ١١٩١ م ، حاصر نابولى وسالرنه ، واستقرَّت الأمبراطورة كونستانسا في قصر تيراشينا (Terracina) . إلا أن الأمبراطور اضطر إلى العودة إلى ألمانيا بسبب وباء كان قد تفشَّى في جيشه ، وقام أهل سالرنه بالقبض على الأمبراطورة وتسليمها إلى تانكريد صاحب ليتشي الذى اضطر إلى الأفراج عنها إزاء ضغط البابا سلستين الثالث .

وتوفي تانكريد في سنة ١١٩٤ م . ولم يكن خلواً من الكفاءة الفكرية ، وكان مُلمًّا باللغة اليونانية ، كما كان متمكناً من الثقافة العربية البيزنطية (٥١) . وخَلفَ وليام الثالث ، وهو قاصر ، أباه تانكريد تحت وصاية والدته سيبيلا (Sibylla) . وزحف هنرى السادس للمرة الثانية جنوبا سنة ١١٩٤ م ، وعقد معاهدة مع المدن اللمباردية [في جنوب إيطاليا] ، وحصل على مساعدة أسطولىْ بيش وجنوة ، وتمكَّن بسرعة ويسر من افتتاح مملكة صقلية ، مُنهياً بذلك الفصل النورماني من تاريخ الجزيرة .

الفصل السابع

النظُم العربية في بلاط النورمان وإدارتهم

ساد التأثير العربي أكثر من التأثير البيزنطى في تنظيم البلاط النورماني ، وفي ألقابه ومناصبه وعاداته ومراسمه . وقد اتخذ ثلاثةٌ من ملوك النورمان في صقلية بالفعل ألقاباً عربية : فرجار الثاني سمّى نفسَه (المعتز بالله) ، وحمل وليام الأول لقبَ (الهادى بأمر الله) ، وحمل وليام الثاني لقبَ (المستعز بالله) . وقد ظهرت هذه الألقاب على سكّتهم وفي نقوشهم [١] .

وقد صدرت الوثائق والمراسيم عن بلاط رجار الثاني باللغات اللاتينية واليونانية والعربية . والقرارات بالعربية ، أو باللغتين اليونانية والعربية ، التي لم يكُنْ رجار الثاني يوقّعها شخصياً ، كانت تحمل علامته بالعربية ، على غرار ما كان يصدر عن السلاطين المسلمين . وكانت هذه العلامة تقوم على آية قرآنية كريمة [٢] « الحمد لله حقَّ حمدُه » و« الحمد للهَ شكراً لأنعُمه » . وفي وثائق مختلفة ، سمّى رجار نفسه (الملك المعظّم القدّيس) . وكانت عُملته تحمل لقبه العربي تقليداً للفاطميين ، فضلاً عن لقبه المسيحى بالعربية (ناصر النصرانية) [٣] . وسمّى مادحُه العربيُّ عبدُ الرحمن الأطرابنشي منتزهَه الملكى قرب بلرم ، المعروف بالبحر العذب (Mare-dolce) (المعتزّيّة » [٤] . إلا أن ألقابه ، بنفس المعنى ، كانت تُكتب باليونانية في الوثائق المزدوجة اللغة الصادرة عن ديوانه .

إن التاج الذى لبسه رجار الثاني كان على الطراز البيزنطى ، أما عباءته الشهيرة التي ما زالت محفوظة في فيِنّا ، فكانت عباءةَ أمير شرقي طُرِّزت على حاشيتها كتابة كوفيّة ، وصورة فهود تهاجم جِمالاً . ويتحدث الكتّابُ المسلمون والنصارى المعاصرون لرجار الثاني أو القريبون من زمنه عن أهميةِ الأثر الإسلامى في قصر الملك النورماني وبلاطه . وما ينطبع في النفس هو أن أسلوب الحياة في بلاطه كان أسلوباً شرقيا لا غربيا . ومن نواحٍ كثيرة ، كانت حياة رجار شبيهةً بحياة سلطان مسلم ، فقد كان له حريم وفتيان وقصورٌ تذكّر المرءَ بقصور الأنس في الأندلس ، وبمباهج الحياة

الإسلامية المعاصرة وترفها [٥] . إلا أن تشالاندون يرى في نعت أمارى لرجار الثاني بأنه « سلطان مُعمَّد » وصفاً مبالغاً فيه ، ويؤكد بأن الأثر اليوناني كان له الصدارة عند النورمان في الدين ، فضلاً عن السياسة والإدارة [٦] . كذلك فإن وجود الحريم أمر مشكوك فيه .

ويمكن القول بصورة أدق أنه تمَّ في بلاط رجار الثاني جمعٌ منسجمٌ بين التقاليد والمؤثرات اليونانية والعربية واللاتينية . وكانت الإدارة الصقلِّية مكتبيةً (بروقراطية) إلى حد كبير ، وهي مكتبيةٌ ذات طابع شرقي بارز ، وهو طابع بيزنطي وعربي في آن واحد . وكان أطبَّاء رجار من العرب . وكان كتَّابه يتكلمون لغات مختلفة ويتداولون سجلات باللغات اللاتينية واليونانية والعربية ، وكذلك كان الحال بالنسبة للعدد الكبير من الكتَبة المتخصصين . وكان بلاطه بمثابة ملتقى للشمال والجنوب والشرق والغرب [٧] . وكانت محكمته العليا على النمط البيزنطي ، كما كانت أبَّهةُ مراسم بلاطه على النمط العربي . وكالسلاطين المسلمين ، كان من بين رجال بلاطه الجانب (الياور) والحاجب والسلاحي والجامدار . وكالفاطميين في مصر والعباسيين في بغداد ، كان لنورمان صقلية في قصورهم فتيان على اتصال وثيق ومباشر بالملك النورماني [٩] .

وقد ظلَّ التأثير العربي قوياً في البلاط في عهدي وليام الأول ووليام الثاني ، اللذيْن كانا في الواقع « مسلميْن ظاهراً أكثر مما كان رجار » [١٠] ، وكان كلاهما يتكلم العربية بطلاقة . وكان يحيط بوليام الأول حرس من فرسان النورمان ، فضلاً عن حرسه السودان تحت إمرة أحد المسلمين [١١] . وكان في الجيش نفس المزيج : فرسان نورمان وجنود مسلمون بأزيائهم الزاهية . وكان الملك نفسه قد اتَّبع إلى حد كبير نمطَ حياة المسلمين الذين تغلَّب عليهم . وإنَّ لين عريكته ، التي قد تكون نتيجة لتأثره بعناصر شتى ، أدَّت تدريجياً إلى إضعاف نشاطه ، وإلى تقويض سلطته [١٢] .
وقد خُصِّص جانب من قصره للنساء والوصفاء والخصيان [١٣] . وقلَّما كانت أنظار رعيته تقع عليه ، وكان يقضِّي أيامه مترفاً معتكفاً في قصره مع نسائه . وكان يخرج للنزهة في قوارب مزيَّنة في البحر أو الأنهار أو القنوات ، تصحبه حظيَّاته وعازفو الموسيقى العرب . وقد حذا بارونات النورمان وكبار الموظفين حذو ملكهم ، وكانت أرباض بلرم مليئة بالمنتزهات والمُنْيات [١٤] .

ويُلقي الرحالةُ الأندلسي ابن جُبيْر[١٥] ، الذى زار صقلية أثناء حكم وليام الثاني ، بعضَ الضوء على بقاء التراث العربي في بلاطه ، وفي الحياة الصقلّية عامة . فكانت علامة وليام الثاني بالعربية (الحمد للّه حقَّ حمدُه) . وكان يرعى الأطباء والمنجِّمين ، وكان بعضهم من المسلمين ، إذ إن ابن جبير يدعو المولى عزَّ وجلَّ أن « يُعيذ المسلمين من الفتنة بمنِّه » ، مع أنه كذلك يمتدح وليام الثاني ، لاستفادته من خبرات المسلمين[١٦] . ويلاحظ ابن جبير أن وليام الثاني ، في إظهاره لابهته ، كان يشبه ملوك المسلمين[١٧] . « وأما جواريه وحظاياه في قصره فسلمات كلُّهن . . . وأن الأفرنجية من النصرانيات تقع في قصره فتعود مسلمة ، تعيدها الجوارى المذكورات مسلمة ، وهنَّ على تكتمٍ من مَلِكهنَّ في ذلك كله »[١٨] . وحتى في خارج القصر ، كانت النصرانيات في بلرم يقلّدن المسلمات « وزيُّ النصرانيات في هذه المدينة زيُّ نساء المسلمين ، فصيحات الألسن ، ملتحفات ، منتقبات ، خرجن في هذا العيد المذكور [عيد ميلاد السيِّد المسيح] وقد لبسن ثيابَ الحرير المذهَّب ، والتحفن اللحف الرائقة ، وانتقبن بالنُّقب الملونة . . . حاملات جميع زينة نساء المسلمين من التحلّي والتخضب والتعطر »[١٩] . ويبدو أن الفتيان الجابيب كانوا قد تنصَّروا في هذه الآونة ، إلا أنهم كانوا يكتمون إسلامهم ، وقد تغاضي الملك النورماني عن تأديتهم للصلوات الإسلامية .

وكان الرؤساء المسلمون واليونان وقضاة النورمان وكبار رجال الكنيسة يعملون جنباً إلى جنب في مجلس الملك (curia rigis) أو المجلس الأعظم (magna curia) الذى كان الجهاز الرئيسي بحكومة النورمان . وابتداءً من حكم رجار الثاني ، يردُ ذكر المجلس(curia) مراراً في الوثائق . وكان الملك يختار من بين أعضاء المجلس أقرب مستشاريه الذين كانوا يُعرفون باسم المقرَّبين (familiares) . ويقع المرء أحيانا في الوثائق على أسماء مسلمين كأبي القاسم [بن حمود] الذى كان عضواً في المجلس وأحد هؤلاء المستشارين[٢٠] ، ولكنه لا يمكن الجزم ما إذا كان مثل هؤلاء الأشخاص ما زالوا مسلمين أو أنهم كانوا قد تنصَّروا .

وكان اللقب (أمير) أو أميراتوس (amiratus) لقباً أنعم به حتى روبرت جيسكارد على عدد من ضباطه[٢١] . وفي مملكة صقلية النورمانية كان الذى يتقلد أسمى المناصب في الدولة ما يزال يحمل اللقبَ العربي (أمير الأمراء) ، وكان يتقدم على

المستشار[٢٢] . ومن المحتمل أن يكون هذا اللقب قد أُبطل بعد اغتيال الوزير مايو[٢٣] .

وكان العنصر المسلم أكثرَ بروزا من العنصر اليوناني بكثير في الإدارة المالية لمملكة صقلية النورمانية[٢٤] . وقد احتفظ النورمان بالديوان المالى العربي المسمَّى (ديوان التحقيق) ، وأطلقوا عليه باللاتينية الدارجة اسم (dohana de secretis) . ويعتبر أمارى هذا الديوان وغيره من الدواوين ، كالديوان المسمَّى (dohana baronum) ، تقليداً للنظم الفاطمية[٢٥] ، بينا يرى غيره من الباحثين ، مثل جريجاريو (Gregario) ، أنها من أصل نورماني بحت ، وأنها شبيهة بالنظم المماثلة في إنجلترا النورمانية[٢٦] . ومن بين الدواوين العربية الأخرى التي بقيت في أيام النورمان وحُوِّرت لتفي بمتطلباتهم (ديوان المعمور) أى بيت المال أو الخزانة ، وهو متفرع عن ديوان التحقيق[٢٧] . وكان يُحتفظ في هذا الديوان بأسماء أهل أو رجال الجرائد (villeins) وبالإيراد المستحق من كل إقليم مالى . أما ديوان الفوائد ، المتفرع هو الآخر عن ديوان التحقيق ، فكان يختص ببيع الأراضي[٢٨] . وكان ديوان التحقيق في جملته مسؤولاً عن الإدارة المالية كلها في المملكة ، فكان يراقب مراكز الخزانة ويحتفظ بسجلات فيا يتعلق بأقاليم المملكة المختلفة . وكانت هذه السجلاتُ في صقلية تُكتب باللغة العربية[٢٩] . واحتفظت الإدارة النورمانية بعدد من المصطلحات العربية من بينها التسمية الفاطمية / الكلبية « إقليم » للدلالة على كورة أو مقاطعة عسكرية[٣٠] وكذلك التسميات لوظائفَ مختلفةٍ مثل صاحب وكاتب وعامل[٣١] .

وفي عهود ملوك النورمان الثلاثة الأوائل ، ظلَّت العُملة الفاطمية (الرُباعي) ، أى ربع الدينار ، متداولة ، وأثَّرتْ في ضرب العملة النورمانية المقابلة لها المسماة بالطرى (tari) ، وكان الطرى يشبه الرُباعى في شكله وله نفس القيمة[٣٢] .

وقد وصلتْنا عدة وثائق صقلية تعود إلى الفترة النورمانية ، وتُعرف باسم defatari أو deptari (دفاتر بالعربية) ، وهى سجلات بالأراضي المزروعة والأراضي الغير قابلة للزراعة ، كما تحتوى على قوائمَ بأسماء رجال الجرائد (villeins) مع ذكر التفاصيل الخاصة بنوع الخدمات التي عليهم أداؤها ، وهذه القوائم احتُفظ بها في ديوان التحقيق والديوان المسمَّى (dohana baronum) . إن العديد من هذه الوثائق ،

وبعضها يرجع إلى حكم وليام الثاني ، كُتبتْ بالعربية ، بينما كُتب البعض الآخر منها باليونانية (٣٣) . وقد احتفَظ بمثل هذه السجلات البيزنطيون ثم الفاطميون من بعدهم ، ولعلَّ الكلبيين احتفظوا بها كذلك ، ويبدو أن النورمان ورثوا هذه النظُمَ عنهم ، مع أن سجلاتٍ مماثلةً كانت مستعملةً أيضا في إنجلترا [النورمانية] (٣٤) .

إن تجنيد المسلمين في الجيش النورماني يعود إلى أيام رجار الأول . وعن المسلمين اقتبس النورمان بعضَ فنون وأساليب الحرب الإسلامية . وقد عمل بعض المهندسين العسكريين العرب مع النورمان ، وصنعوا لهم المجانيقَ وأبراجَ الحصار المتحركة . وحينما أقام رجار الثاني تحصيناتٍ مدينة باره (Bari)، استفاد في تشييدها من مهارة المهندسين العرب وخبرتهم (٣٥) .

الفصل الثامن

المسلمون تحت حكم النورمان

إن الفرق الرئيسي بين حرب الاسترداد الأسبانية (reconquista) وبين افتتاح النورمان لجزيرة صقلية يكْمن في السياسات التي قام عليها الفتح. فقد كان الكاثوليك الأسبان متعصبين، بينما كان النورمان، إلى حد كبير على الأقلّ، متسامحين ويعملون على دمج عناصر السكان في الجزيرة.

فروح التسامح والحلم التي أبداها النورمان سارت جنباً إلى جنب مع الحماس الحربي منذ البداية. وكان تسامح رجار الأول يعود جزئياً إلى عوامل تقتضيها سلامة الدولة، إذ من المحتمل أن المسلمين كانوا يشكّلون أكثرية سكان الجزيرة آنذاك. وفضلا عن ذلك، فإن الجنود المسلمين، كمسلمين، كان يمكنه الاعتماد على ولائهم له في حروبه الإيطالية. وكان لا ينال الحظوةَ لديه المسلمون الذين يتخلّون عن دينهم الإسلامي ويتنصّرون. ويذكر صاحب سيرة القديس أنسيلم (St. Anselm) أن رجار الأول حظر على القساوسة الكاثوليك تنصير المسلمين من جنده [١].

إن النتائج الاقتصادية للفتح النورماني لصقلية عادت بالضرر على جميع طبقات السكان المسلمين في الجزيرة منذ البداية. وقد حدث أثناء الفتح النورماني تخريب كبير لقرى المسلمين ومواشيهم. وفُرضت على المسلمين في المناطق الريفية وعلى اليهود ضريبة الرؤوس، التي احتفظ لها بالتسمية الإسلامية (الجزية) [٢]. وهذا يفسّر الموجة الأولى من الهجرة من صقلية إلى إفريقية الزيرية. أما الموجة الثانية، فيحتُمل أنها ضمّتْ الجنود المسلمين وكذلك أفرادَ الجند الذين رافقوا قواتِ ابنيْ تميم بن المعز المتقهقرة إلى إفريقية. وتُجملُ شكوى الشاعر عبد الحليم [بن عبد الواحد الإفريقي المنشأ الصقلي الدار] مشاعر النخبة العربية إذ يقول:

عشقتُ صقلّيةً يافعاً ... وكانت كبعض جنان الخلود
فما قُدّر الوصلُ حتى اكتهلتُ ... وصارت جهنّمَ ذاتِ الوقود [٣]

إن المسلمين من أهل مدن صقلية الذين استسلموا بعد القتال وقّعوا مع رجار

الأول اتفاقياتٍ حدَّدتْ وضعهَم وضماناتهم الدينيةَ والاقتصاديةَ ، وقد عُرفوا باسم (محلات) ولم يدفعوا الجزية . وقد نالت بلرم شروطا مُرضيةً جدا ، ولم يكن كذلك حال قطانية التي مُنحتْ كإقطاعية لأحد الأساقفة ، وأصبح مسلموها من أهل الجرائد (villeins) . وسقطت القرى والبوادى في أيدى النورمان دون مقاومة كبيرة ، ولم توقَّع اتفاقياتٍ من شأنها أن تضمن حقوقها . وقد تدنَّى وضعُ مسلمى البوادى إلى مرتبة رقيق أو أقنان أرضٍ للسادة الإقطاعيين ، واصبح للتسمية agarenus معنى مزدوج : مسلم ، أو رقيقُ أرضٍ [٤] .

وفي عهد رجار الأول انتشر في مختلف أنحاء الجزيرة مسلمون من أصول عرقية مختلفة — كالعرب والمسلمين من أصل صقلّى والمولَّدين — كانوا يحملون أسماء غريبة ، مثل أحمد بن رومة أو عبد الرحمن بن فرنكة . وكان معظمهم بالطبع في إقليم مازر ، إلا أنه كان يوجد منهم أعداد كبيرة في إقليم نوطس ، وكان بعضهم قد استقر حتى في إقليم دمنش ، الذى كان معظم سكانه من النصارى . وفي بلرم كان ثمة حشد من العرب انتسبوا إلى القبائل القديمة في اليمن وإلى قيس وقريش ، وكذلك إلى أُسَرٍ عريقة من قبائل مرموقة من البربر كهوَّارة ولَواتة وزغوة وزناتة . كما كان ثمَّة عدد قليل من المسلمين من المشرق ومن الأندلس . إلا أنه لم يلبث أن طرأ تغير على الخريطة العرقية والدينية لصقلية . ففي عهد رجار الأول ، كان سيل ثابت من المهاجرين من مقاطعة نورماندى وشمال فرنسا قد بدأ في الاستيطان في صقلية . ويجد المرء في الوثائق النورمانية الأولى عدة أسماء فرنسية من بين أصحاب الإقطاعات والأساقفة وموظفي الدولة النورمان . والأهم من ذلك الهجرة من إيطاليا على نطاق واسع ، وخلال هذه الفترة ، أصبحت الإيطالية لغةَ سكان الجزيرة . وظهرتْ في صقلية مستوطنات كبيرة للمبارد [٥] . وتمسَّك بعض السكان النصارى الأصليين في إقليم دمنش بالكنيسة الأرثوذكسية اليونانية وبالثقافة البيزنطية . وكانت هذه الطائفة قد هبَّتْ لنصرة النورمان أثناء فتحهم للجزيرة ، وفي مقابل ذلك أعاد النورمان بعض الكنائس والأديرة اليونانية . وفي القرن الثاني عشر الميلادي قامت الطقوس اللاتينية واليونانية جنباً إلى جنب ، إلا أن الطقوس اللاتينية أخذ الآن نفوذها في الازدياد [٦] . وكان قد طرأ تحسن كبير على علاقات رجار بالبابا بعد احتلال الجزيرة . وفي صقلية ، كان المسلمون قد حوَّلوا عدة كنائس إلى مساجد ، فكان من

أول الإجراءآت التي اتخذها رجار الأول إعادةُ تحويلها إلى كنائس ، وتعيينُ رئيس أساقفة ، وكان يونانياً [٧] . وبمقتضي مرسوم بابوى صدر عن البابا جريجورى السابع سنة ١٠٨٣ م ، استبُدل رئيس الأساقفة هذا برئيس أساقفة كاثوليكى . وفي سنة ١٠٨٨ م ، زار البابا إربان الثاني صقلية ، إلا أن الخلافات استمرت بين وجهتىْ نظر البابا ورجار وسياستيهما بشأن تنصير مسلمى صقلية [٨] . ففي حين إن البابا كان يحبِّذ تنصير المسلمين لأسباب دينية ، فإن التنصير بالنسبة لرجار الأول لم يَعْنِ تنصير المسلمين ، وإنما استمرار هجرة النصارى من شبه الجزيرة الإيطالية وإعطاء الدين المسيحى مكان الصدارة بوصفه الدين الرسمى للجزيرة .

وقد استمر استيطان اللمبارد في جزيرة صقلية طوال الفترة النورمانية ، وما إن انتهى القرن الثاني عشر الميلادى حتى كانت هنالك مستوطنات لمباردية كبيرة في بثيرة وبلازا (Plazza) والرنداج (Randazo) وفيكارى (Vicari) وكابيتزى (Capizzi) ونيقوسية (Nicosia) ومانياتشي (Mamiaci) . وقد اقترفت هذه المستوطنات كلَّ ضروب الوحشية ضد المسلمين [٩] . كما حدثت هجرة إلى الجزيرة من قِبَل تجار البندقية وجنوة وَمَلْف (Amalfi) وعناصرَ أخرى من جميع أنحاء إيطاليا ، واستمرت هذه الهجرة طوال القرن الثالث عشر الميلادى [١٠] . ومع الزمن ، أدَّتْ هذه الهجرةُ إلى فقدان العرب الكامل لممتلكاتهم من الأراضي التي آلتْ ملكيتها الآن إلى الكنيسة ورجال الدين والنبلاء الإقطاعيين والمزارعين النصارى . وقد تأقلمت النخبة من الإقطاعيين النورمان بسهولة في منطقة المزارع الواسعة الخاصة بزراعة القمح ، في حين إن البساتين والجنان في بعض المناطق حلَّت محلَّها المراعى الواسعة التي استحوذتْ عليها الطبقة الأرستوقراطية الجديدة والأديرة [١١] .

واستمر نظام الرقيق في عهد النورمان ، إلا أن معظم الرقيق أصبحوا الآن من المسلمين . وفي وثيقة بالعربية ترجع إلى سنة ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م ، يرد ذكرُ العبيد ، ولعل ذلك إشارة إلى العبيد السود [١٢] . وكان الأسرى المسلمون الذين وقعوا في يد رجار الأول أثناء فتح صقلية قد أُرسلوا إلى إيطاليا وبيعوا عبيداً هناك [١٣] . أما رجال الجرائد المسلمون الكادحون في الأرض ، والذين يُشار إليهم في الوثائق اللاتينية باسم (servi glebae)، فكان وضعهم شبيهاً بوضع الرقيق . وكان هذا الوضع يرثه الأبناءُ عن الآباء . ولم يتمتع رجال الجرائد هؤلاء بالحرية الشخصية ، وكانوا مضطرين إلى تأدية

الخدمة العسكرية حينما يُطلب إليهم ذلك ، كما كانوا يخضعون لنظام السُخرة في العمل [١٤] .

وفي مقابل رجال الجرائد (villeins) ، كان ثمة الأفاضل (homines) ، وكانوا أحراراً ، لهم الحق في امتلاك أرضهم امتلاكاً حراً ودائماً . وبخلاف رجال الجرائد ، كانت لهم حرية التصرف بممتلكاتهم كما يشأوون . وكان بعض كبار الأفاضل المعروفين باسم(boni homines) من المسلمين ، ومن بينهم موظفون مدنيون يختصون بشؤون الهبات والوصايا والبيع والعقود الخ ، وكانوا يساعدون القضاة والموثقين ، كما كانوا في بعض الأحيان يتولّون التحكيم بين الأطراف المتخاصمة [١٥] .

وأثناء حكم رجار الثاني ، استمر العمل بالسياسات التي بدأها والده ، بما في ذلك السياسة العسكرية الخاصة بالاستفادة من المسلمين في الجيش إلى أبعد حد . وأثناء معظم فترة حكمه ، كان تنصير الجنود المسلمين عملاً لا يلقى التشجيع ، إذ إنهم كانوا أكثر نفعاً كمسلمين في حروبه في إيطاليا . وكان الجنود المسلمون لا يزالون يحتفظون بشيء من نظام الجند العربي وتشكيله ، وكان منهم المشاة والرماة من على ظهور الخيل [١٦] .

وتميَّز الجانبُ الأكبرُ من فترة حكم رجار الثاني بالتسامح تجاه المسلمين ، فقد لعبوا دوراً بارزاً في الإدارة ، وأعطوا صبغةً لطابع الثقافة النورمانية الجديدة في صقلية . إلا أن كل ذلك تبدّل في أواخر أيام حكمه . في نهاية سنة ١١٥٣ م ، دشّن سياسةً قائمةً على الاضطهاد الديني . أما أسباب هذا النقض للسياسة الدينية فكانت عديدة ، بعضها شخصي كوفاة ثلاثة من أبنائه خلال فترة تسع سنوات ، وسوء حالته الصحية ، والبعض الآخر سياسي كقيام الأمبراطور البيزنطي منويل كومنينوس (Comnenus) بالحشد والتعبئة في منطقة البحر الأدرياتيكي ، وظهور الموحدين في شمال إفريقيا كقوة يُحسب حسابها ، وكان لهذا العامل الأخير تأثير كبير على وضع المسلمين في الجزيرة . ففي السنوات الأخيرة من حكمه ، انتهج رجار الثاني سياسةً ترمي إلى تنصير المسلمين واليهود [١٧] .

ويمكن أن تُعزى معاملة البارونات النورمان للمسلمين خلال فترة حكم وليام الأول جزئياً إلى التعصب الاجتماعي [١٨] . ومع أن المسلمين ظلُّوا على ولائهم للملك ، إلا أنهم اضطرُّوا إلى دفع ثمن انتصار الموحدين في المهدية ، بأن جُرِّدوا من

السلاح في بلرم. ولما تمَّ تجريدهم من السلاح، وقعوا فريسةً سهلة لسخط البارونات النورمان واللمبارد في سنة ١١٦١ م، حينما لقي بعض خصيان القصر والموظفين المسلمين مصرعهم. وقام مسلمو بلرم بتحصين أنفسهم في ربَضهم من المدينة، إلا أنهم تكبَّدوا خسائر فادحة جدا [١٩]. لا بل إن حظ المسلمين في المناطق الريفية أثناء ثورة البارونات هذه كان أسواء من ذلك. وللنجاة من هذه المذابح، لجأ الكثيرون من المسلمين إلى الاعتصام بالغابات والجبال أو إلى مدن الجنوب حيث كان ما تزال توجد تجمُّعات كبيرة من إخوانهم في الدين [٢٠]. ومن ناحية أخرى، كان لا يزال يوجد عدد كبير من المسلمين في جيش وليام الأول الذى تمكَّن في نهاية الأمر من قمع الثورة.

وخلال الفترة التي سبقت بلوغ وليام الثاني سن الرشد، وبينما كانت والدته الملكة مارغريت وصيةً على العرش، تلقَّى المستشار في سنة ١١٦٧ م شكوى من عناصر نصرانية في بلرم مفادُها أن مسلمين عديدين ممَّن تنصَّروا وكانوا يشغلون مناصب هامة ويحظون بحماية فتيان القصر، قد ارتدُّوا إلى دينهم الأصلى. وكان الشخص الرئيسي الذى وُجِّهت إليه هذه التهمة، هو روبرت كالاتابويانو (Robert of Calataboiano) الذى اتُّهم بأنه، بالتواطؤ مع غيره من المسلمين، كان له علاقات غرامية مع نساء وصبيان من النصارى. وبالرغم من شفاعة الملكة الوصية على العرش، اضطر المستشار إلى المضي في محاكمة المتهمين بالارتداد عن العقيدة وبارتكاب الزنا، وتمَّت معاقبتهم بما أرضى سكان العاصمة النصارى، وخصوصا المستوطنين اللمبارد منهم [٢١].

وقد قام الرحالة الأندلسي ابن جبير بزيارة صقلية في سنة ٥٨٠ هـ/٤–١١٨٥ م، خلال حكم وليام الثاني، وروايته تلقي ضوءاً هاماً على وضع الجماعة الإسلامية في تلك المرحلة من تاريخ الجزيرة. فقد تأرجحتْ معاملة المسلمين بين التسامح والريبة. ففي البلاط، كان الخصيان، سواء أكانوا مسلمين، أو مسلمين كاتمين لإيمانهم، أو مسلمين اعتنقوا النصرانية نوعاً ما، يحظون بثقة الملك، وكثيراً ما كان يُعهد إليهم بمناصبَ ساميةٍ في إدارة الدولة [٢٢]. وكان بعض الفتيان المتنصرين يؤدُّون الصلواتِ الإسلاميةَ سراً [٢٣]. ومما يسترعى الانتباه، أن بعضهم اختار أن يكتم إسلامه. وكان اسمُ الشخص الكاتم للاسلام والذى زوَّد

ابنَ جبير بالمعلومات عبدَ المسيح . وكانت صلاةُ الجمعة محظورةً عليهم « ويصلُّون الأعياد بخطبةٍ دعاؤهم فيها للعباسي » [٢٤] .

وفي بلرم ، كان ما يزال للمسلمين عدة مساجد وأسواقهم الخاصة بهم . « ولهم أرباض قد انفردوا فيها بسكناهم عن النصارى . والأسواق معمورة بهم ، وهم التجار فيها . . . وأما المساجد فكثيرة لا تُحصى ، وأكثرها محاضرُ لمعلِّمي القرآن » . وبالجملة فإن عامة المسلمين كانوا ينظرون إلى الموظفين المسلمين في خدمة النورمان نظرةَ شكٍ وارتياب ، وكانوا يتحاشَوْنهم . وكان المسلمون في بلرم لا يشعرون بالاطمئنان على أموالهم وأعراضهم ومستقبل أبنائهم [٢٥] .

وكان يوجد مسلمون في القرى والمزارع ، وفي عدة مدن كسرقوسة وجفلوذى . وللمسلمين في مدينة ثرمة (Therma) ربض كبير ، لهم فيه المساجد . وكان في قصر سعد (Solanto) ، على فرسخٍ من بلرم ، قبور كثيرة لصلحاء المسلمين من أهل الزهادة والورع ، والقصر المذكور موصوف بالفضل والبركة مقصود من كل مكان . وبأزائه عين تُعرف بعين المجنونة ارتبطت في أذهان الناس ببعض المزايا الروحية أو الدينية . ويقول ابن جبير انه يوجد في أعلى قصر سعد « مسجد من أحسن مساجد الدنيا بهاءً ، فبتْنا في هذا المسجد أحسن مبيت وأطيبَه ، وسمعْنا الأذانَ وكنا قد طال عهدُنا بسماعه » . وكانت علقمة (Alcamo) ، في منتصف الطريق بين بلرم وأطرابنش (Trapani) ، وبلدة كبيرةً فيها السوق والمساجد ، وسكانها وسكان الضياع في الطريق من بلرم إلى أطرابنش كلها مسلمون [٢٧] . وبالقرب من مسينة ، كان المسلمون يعيشون في ممتلكاتهم ومزارعهم ويلقون معاملة حسنة من جيرانهم النصارى ، أما في مدينة مسينة ذاتها فليس فيها « من المسلمين إلا نفر يسير من ذوى المِهَن ، ولذلك يستوحش بها المسلم الغريب » [٢٧] . ويبدو أن أحوال المسلمين في مختلف مدن صقلية أثناء فترة حكم وليام الثاني ، التي سادها السلام والتسامح ، كانت مُرضيةً وإن لم تكن آمنةً تماماً . فكان المسلمون يعيشون في أرباضهم ويتولَّى إدارةَ شؤونهم قُوّادُهم أو قضاتهُم ، وكانوا يمارسون عبادتهم في مساجدهم [٢٨])

ومع ذلك ، وحتى في العهد الرحيم للملك وليام الثاني ، كان المسلمون في صقلية يشعرون بالخوف من المصير المقبل لجماعتهم في صقلية . وكما يقول ابن جبير فإن « أهل النظر في العواقب منهم يخافون أن يتفق على جميعهم ما اتفق على أهل جزيرة

إقريطش [كريت] من المسلمين في المدة السالفة ، فإنه لم تزل بهم الملَكَةُ الطاغية من النصارى والاستدراج الشئ بعد الشئ ، حالاً بعد حال ، حتى اضطرُّوا إلى التنصر عن آخرهم ، وفرَّ منهم من قضي الله بنجاته » . وكانت طبقة المثقفين المسلمين في صقلية ترى أن الحل الوحيد لمشاكلها هو الهجرة إلى بلاد المسلمين . وكان يُرى أن من الأفضل تزويجَ البنات من زائرين أو مسافرين من بلدان إسلامية أخرى . وكانت أطرابنش [في الطرف الغربي من الجزيرة] الميناءَ الرئيسيَّ لهجرة المسلمين إلى الأندلس وشمال إفريقيا (٢٩) .

وحتي وليام الثاني ، كان يُرغم أحياناً زعيماً مسلماً على التخلِّي عن دينه . كما أن الموظفين النورمان كانوا أحيانا يُجبرون فقيهاً كابن زرعة على اعتناق النصرانية . وفي بعض الأحيان ، كان قائد كأبي القاسم بن حمود يُتَّهَمُ بمخاطبة الموحدين ، فيتعرض للاضطهاد ومصادرة الأموال . وتعرَّضت الأُسَرُ المسلمةُ المبنيَّةُ على سلطة الأبوين للتفسخ والانحلال ، نتيجةً للمغريات نحو التنصُّر فضلا عن الضغوط لهذا الغرض . « ومن أعظم ما مُني به أهل هذه الجزيرة أن الرجل ربما غضب على ابنه أو على زوجه . . . فتلحق المغضوبَ عليه أنفةٌ تؤديه إلى التطارح في الكنيسة فيتنصَّر ويتعمَّدُ » (٣٠) . وفي حين أن تنصُّر أهل الجرائد (villeins) في الأرياف كان عمليةً مباشرة ، فإن التنصر في المدن كان يتم من القمة إلى القاعدة . فتنصُّرُ قائد أو زعيم مسلم كان يمكن أن يعقبه تنصر آخرين ممَّن هم تحت سلطته أو نفوذه (٣١) . وبمقتضي قرار أصدره البابا اسكندر الثالث ووجَّهه إلى رئيس أساقفة بلرم ، فإن المسلمَ الذى يُتَّهمُ باغتصاب امرأة نصرانية كان يُغرَّم أو يُضرب . أما النصارى فكانوا لا يتعرضون للعقاب حينما يلقون القبض على نساء المسلمين وأولادهم وبناتهم بحجة تنصيرهم ، وكانوا يبتزُّون مبالغ كبيرة من المال على سبيل الغرامات التي يفرضونها على أثرياء المسلمين (٣٢) .

وفي نهاية الأمر ، أدى تسامح أُسرة هوتيفيل (Hauteville) الحاكمة إلى رد فعل قوى من التعصب بين النصارى في الجزيرة . وبعد خمس سنوات من زيارة ابن جبير ، كانت الخريطة العرقية والسكانية للجزيرة قد طرأ عليها تغير كبير ، لا أمل في تبديله ، على حساب المسلمين . وفي أعمال الشغب التي وقعت في سنة ١١٨٩ م ، كان العنصر المسلم من السكان هدفاً واضحاً ، نظراً لاختلاف زى المسلمين وعاداتهم

ودياناتهم . وكان ما يزال لبعض المسلمين ممتلكات واسعة ، أو كانوا يشغلون مناصبَ ذات نفوذ في جهاز الدولة . « إن هؤلاء المواطنين المختلفين عن بقية سكان الجزيرة ، كان من المرجح أن يصبحوا كبش الفداء في أية لحظة تحدث فيها أزمة سياسية أو اقتصادية [٣٣] .

وخلال الفترة التي سادت فيها الفوضى العامة ما بين سنتي ١١٨٩ و١١٩٤ م ، أصبح الوضع بالنسبة للمسلمين في صقلية حرجاً جداً . ولم يكُنْ تانكريد يتحلّى بما تحلّى به أسلافه من تسامح وكياسة . وكان تانكريد في سنة ١١٦٠ م ، قبل مدة طويلة من ارتقائه العرش ، قد قاد بنفسه غاراتِ إبادةٍ ضد المسلمين في مدينة بثيرة (Butera) [٣٤] .

وقبل أن يتمكن تانكريد من تدعيم مركزه ، وقعتْ مذبحة للمسلمين في بلرم في سنة ١١٨٩ م ، ولجأ الباقون على قيد الحياة منهم إلى الجبال الواقعة في الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة حيث أعلنوا الثورة ، وقُدِّر عددهم بحوالى مائة ألف بما فيهم النساء . وقد نظَّم الثائرون أنفسَهم بزعامة خمسة رؤساء ، واستمرت الثورة من أواخر سنة ٥٨٥ هـ/ ١١٨٩ م حتى شهر رمضان من سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠ م . ثم ، باللجوء إلى القوه تارة وإلى الإقناع تارة أخرى ، أُجبر معظمُ مسلمي بلرم على العودة إلى منازلهم ، كما أُجبر رجال الجرائد (villeins) ، الذين كانوا قد انضموا إليهم ، بالعودة إلى عبوديتهم للسادة الإقطاعيين . وفي سنة ١١٩٠ م ، لما أدرك الثائرون المسلمون أن مركز تانكريد قد توطَّد وقرروا الاستسلام له ، لا بد أن أيام وجود المسلمين في الجزيرة بدتْ معدودة . وانتهت عندئذ فترة الجمع بين العناصر في جهاز الدولة . إن الوثائق التي وصلتْنا باللغة العربية من عهد رجار الأول وعهد رجار الثاني تساوى في عددها الوثائق التي وصلتْنا باللغتين اليونانية أو اللاتينية . أما بالنسبة لعهد وليام الأول ، فإنها انخفضتْ فأصبحت بنسبة وثيقة واحدة إلى سبع وثائق ، وبالنسبة لعهد وليام الثاني أصبحت النسبة وثيقةً واحدةً إلى عشر وثائق ، وأما في فترة حكم تانكريد القصيرة فإننا نجد أن جميع الوثائق باللغة اللاتينية [٣٥] . وبالتدريج تبدَّد السكانُ المسلمون الباقون في بلرم وغيرها من المدن ، إما نتيجةً للهجرة إلى الخارج إلى بلاد المسلمين ، وإما نتيجةً للتنصير ، مع أنه لا بد أن بعض الأفراد المسلمين بقوا في بلرم ، وإليهم يُمكن أن تُعزى معرفةُ فردريك الثاني باللغة العربية والثقافة

العربية (٣٦) . وفي المثلث الذى يتكوّن من إقليم مازر ظلَّ عددٌ لا يُستهان به من المسلمين في حالة عبودية كطبقة اجتماعية دنيا . وفي سنة ١١٩٩ م ، وجَّه البابا إنوسنت الثالث إلى مسلمي صقلية خطابَ وعظٍ وإقناع . كما وجَّه البابا خطاباً مماثلاً آخر في سنة ١٢٠٨ م (٣٧) .

ولما ضعفتْ سلطةُ الملك في أواخر الفترة النورمانية ، أصبح بقاء الإسلام في صقلية أمراً صعبا ، لأن طبقة الإقطاعيين التي احتفظت بالسيادة على من تبقَّى من السكان المسلمين تحالفتْ مع الكنيسة الكاثوليكية ، التي اعتبرتْ التنصير بدَوْرها عملاً دينياً صالحا (٣٨) . أما أولئك الأفراد من نخبة المسلمين الذين قاوموا التنصير فإنهم اختاروا الرحيل عن الجزيرة . وكانت هجرة المسلمين من صقلية إلى شمال إفريقيا والأندلس والمشرق قد بدأت في سنة ٤٦٠ هـ/١٠٦٨ م ، واستمرت طوال فترة الفتح النورماني . وبعد فترة قصيرة من الركود ، ازدادت الهجرة بعد أعمال القمع التي حدثتْ في سنة ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م ، وإثْرَ المذابح التي وقعتْ في سنة ٥٥٦ هـ/٦٠ــ١١٦١ م ، وتواصلت في عهد وليام الثاني . وازداد الوضع حدةً على أثر المذابح والثورة في سنة ٥٨٥ هـ/٨٩ــ ١١٩٠ م .

الفصل التاسع

النشاط الفكرى العربي أثناء الفترة النورمانية

كان التيار الفكرى العربي قد انتقل إلى صقلية من شمال إفريقيا والأندلس ، وبعد الفتح النورماني للجزيرة عاد فانتقل من صقلية إلى البلاد الإسلامية طالما استمرت هجرة علماء صقلية وشعرائها إليها . إلا أن العديد من علماء صقلية وشعرائها اختاروا البقاء في الجزيرة ، وحظى بعضهم ، بما فيهم الشريف الإدريسي الشهير ، برعاية النورمان .

ومع أن العلوم الفكرية التقليدية ، بخلاف العلوم الطبيعية والفلسفية ، ضعفت بين المسلمين أثناء الفترة النورمانية ، إلا أن تقاليدها استمرت زمناً ما . وينبغى التمييز بين المُقرئ والنحوى الصقلّى الشهير عبد الرحمن بن عتيق المعروف بابن الفحام (ت سنة ٥١٦هـ/١١٢٢م) وبين سميّه الشاعر عبد الرحمن بن أبي بكر السرقوسي [١] . وقد رحل ابن الفحام إلى مصر ، حيث اعتُبر حجةً في علم القراءات . وأشهر مصنَّفاته عن دراسة القرآن الكريم وعن الأحاديث النبوية الشريفة كتاب (التجريد في بُغية المريد) وكتاب (مفردات يعقوب) [٢] . وكان تلميذ ابن الفحام ، عثمانُ بن على [بن عمر السرقوسي ، نحْوياً وعالماً بفقه اللغة] . كما أن عالماً صقلّياً آخرَ هو أبو عبد الله محمد أَلَّف تبسيطاً منظوماً لآيات القرآن الكريم [٣] .

وأشهر علماء الدين والأخلاق في العهد النورماني ابن ظَفَر (أبو عبد الله ابن أبي محمد) المنعوت بحجة الدين وبرهان الإسلام . وهو إما من أصل صقلّي وإما من مكة المكرمة وَفَدَ زائراً على صقلية . كما أَلَّف في النحو وفقه اللغة [وكان أعلمَ باللغة من النحو] . وأشهر مؤلفاته (سلوان المطاع [في عدوان الطباع]) ، صنَّفه لبعض القُوّاد في صقلية] ، وقد تُرجم الكتاب إلى اللغات الإنجليزية والإيطالية والتركية [٤] . والكتاب من النوع الأدبي المعروف بمرايا الأمراء (Mirrors of Princes) ، ويقع في خمسة أجزاء ، وأسلوبه شبيه بأسلوب كتاب (كليلة ودمنة) . ويُنسب إلى ابن ظَفر ما مجموعه اثنان وثلاثون مؤلَّفاً ، وصلَنا عشرة منها بما

في ذلك تفسير للقرآن الكريم . وقد جال ابن ظفر في أقطار المغرب واستقر به المطاف في بلاغ الشام . وتوفي فيها سنة ٥٦٥ هـ/ ١١٧٠ م [٥] .

ومن بين علماء القرآن الكريم الآخرين أبو طاهر الصقلي ، وهو نحوي ومُقرئ وصاحب (العنوان في القراءات) وكان محمد بن أبي الفرج من مازر (ت سنة ٤٢٧ هـ/ ١٠٣٦ م) عالماً بالقراءات وفي نحو اللغة العربية وصرفها . وقد انتقل إلى القيروان ودرّس فيها . ويحتمل أن يكون قد استقر فيها [٦] .

ومن أشهر المحدِّثين في هذه الفترة محمد بن علي التيمى المازرى (ت سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤٢ م) وكان كذلك عالما ذائع الصيت في الفقه المالكى وعلم الكلام ، وكان قد درّس في المهدية . وأشهر مؤلّفاته (كتاب المُعْلِم) وهو شرح لصحيح مسلم [٧] . وقد أدى هذا الشرح إلى ظهور عدد من الشروح الأخرى لصحيح مُسلم . ومن مؤلفاته الأخرى شرح الأحاديث النبوية الشريفة التي جمعها الجوزقي . وقد ذُكر أن ابن تومرت المهدى ، مؤسس حركة الموحدين ، كان من بين تلاميذه [٨] .

ومن بين المحدِّثين الصقلِّيين الآخرين في هذه الفترة أبو الحسن على الذى وليَ القضاء بمكة المكرمة ، وهو ممَّن روى عنه السمعاني [٩] ، وأبو بكر بن محمد الذى درّس الحديث في الحجاز ، وعاش بعض الوقت في غرناطة ، وتوفي في مصر في سنة ١٠٨٠ م . وابن الباجى (ت سنة ١٢٠١ م) المحدِّث والفقيه المالكى ، وعبد الكريم بن يحيي الذى كان أيضا نحْوياً ، وكثيرون غيرهم هاجروا إلى أقطار إسلامية أخرى . كما أن عدداً من الفتيان ، ولعلَّهم ممَّن كانوا يعملون في البلاط النورماني ، درسوا الأحاديث النبوية الشريفة والعلوم الدينية الأخرى .

كما أن عدة فقهاء صقلِّيين هاجروا إلى أقطار إسلامية أخرى . فابن مكّي (أبو حفص عمر بن خلف) . الفقيه واللغوى ومن تلاميذ ابن البر ، كان قاضيا في صقلية ، وهاجر إلى تونس عند بداية الفتح النورماني . وإليه يُنسب كتاب (تثقيف اللسان) ، ومنه يتبيَّن أن اللهجة السائدة في صقلية في القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى كانت لهجةً مغربية [١٠] . ودرَّس الفقه المالكيَّ في صقلية أبو بكر محمد بن حسن الرباعي . إلا أنه ارتحل بعد ذلك إلى إفريقية ومصر . وتوفي في سنة ١١٤٢ م . وثمة فقيه آخر هو أبو عمر عثمان بن حجاج (ت

سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م) من مدينة الشاقّة (Sciacca) في صقلية ، استقرّ في الأسكندرية ، وترك عدة مصنَّفات في الفقه المالكى (١١) .

وفي فترة حكم النورمان للجزيرة ، نشطت العلوم الفلسفية والطبيعية ، ولقيت رعاية خاصة من ملوك النورمان . وكانت هذه الحقيقة معروفة في المشرق الإسلامى ، إذ يُشيد المؤرخون العرب برجار الثاني لمعرفته بالعلوم ورعايته لها (١٢) . ويذكر الأدريسي أن رجار الثاني لم يُولِ اهتمامَه بالعلوم العملية كالرياضيات والإدارة العامة فحسب ، بل اهتم كثيراً أيضاً بالجغرافيا كعلم يزوِّد المرء بمعلومات عن البلدان وغلاتها وسكانها (١٣) .

وقد ألَّف الشريف الأدريسي كتابَ (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) عن جغرافية العالم بأمر من رجار الثاني وتحت رعايته ، ولهذا السبب فإن الكتاب يُعرف أيضا بالكتاب الرُجارى . وكان الكتاب شرحاً لدائرة فضية كبيرة للعالَم أعدَّها المؤلفُ نفسه ، وفرغ من تصنيف الكتاب في شوال سنة ٥٤٨هـ/العشر الأول من يناير سنة ١١٥٤م ، وقد استغرق تأليفه للكتاب خمس عشرة سنة . ومما يسترعى الانتباه أنه بخلاف المثقفين المسلمين الصقلِّيين الذين هاجروا إلى شمال إفريقيا والأندلس ، فإن الأدريسي ، وهو عربي أندلسي المولد ، اكتسب خبرة واسعة من رحلاته في شمال إفريقيا [والأندلس والمشرق] ، قرر أن يستقر في البلاط النصراني في صقلية (١٤) . كما وضع الأدريسي مصنَّفا جغرافياً آخر للملك وليام الأول (١٥) .

وكان رجار الثاني يؤمن كذلك بالتنجيم وقراءة الطالع (١٦) . وكان المنجمون المسلمون في صقلية النورمانية ، كما كان الحال في بقية العالم العربي ، يخلطون بين علم الفلك والتنجيم . إلا أنه كان ما يزال يوجد منجِّمون مرموقون ، من بينهم محمد بن عيسى بن عبد المؤمن الذى كان كذلك عالماً هندسيا (١٧) . وقد وصل إلينا اصطرلابان من فترة حكم النورمان للجزيرة .

وبالنسبة لمعظم الأدباء وفقهاء اللغة وأصحاب الدواوين والنحويين والشعراء ، فإنه لم يتوفر لهم في صقلية النورمانية الحافز الفكرى ولا أمان العيش ولا المستقبل ، فارتحل معظمهم عن الجزيرة . وأشهر هذه الفئة المهاجرة من المثقفين ابن القطَّاع [على بن جعفر بن على الشنتريني السعدى الصقلِّي المولد المصرى الدار والوفاة] (ت

٥١٥هـ/١١٢١م) ، الذى وُلد أثناء فترة الحرب الأهلية الكلبية من أسرة من كبار العلماء كانت قد هاجرت إلى صقلية من البرتغال [من مدينة شنترين على نهر تاجه بغرب الأندلس] [١٨] . وقد بدأ دراساته في فقه اللغة والنحو في صقلية ، وقرأ على العالم الشهير ابن البر . ولما أشرف النورمان على تملك صقلية ، رحل ابن القطاع عنها أولاً إلى الأندلس ثم إلى افريقية ، واستقر آخر الأمر بمصر حيث تولّى بعض الوقت تأديبَ أبناء الوزير الفاطمى بدر الجمالى [١٩] . وفي مصر ، درّس ابن القطاع علم العَروض والنحو وعلم اللغة . وقد ضاعت معظم مؤلفاته بما فيها تاريخ عن صقلية وملاحظات على كتب الحديث الستة وعدة مؤلفات أخرى [٢٠] . ولم يصلْنا سوى نُتفٍ من ديوانه العظيم القيمة عن شعراء صقلية العرب ، الموسوم بكتاب (الدرة الخطيرة من شعراء الجزيرة) [٢١] . والمجموع يتضمّن منتخبات من نظم الشعراء وبعض التراجم ، وقد ذكره أو اقتبس منه أصحاب المجموعات والدواوين من بعده كالعماد الأصفهاني الكاتب ، في (خريدة القصر) [٢٢] . كما وصلَنا شرح ابن القطاع لبعض قصائد المتنبي [٢٣] ، وكذلك بعض مؤلفاته الأخرى .

وثمة ابن بشرون (عثمان بن عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون) وأصله من إفريقية ، وقد جمعَ ديواناً آخر من الشعر [المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر] ، وله كذلك كتاب في الكيمياء [٢٤] ، وقد شغل منصبا مسؤولا في جهاز الدولة النورمانية . وكان أشهر فقهاء اللغة العرب في الفترة النورمانية ابن المعلّم (على بن إبراهيم) الذى « أجاد النحو واللغة وقرأ الطب وكان له خط حسن » [٢٥] . وسجن رجار الأول النحويَّ أبا حفص عمر بن حسن الذى مدحه ، أملاً في أن يُفرج عنه ، بقصيدة وصلتنا بعضُ أبياتها [٢٦] وكان محمد بن أبي الفرج الكتاني [المعروف بالذكي] (ق ١٢/٨/٢ /٥هـ ٢/ت) عالماً بارزاً آخر بالنحو واللغة وسائر فنون الأدب [٢٧] .

ومعظم ما وصلَنا من الشعر العربي الصقلّي نظمَه في الفترة النورمانية شعراءُ هاجروا من الجزيرة ، إلا أن بعضهم بقي فيها ونظم القصائد في مدح ملوك النورمان [٢٨] .

وأثناء فترة الفتح النورماني وبعدها ، هاجر كثير من شعراء صقلية إلى الأندلس البعيدة نسبيا ، لكنها قريبة ثقافياً من صقلية ، وكانت آنذاك تحت حكم ملوك

الطوائف الذين جاءوا إلى الحكم في أعقاب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة . وحظى الشعراء برعاية هؤلاء الملوك الذين لمعتْ أسماءُ بعضهم [في ميدان الأدب] كالمعتمد صاحب اشبيلية والمعتصم صاحب المرية (٢٩) . ومن بين الشعراء النازحين مصعب بن محمد القرشي [المعروف بأبي العرب الصقلّي] ، وُلد في صقلية سنة ٤٢٣ هـ/١٠٣٢ م ، وهو شاعر كان له تأثير على معاصريه من الشعراء الأصغر منه سناً ، وقد التحق ببلاط المعتمد بن عباد (٣٠) . ورحل عن الجزيرة شاعر صقلّي آخر هو أبو سعيد عثمان ابن عتيق ، والتحق في الأندلس ببلاط المعتصم بن صمادح [صاحب المرية] (٣١) .

وأشهر شعراء صقلية العرب الذين اختاروا الرحيل عن الجزيرة إطلاقاً هو ابن حمديس (عبد الجبار أبو محمد بن أبي بكر الأزدى) (٣٢) . وقد وُلد في سرقوسة في سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥ م على ما يُحتمل ، وقضّى أيام شبابه في تلك المدينة . ولعلّه شارك في الجهاد ضد الغزاة النورمان أثناء افتتاح الجزيرة . ثم غادر صقلية إلى الأندلس في سنة ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م والتحق ببلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية . ومع أنّ من المستبعد أن يكون أبن حمديس قد شارك شخصيا في وقعة الزلاقة [سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦ م] التي أوقع فيها المعتمد وحليفُه القويُّ المرابطى يوسف بن تاشفين الهزيمةَ بأدفونش/ألفونس السادس صاحب قشتالة ، إلا أنه أشاد بالنصر في قصيدة مدَح فيها المعتمدَ بن عباد . ولما خَلعَ السلطان المرابطى ملوكَ الطوائف بما فيهم المعتمد بن عباد ، فَقدَ ابنُ حمديس راعيَه إذ لم يكن للشعراء ، في تلك المرحلة على الأقل ، مكان في بلاط المرابطين الصارم . فرحل ابن حمديس عن الأندلس إلى شمال إفريقيا ، مجرِّباً حظه أولا في بلاط أمراء بني زيرى في المهدية ، ثم في بلاط [أبناء عمومتهم] أمراء بني حماد في بجاية . وهناك نظم قصيدة أشاد فيها بانتصار المسلمين على قوة بحرية تابعة لرجار الثاني بالقرب من رأس الديماس سنة ٥١٧هـ/١١٢٣ م . وتُوحى قصيدة له في مديح صاحب جزيرة ميورقة ، بأن ابن حمديس قد يكون قضّى في تلك الجزيرة السنواتِ الأخيرةَ من حياته قبل وفاته في سنة ٥٢٧ هـ/١١٣٣ م (٣٣) . وفي هذه السنوات في المنفى ، كان ابن حمديس يذكر بشوق وحنين عميقيْن المناظرَ الطبيعية والحياة في مسقط رأسه صقلية ، ويتأسّى لمحنة المسلمين في الجزيرة .

ويستعمل ابن حمديس عباراتٍ نادرةً في مفرداته ، وقد لوحظ تأثير المتنبي على أسلوبه . وفي الأندلس لم يلجأ إلى الموشح أو الزجل ، اللذيْن أجادهما معاصره ابن قزمان ، ولكنه أصبح على اتصال بأغراض الشعر الأندلسي وأشكاله . ولا بد أن ابن حمديس كان على بعض الاتصال بالشعر الأندلسي في أيام شبابه في صقلية ، إذ إن تأثير الشعر العربي الأندلسي كان قد وصل إلى صقلية من شمال إفريقيا . والحيوية الحقيقية لنظمه لا يجدها المرء في فيض مشاعره في ميدان الغزل ، بل في وصفه الدقيق للتفاصيل ، وفي مفرداته التصويرية وتلاعبه في الصورة الخيالية ، وفي ميله إلى استعمال المحسِّنات (٣٤) .

وقد لاحظ جابرييلي أن ابن حمديس وغيره من شعراء صقلية العرب في وصفهم للقصور والآثار الباقية وغيرها من المواضيع الفنية يَنحُون تماماً مَنحَى الشعراء العباسيين . وتطغى التعابيرُ البيانيةُ الجزلةُ الجزلةُ على الجوانب الوصفية . ويتجلّى ذلك في وصف ابن حمديس لقصور بني عباد وبني حماد (٣٥) .

وبينما اختار معظم شعراء صقلية العرب العيش في المنفى ، بقي بعضهُم في الجزيرة أملاً في أن يظفروا برعاية ملوك النورمان ، ونظموا القصائد تمجيداً لهؤلاء الملوك ومدحاً لقصورهم ومتنزهاتهم . فعبد الرحمن بن أبي العباس الأطرابنشي نظم قصيدةً في مدح قصر الفوّارة (Favara) (٣٧) . كما أن سميَّه عبد الرحمن بن محمد البثيرى ، الذى كان من حاملي القرآن ، نظَم قصائد يمتدحُ فيها صقلية ، وقصورَ رجار الثاني ومتنزهاته وجنانه (٣٧) . وكان عبد الرحمن بن رمضان مادحاً لنفس الملك (٣٨) . كما امتدح النحوى أبو حفص عمر بن حسن رجار الثاني في قصائده (٣٩) . ونظم أبو الضوء سراج بن أحمد قصيدةً رثى فيها أحدَ أبناء رجار .

وفي مقابل الهجرة من صقلية ، نجد هجرةً أو زيارةً إلى صقلية النورمانية من جانب بعض الشعراء والمثقفين من شمال إفريقيا . ومن الزائرين البارزين للجزيرة ابن قلاقس ، الذى زار صقلية في سنة ٥٦٤ هـ/١١٦٩ م ، ومكث فيها أكثر من عام . وفي صقلية ، حظي برعاية القائد ابنِ حجَر [أبي القاسم بن الحجَر بن حمود] ووضع في تمجيده كتابَ [الزهر الباسم في أوصاف أبي القاسم] ، كما نظم عدة قصائد في مديحه . وقد ترك لنا ابن قلاقس وصفا لإقامته في مدنٍ صقلّيةٍ مختلفة ،

ومن بين رسائله التي لم تُنشرْ رسالةٌ موجَّهةٌ إلى جردان (Giordano) أحدِ وزراء وليام الثاني [٤٠] .

كما التحق بالبلاط النورماني عدد من صغار الشعراء العرب ، من بينهم [أبو الفضل بن جعفر] بن البرون ، وعبد العزيز بن حسين . وقد ادَّعى الأخير نسباً أغلبياً ، واختار آخر الأمر الهجرة إلى مصر ، حيث شغل منصباً ناجحاً في البلاط الفاطمي ، وتوفي في سنة ٥٦٠ هـ/١١٦٥ م .

الفصل العاشر

فردريك الثاني والمسلمون

بافتتاح الأمبراطور الألماني هنرى السادس لصقلية في سنة ١١٩٤ م ، انتهت الحقبة النورمانية في تاريخ الجزيرة ، وبدأت الحقبة السوابية (Swabian) [١] . ومع أن المسلمين واليهود في الجزيرة كانوا قد خضعوا له ، إلا أن المسلمين ثاروا عند وفاته في سنة ١١٩٧ م . وباختفاء الخصيان من البلاط النورماني ، فَقَدَ المسلمون من سكان المدن ومن أهل الجرائد (villeins) في الأرياف الجماعةَ الوحيدةَ المناصرةَ لهم من أصحاب النفوذ ، وأصبحوا الآن تماماً تحت رحمة البارونات والرؤساء الإقطاعيين النصارى . والضرائب التي فُرضت لدعم الحرب الصليبية التي نادى بها البابا إنوسنت الثالث أحدثتْ استياءً كبيراً بين المسلمين في صقلية [٢] . وفي الظروف المضطربة التي تلَتْ موتَ هنرى السادس ، جابتْ الجزيرةَ جماعاتٌ من المسلمين للاستيلاء على ما تستطيع الاستيلاء عليه ، ولما استفحلتْ ثورتهم ، تمكّنوا من الاستيلاء على بعض القرى والحصون [٣] .

وقد تمَّ في بلرم في سنة ١١٩٨ م تتويجُ أرملة هنرى السادس الملكة كونستانسا ، وهى صقلّيةُ المولد ، مع ابنها فردريك الثاني الذى كان يناهز السنةَ الثالثة من العمر . وبعد وفاة الملكة في أواخر ذلك العام ، تولّى البابا إنوسنت الثالث الوصايةَ على فردريك . وقد تأثر فردريك في مرحلة طفولته وصباه بعضَ الشيْ باللغة العربية والثقافة الإسلامية . ويُستنتج من ذلك أنه حتى بعد قمع ثورة المسلمين سنة ٥٨٥ هـ/١١٨٩-١١٩٠ م ، والهجرة التي تلتْها إلى الخارج ، ظلّت بقيةٌ من المسلمين في بلرم ، وكانت من الأهميه الثقافية بحيث كان لها تأثير على فردريك في صباه . وتؤكد المصادر الغربية أن فردريك كان يستطيع فهمَ العربية والتحدثَ بها ، وأما المصادر الشرقية فلا تذكر شيئاً عن هذا الموضوع [٤] .

واستمرت الفوضى والحرب الأهلية في صقلية أثناء فترة طفولة فردريك . وكان الحزبان الرئيسيان هما الحزب الألماني (بزعامة ماركوارد فون أنويلر) والحزب

النورماني الصقلّي . وكان الحزب الألماني يلقى مساندة بيش ومسلمي صقلية ، وأما الحزب النورماني فكان يسانده البابا . وقد وقع فردريك الثاني وهو في سن السابعة تحت نفوذ ماركوارد ، إلا أن الأخير توفي بعد ذلك بقليل . وفي تلك المرحلة من العمر ، كانت حياةُ فردريك حياةَ فاقة وفقر . ولا يُعرف الشيءُ الكثير عنه في السنوات الخمس التالية من حياته ، إلا أنه ما إن بَلَغَ الثانية عشرة من عمره حتى حذق حمل السلاح وركوب الخيل ، كما أبدى اهتماماً بالنشاطات الفكرية . وقد عزي اهتمامه بالمسائل الفكرية إلى احتكاكه بمسلمي بلرم ، وبالرسول البابوي جريجوري من بلدة جَلْجانو (Galgano)(٥) . ولما بلغ فردريك الثاني الرابعةَ عشرةَ من عمره (٢٦ ديسمبر سنة ١٢٠٨ م) وبلغ سن الرشد ، تزوَّج من عروسٍ اختارها له البابا هي كونستانسا من أراجون [مملكة أراجون بشمال أسبانيا الشرقي] ، وكانت يومئذ في الرابعة والعشرين من العمر وسبق لها أن تولَّتْ المُلك . وجاء إلى صقلية في ركبها فرسانٌ ، وسيداتُ بلاط ، ومُنشدو التروبادور ، وتحوَّل فردريك الثاني بتأثيرها من جندي خشن إلى ملك مهذَّب .

وفي سنة ١٢١١ م ، كان أُتو الرابع ، امبراطور ألمانيا عن حزب الجويلف (Guelfs) قد احتل ممتلكات فردريك في شبه الجزيرة الإيطالية ، ودعاه مسلمو صقلية إلى غزو الجزيرة . وبينما كان أُتو الرابع يَهِمُّ بغزو صقلية ، عَلِمَ أن المجلس العام في نوريمبرج قد قرَّر عزله ، وقرر انتخاب فردريك الثاني امبراطوراً (٦) . وبعد أن تُوِّج امبراطوراً ، قطع فردريك على نفسه عهداً بالمشاركة في حملة صليبية ، وهو وعد قطعه مرضاةً للبابا . وما إن حلَّ عام ١٢٢١ م ، حتى كان فردريك الثاني قد وطَّد في معظم صقلية النظام والهدوء اللذيْن لم تعهدْهما الجزيرة منذ وفاة وليام الثاني . ومع ذلك ، فإن المسلمين كانوا في ثورة ضده . وحتى بعد أن تُوِّج فردريك امبراطوراً لم يرَ المسلمون فائدةً تُذكر في الخضوع له ، بل رأوا أن خضوعهم له لن يجلب لهم سوى المزيد من الفقر والتبعية الإقطاعية . وفي سنة ١٢١٩ م ، هاجمت جماعاتٌ من المسلمين ونهبتْ مستشفى القديس يوحنا لمعالجة البُرْص (Spedale di San Giovanni dé Leprosi) الكائن في ظاهر بلرم ، كما أَسروا أُسقف مدينة جرجنت . وقد قُدِّر عدد الثائرين المسلمين في سنة ١٢٢١ م بما يتراوح بين ٢٥,٠٠٠ و٣٠,٠٠٠ رجل (٧) . وكان على رأسهم شخص تسمِّيه كتبُ التاريخ المسيحية Mirabetto ،

ويرى أماري وغيرُه أنه ابن عباد من بني عَبسْ [٨] . وفي الجانب الغربي من صقلية ، اغتنم المسلمون فرصةَ الاضطرابات التي عمَّتْ المملكة ، فاستولوا على أراضٍ ظلَّتْ في قبضتهم أكثر من عشرين عاما . وكان من بين حصون المسلمين حصن إنتيلّه (Entella) وحصن جاطو (Giato) ، والأخير قريب جدًّا من بلرم . وأرسل فردريك الثاني أحدَ قادته هنرى المالطى ، فاحتل حصنَ جاطو ، إلا أنه لم يلبث أن فقَدَه ثانية . وفي أبريل سنة ١٢٢٢ م ، اجتمع فردريك بالبابا في فيرولى (Veroli) وحصل على موافقته بإرجاء الحملة الصليبية إلى أن يفرغ من معالجة أمر مسلمي صقلية . وفي نفس السنة ، احتلَّت قوات فردريك حصنَ جاطو نهائيا ، وتمَّ أسرُ ابن عباد وحليفيه المسيحيَّيْن وليام بوركو وهيوز دى فير . وأُعدم ابن عباد ، إلا أن أسطورةً ملحميةً تقول إن ابنته واصلت المقاومة في حصن إنتيلّة ، وعن طريق خدعة حربية أودتْ بحياة ثلاثمائة من فرسان الأمبراطور اخفقوا في استدراجها إلى كمين نصبوه ، ثم أقدمتْ آخر الأمر على الانتحار صَوْناً لشرفها [٩] .

واستمرت ثورة المسلمين ، واضطر فردريك ما بين سنتي ١٢٢٢ و١٢٢٤ م إلى اللجوء إلى اتخاذ إجراء عسكرى عنيف ضدهم . فوُجِّهت عدة حملات في آن واحد ضد المسلمين الذين اضطُروا إلى الاعتصام بالجبال العالية حيث انقسموا إلى جماعات منفصلة ، ظلَّت تحت الضغط المستمر حتى أُجبرت أخر الأمر على الاستسلام على دفعات . وعندئذ ، اتخذ فردريك الخطوةَ الحاسمةَ والمصيرية لتصفية وجود المسلمين في صقلية بانتهاج سياسة ترحيل مسلمي صقلية الذين استسلموا وأسكانهم في لوشيرة (Lucera) في مقاطعة بولية (Apulia) . وقد قُدِّر عدد من رُحِّل بستة عشر ألف شخص . ولما كان مسلمو صقلية قد تلقَّوا مساعدة من إفريقية ، فإن أسطول فردريك عاث بجزيرة جربة ، ونقل الكثيرين من سكانها أيضا إلى لوشيرة . كما أقام مستوطنتيْن أصغر من لوشيرة في إيطاليا ، أسكنهما المسلمين ، وهما نُصيرة (Nocera) وجيروفالكو (Girofalco). ومع ذلك فقد بقي بعض المسلمين في صقلية ، وهؤلاء قاموا بثورة بعد نحو عشرين عاما .

وفي سنة ١٢٢٥ م ، تزوَّج فردريك الثاني من يولندا (Yolanda) وارثة المملكة اللاتينية ببيت المقدس ، واتخذ لنفسه لقب (ملك بيت المقدس) بالإضافة إلى ألقابه الأمبراطوريَّة . وفي سنة ١٢٢٦ م ،وصل إلى بلاط فردريك فخرُ الدين بنُ الشيخ

المتبحّر في علم الكلام والفلك والبيزرة أو الصيد بالبيزان ، مبعوثاً من قِبَل السلطان الأيوبي الكامل للاستعانة بالأمبراطور ضد أخيه المعظَّم وحليف الأخير جلال الدين الخوارزمي . وقد طالت إقامة المبعوث الأيوبي في صقلية ، حيث أنعم عليه فردريك برتبة فارس . وأوفد فردريك سفارةً رداً على السفارة الأيوبية ، برئاسة رئيس أساقفة بلرم والكونت توماس الأكِرِّى (Thomas of Acerra) ، ومعها هدايا ثمينة . وقد نجحت هذه السفارة في الحصول على موافقة السلطان الكامل على التنازل عن بيت المقدس للأمبراطور إذا أمكن انتزاعها من يد أخيه المعظَّم .

وقد أصدر البابا جريجورى التاسع ، الذى خلف هنوريوس الثالث ، قرارَ الحرمان (excommunication) ضد فردريك في سنة ١٢٢٧ م ، وتوفيت الأمبراطورة يولندا في العام نفسه . وفي نفس السنة ، توفي الملك المعظَّم أيضا ، واحتل السلطان الكامل بيت المقدس ونابلس . وبعد ثلاثَ عشرةَ سنةً من حمِله الصليب ، قرر فردريك الثاني أخيراً الشروع في حملته الصليبية يحدوه في ذلك هدفٌ سياسي في المقام الأول ، وهو أن يحظى بالاحترام والهيبة في العالم المسيحى ، بالرغم من صدور قرار البابا بحرمانه . ولدى وصوله إلى عكا ، أوفد فردريك الثاني الكونت توماس الأكِرِّى وباليان الصيداوى (Balian of Sidon) مبعوثَيْن عنه إلى السلطان الكامل يحملان هدايا ثمينة ، ورسالةً إلى السلطان يدعوه فيها إلى البرِّ بوعده بتسليم بيت المقدس . وقد كانت المفاوضاتُ الدبلوماسية التالية ، التي تنمُّ عن الدهاء ، معاركَ فطنة وحضور بديهة . وكان فردريك والكاملِ تجمعهما اهتماماتٌ فكرية وسياسية مشتركة . وأُرسل فخر الدين مرة ثانية في سفارة من قِبَلِ الكامل الذى رفض تسليمَ بيت المقدس بادئ الأمر بحجة أن عملاً كهذا من شأنه أن يجلبَ سخطَ المسلمين ضده . وكان السلطان الكامل على علمٍ باستمرار معاداة البابا للأمبراطور ، مما أدى إلى ظهور انشقاقٍ في معسكر الأمبراطور . كما أن اضطرابات حدثت في ممتلكات فردريك في أوروبا . وكانت المراكب التي تنقل المؤن إليه قد تحطَّمتْ في البحر مما عرَّض جيشه البالغ عدد أفراده أحد عشر ألف رجل للموت جوعاً . كما أن الكامل أيضا كانت تواجهه مشاكل خطيرة . وكان في حاجة إلى محالفة الأمبراطور . ولم يكن قد نجح في حصاره لمدينة دمشق ضد ابن أخيه ، وكان الخوارزميون يهدِّدون جناحه . فقَبلَ الكاملُ المقترحاتِ التي أتي بها مبعوثا الأمبراطور في زيارتها الثانية له ، وتنازل

الكَامل بمقتضاها عن بيت المقدس والناصرة وممرٍ إلى البحر عند يافا ، وبقي المسجدُ الأقصى وقبةُ الصخرة المشرَّفة في بيت المقدس في أيدى المسلمين . وقد أثارت المعاهدة عاصفةً من السخط في العالم الإسلامى .

لقد كانت الحملة الصليبية التي قام بها فردريك الثاني تطوراً عمَّقَ التأثيرَ الإسلاميَّ على ذوقه الفكرى والفني وعلى أسلوب حياته . واتَّخذ من قبة الصخرة نمطاً حذا حذوَه عند تشييد قصره في صقلية المعروف بقلعة الجبل .

وفي هذه المرحلة تعلَّم استعمالَ غطاء الرأس للبيزان في الصيد . وكانت نساءُ قصره يتَنَقَّلْنَ في هوادجَ مغطَّاةٍ يرافقهن الخصيان كما تفعل نساءُ المسلمين [١٠] . وكانت حاشيته تضمُّ فتياناً مسلمين أثناء الحملة الصليبية ، وكان جيشه يضمُّ على الأقل بعضَ الجنود المسلمين [١١] .

وعند عودة فردريك الثاني إلى أوروبا أبدى حزماً في معالجة أعدائه في الداخل والخارج ممَّن حرَّضهم البابا ضده . وفي سنة ١٢٣٠ م ، عقد البابا جريجورى التاسع اتفاقا معه ، ورفع عنه قرار الحرمان . وفي سنة ١٢٣١ م ، عقد فردريك الثاني هدنة مع السلطان الحفصي أبي زكريا يحيي [١٢] نصَّتْ على أن يحكم جزيرة قَوصْرة (Pantellaria) والٍ مسلمٌ يسمِّيه الأمبراطور [١٣] . وأوفد السلطان الكامل إليه مبعوثاً للتوسط لمسلمى صقلية كي يُتركوا وشأنهم أو يسمح لهم على الأقل بالهجرة إلى مصر . إلا أن هذا الطلب لم يؤدِّ إلى أية نتائج عملية [١٤] وفي حين إن السياسة الداخلية لفردريك المتفتح ظلَّت قائمةً على الكبت والقمع تجاه المسلمين ، فإنه ظلَّ يتبادل السفارات الثقافية مع السلاطين المسلمين في منطقة البحر المتوسط وما وراءها . في سنة ١٢٣٢ م ، قدمتْ إليه سفارة أوفدها سلطان دمشق ومعها جهاز في خيمة يمثِّل حركات الكواكب كانت تتحرك فيه الأجرام الفلكية ، المصنوعة من الذهب والفضة ، في مَداراتها بفعل آلةٍ خفيَّة [١٥] . لا بل إن فردريك أوفد مبعوثاً إلى مقر الحشاشين في بلاد الشام [حصن مَصْياد/مصياث على السفح الشرقي لجبل النُصيْرية] يحمل هدايا إلى رئيس طائفة الإسماعيلية في قلعة ألاموت [الواقعة قرب تبريز في الجنوب الغربي لبحر قزوين] . وقد قام رئيس الطائفة في بلاد الشام [الملقَّب بشيخ الجبل] بمصادرة هذه الهدايا [١٦] .

وأصدر البابا جريجورى الثاني قرار الحرمان ثانية ضد فردريك من سنة ١٢٣٧ إلى

سنة ١٢٤١ م ، متهماً إياه ، في جملة ما اتهمه ، بإنكار ولادة مريم العذراء وبإعلانه أن موسى والمسيح عليهما السلام دجّالان [١٧] . ويحمل ابن الجوزى نفسَ الفكرة عن فردريك ، ويسمّيه دهرياً يلهو بالتظاهر بالمسيحية [١٨] .

أما سياسة فردريك الثاني الداخلية ، فكانت قائمةً على التزامه بإنهاء كل أثر للوجود الإسلامي في الجزيرة . وإن نقله للمسلمين إلى بلدة لوشيرة (Lucera) في الفترة ١١٢٥–٣ م وما بعدها لم يَعْنِ ترحيلَ كافة المسلمين من سكان صقلية . فحتى عام ١٢٤٢ م ، ظلَّ المسلمون يشكّلون نسبة مئوية عالية من سكان مدينة جفلوذى (Cefalu) وكان لا يزال يوجد رعاة مسلمون في إقليم مازر . وفي سنة ١٢٤٣ م ، ثارت من جديد البقية الصغيرة المتبقّية من المسلمين في صقلية — ولعلَّ ثورتها كانت لأسباب اقتصادية — وقاومت القوات الأمبراطورية لمدة ثلاث سنوات ، إلا أن الثائرين أُجبروا آخر الأمر على الاستسلام جوعاً ورُحِّلوا للانضمام إلى إخوانهم في الدين في لوشيرة [١٩] ، وبذلك انتهى تماما الإسلام والوجود الإسلامي في صقلية . وإنه لمن سخرية التاريخ أن يتم ذلك على يد امبراطور كان شديدَ الإعجاب بالثقافة الإسلامية الفكرية والمادية ، وكان مشاركاً فيها شخصياً بطرق شتّى .

وفي سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤ م ، استردَّ المسلمون بيتَ المقدس . وعرض فردريك ، بتحريضٍ من بطريق أنطاكية ، أن يقود حملة صليبية أخرى ، إلا أن ذلك لم يتحقق قطّ ، ورفض مجمع ليون هذا الاقتراح . وقد اتُّهم فردريك من قِبَل معاصريه النصارى بمعاشرة المسلمين أكثر من معاشرته النصارى [٢٠] ، وهي تهمة تبدو سخيفةً من الناحية التاريخية ، مع أنها لم تكن دون أساس من الحقيقة . ولما توفي فردريك الثاني في سنة ١٢٥٠ م ، دُفن ، وقد كُفِّن بأثواب عربية ، في مسجدٍ كان قد حُوِّل إلى كاتدرائية [٢١] . وقد أطلق المؤرخون المسلمون على فردريك الثاني وخلفائه لقب (الأنبراطور) [٢٢] ، أي الأمبراطور ، وقد كان كذلك بكل معنى الكلمة .

وقام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (حَكَمَ ١٢٦٠–١٢٧٧ م) بإيفاد المؤرخ ابن واصل في سفارةٍ إلى بلاط منفريد (Manfred) الابن غير الشرعي لفردريك وآخر ملوك أسرة هوهنشتاوفن في صقلية [٢٣] . وكان منفريد شاعراً وراعياً لمُنشدي التروبادور (troubadours) ، فضلاً عن كونه منفتحاً على جميع المؤثرات الإنسانية

العربية واليونانية واللاتينية . وبعد أن أدانه البابا بأنه « سلطان لوشيرة » و« ملك العرب » تعرَّض منفريد لهجوم شارل صاحب أنجو الذى هزمه وقتله سنة ١٢٦٦ م . وأصبحت صقلية ، التي لم يَبْقَ فيها مسلمون الآن ، من ممتلكات سيدٍ جديدٍ لم يُبدِ تسامحاً حتى تجاه وجود النازحين المسلمين الأبرياء في لوشيرة .

الفصل الحادى عشر

انتقال التراث الفكرى العربي عن طريق صِقِلِّيَّة وإيطاليا

إن دوْر صقلية وإيطاليا في انتقال التراث الفكرى العربي دوْرٌ صغير إذا ما قورن بدوْر الأندلس في هذا المضمار. ومع ذلك، فإن عظمة مملكة النورمان في صقلية في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى كان بها كذلك عنصر فكرى معاصر لقيام حركة النهضة الإيطالية في ذلك القرن. وهذه النهضة اكتسبتْ معلوماتٍ جديدةً من بيزنطية ومن العرب في الأندلس وصقلية. ومع إن صقلية لم تكن مهمةً نسبياً كمعبرٍ للاتصال الفكرى فإنه، كما بيَّن هاسكينز، «لم تقُم في أى مكان آخر غيرِ صقلية الحضاراتُ اللاتينيةُ واليونانيةُ والعربيةُ جنباً إلى جنب في جو يسوده السلمُ والتسامح، ولم يُعبَّر في أى مكان آخر عن النهضة بوضوح أكثر مما عبَّرت عنه سياسة الحكَّام»(١).

كانت اللغة العربية لغةَ العلم في القرن السادس الهجرى / الثاني عشر الميلادى، وترجماتُ المؤلفات اليونانية من العربية إلى اللاتينية سبقت ترجمتَها من اليونانية مباشرة. وكان للشروح والتعاليق العربية على مؤلفات جهابذة اليونان تأثير عميق على الفكر الأوروبي. كما تُرجمتْ كتب علمية كثيرة من تواليف العرب والمسلمين أنفسهم، وخصوصاً في ميادين الطب والرياضيات والفلك. وفي إيطاليا، اتصل علماء اللاتينية اتصالا وثيقا بروح التفاني في دراسة العلوم والانكباب عليها، وهى الروح التي تميَّز بها العلماء العرب والعلماء اليهود المتعرِّبون، ونهلوا من مَعينِها. «ومع الاهتمام جاءت الوسيلة: إخضاع الأمور لحكم العقل والطبع التجريبي»(٢). ومع إن جيرارد الكريموني (Gerard of Cremona) (١١١٤–١١٨٧ م) ينتمى إلى «مدرسة طُلَيْطلة»، إلا أنه ينبغى أن لا يغرب عن البال أنه كان إيطالياً وأن اهتمامه بالطب اليوناني — العربي بدأ في إيطاليا وأدى إلى دراساته في الأندلس وإلى ترجمته لعدد وافر من الكتب من اللغة العربية.

وقد ساهم أطباء بلرم في نمو مدرسة الطب في سالرنه ، وهى مدرسة يكتنف تاريخَها المبكر شيء من الغموض . وقد بدأت ترجمة المؤلفات الطبية من العربية في إيطاليا منذ مطلع القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى لفائدة مدرسة الطب في سالرنه أو لغرض آخر . وكان من أوائل المترجمين قسطنطين الإفريقي الذى وُلد في قرطاجنة سنة ١٠١٥ م ، وتوفي راهباً من رهبان القديس بنيديكت في مونتي كاسينو سنة ١٠٨٧ م . ومن المترجمين من العربية أفلاطون التيفولي وهو من أصل إيطالى قام في الأندلس ، بالتعاون مع عالم يهودى مستعرب إبراهيم بن حيًّا ، بترجمة كتاب البتّاني في علم الفلك ومؤلفات الفرغاني وغيرهما [٣] . وفي سنة ١١٢٧ م ، يذكر اسطفان الأنطاكي ، الذى ترجم مؤلفات المجوسي [على بن العباس المجوسي ، صاحب الكُنّاش الملكى الذى يُعرف كذلك باسم كامل الصناعة الطبية] أن علماء الطب كانوا يوجدون في الدرجة الأولى في صقلية وسالرنه ، وكانوا إما من اليونان وإما أشخاصاً ملمّين باللغة العربية . وكان أطباء سالرنه ، كالأطباء العرب ، يتجنبون تشريحَ الجسم البشرى ويشرِّحون الحيواناتِ بدلاً منه [٤] ووفد على صقلية من بجاية في القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى طبيب مسلم اسمه تقي الدين .

وتحت رعاية فردريك الثاني ، تقابل التياران الأندلسي والصقلّي لنقل التراث العربي إلى أوروبا وامتزجا إلى حدٍ ما ، مع أن التيار الأندلسي ظل ينقل هذا التراث مباشرة من شبه جزيرة إيبرية أيضا . وكان التأثير العربي في بلاط فردريك الثاني أقوى من التأثير اليوناني ، وقد ازداد إثْرَ زيارته إلى المشرق ونموِّ العلاقات السياسية والفكرية مع سلاطين شمال إفريقيا والشرق الأدنى . ومن صقلية انتشر هذا التأثير إلى حدٍ ما إلى شمال إيطاليا وألمانيا ومقاطعة بروفانس [بجنوبي فرنسا] [٥] . وكانت مكتبة فردريك الثاني تزخر بالكتب اليونانية والعربية . كما كان فردريك على اتصال شخصي أو بالمكاتبة بالعلماء العرب المبرِّزين في العلوم العربية الإسلامية ، وقد أحال إليهم للبحث مسائلَ مختلفة في الرياضيات والطبيعة والفلسفة . ومن هؤلاء العلماء عَلَم الدين الحنفي ، وهو رياضي مرموق وعالم ، أوفده السلطان الأيوبي الكامل إلى بلاط فردريك الثاني [٦] . وكان فردريك قد أرسل إلى الكامل خطاباً تضمَّن سبعة أسئلة تناولت ثلاثة منها علمَ البصريات (optics) ، وقد وصلتْنا هذه الأسئلةُ وأجوبتُها . كما

أن فردريك الثاني كان مهتماً بعلم الحيوان والطب والميكانيكا وعلى أوصاف الكون (cosmography) والرياضيات ، وترجم له ميخائيل سكوت (Michael Scot) وثيودور الأنطاكي كتباً عربيةً في علم الحيوان [٧] . وأوفد فردريك أحد كُتَّابه جوفانّي البلرمي مبعوثاً عنه إلى تونس في سنة ١٢٤٠ م ، وكان هذا المبعوث على ما يُحتمل متمكّناً من العربية [٨] . وكانت الرياضيات الميدانَ الرئيسيَّ لاهتمام جوفانّي . وكان من بين الرياضيين البارزين في بلاط فردريك ، الإيطالي ليناردو فيبوناتشي (Leonardo Fibonacci) الذي كان قد درس في الأندلس وفي المشرق ، وإليه يرجع الفضلُ في إدخال الأرقام العربية إلى الغرب . وقام فيلسوف عربي صقلّي هو ابن الجوزي بمرافقة فردريك في حملته الصليبية ، وألقى عليه دروساً في علم المنطق [٩] .

وكان الاهتمام كبيراً بعلم الفلك في بلاط فردريك ، وخاصة ما ألّفه بطلميوس ، الذي كان كتابه المجسطي (Almagest) قد ترجم إلى اللاتينية من العربية منذ سنة ١١٣٨ م ، وما ألّفه الفرغاني. [١٠] كما أولى فردريك اهتمامه أيضا بالتنجيم والكيمياء والسحر ، كما عرفها العرب ، وبسبب هذا الاهتمام ، وضع دانتي ميخائيل سكوت ، الذي كان يحظى برعاية فردريك ، في جهنّم . وقد أهدى فردريك إلى جامعة بولونية [بشمالي إيطاليا] مؤلفاتٍ في المنطق والطبيعة أمرَ بترجمتها من العربية . وأنشأ في مدرسة الطب بسالرنه أول قسم للتشريح في أوروبا [١١] . كما أسّسَ جامعةً في نابولي في سنة ١٢٢٤ م . وكان لفردريك اهتمام شخصي كبير بالفلسفة العربية . ويرى البعض أنه تأثر بفلسفة ابن سينا أكثر من تأثره بفلسفة ابن رشد . كما كان قد درس مؤلفاتِ ابن ميمون (Maimonides) ، ولعلّه كان يعرف شيئاً من العبرية [١٢] .

وكان أبرز أعلام الفكر في بلاط فردريك ميخائيل /مايكل سكوت (Michael Scot) الذي كان صلةَ الوصل بين بلاطه في صقلية وبين مركز الترجمة الكبير في طليطلة . وكان مايكل سكوت قد درس في طليطلة من سنة ١٢١٧ إلى سنة ١٢٢٠ م ، ثم انتقل إلى بولونية [بشمالي إيطاليا] ، وابتداءً من عام ١٢٢٧ م بقي في البلاط الأمبراطوري . وفي هذا البلاط ، ترجم سكوت ، بالإضافة إلى مؤلفات قيّمة أخرى ، العديدَ من شروح ابن رشد (Averroes) وتعليقاته على كتابات أرسطوطاليس . كما ترجم أجزاء من مؤلفات ابن سينا (Avicenna) . وأعدَّ نصاً منقّحاً لكتاب جونديسالفي (Gondisalvi) De Divisione philosophiae الذي كان

بدوْرة تفصيلاً لما كتبه الفارابي وغيرة . وإلى مايكل سكوت يرجع الفضل في المقام الأول في تعريف الغرب بمؤلفات ابن رشد .

وكان أشهر عالم بعد مايكل سكوت في بلاط فردريك ثيودور الأنطاكى الذى أرسله إليه السلطان الكامل في سنة ١٢٣٦ م . وكان ثيودور قد درس في الموصل وبغداد ، وكان متمكّناً من العلوم العربية المشرقية تمكُّنَ مايكل سكوت من العلوم العربية الأندلسية . وفي السجل الخاص بعام ١٢٣٩–١٢٤٠ م ، نجد مسوَّداتٍ حرَّرها ثيودور لرسائل الأمبراطور العربية إلى سلطان تونس . ومن بين المترجمين والكتبة الآخرين في حلقة فردريك جوفانّي وموسى البلرمى .

وفي سنة ١٢٣٢ م ، قام يهودى اسمه يعقوب ، من أبناء « أبا مَرِي » ، هاجر من فرنسا إلى نابولى ، بترجمة شروح ابن رشد وتعاليقه على أربعةٍ من كتب أرسطوطاليس إلى العبرية ، كما ترجم كتابَ الفرغاني في علم الفلك [١٤] . ووفد على إيطاليا في سنة ١٢٤٧ م يهودى آخر من أصل أندلسي اسمه يهودا كوهين . وهو صاحب موسوعة علمية كبيرة بالعربية ، ترجمها أيضاً إلى العبرية [١٥] . وفي سنة ١٢٥٥ م ، ترجم اليهودى بوناكوسَّا (Bonacossa) ، من مدينة بادوا ، كتابَ ابن رشد (الكليات في الطب) . وبعد ذلك بخمس وثلاثين سنة ، ترجم بارافيكيوس (Paravicius) ، في مدينة البندقية ، كتابَ (التيسير) لابن زهر (Avenzoar) الأندلسي [١٦] .

وكان فردريك الثاني قد طرح مسائلَ علميةً ورياضيةً على العلماء في مناسبات عديدة — على ليناردو فيبوناتشي في سنة ١٢٢٦ م ، وعلى مايكل سكوت في سنة ١٢٢٧ م ، وعلى السلطان الكامل أثناء الحملة الصليبية ، وعلى عدة علماء آخرين . ومع ذلك فإن « لمسائلِ الصقلّيَّةِ » أهميةً خاصة . وكانت هذه المسائلُ قد وُجِّهت أولاً إلى مصر والشام والعراق واليمن ، وأُرسلت آخر الأمر إلى الخليفة الموحدى عبد الواحد الثاني الرشيد (حكَم ٣٣–١٢٤٢ م) . وكان السؤال الأول يتعلق بقول ارسطوطاليس إن العالم أزليٌّ ، فسأل الأمبراطور عن الأدلَّة التي استند عليها ارسطوطاليس ومنهج بحثه . أما السؤال الثاني فكان عن مجال العلوم الدينية وفَرَضَياتها الأولية إنْ وُجدتْ . وأما السؤال الثالث فكان يدور حول « المقولات العشر » . ولم يصلْنا النصُّ الكامل للسؤال الرابع ، ولكنه بدأ بطلب الاستدلال على

خلود الروح . وكان السؤال الخامس يتعلّقُ على وجه التحديد بالفقه الإسلامى ، وفيه يستفسر عن الحديث الشريف القائل إن قلب المؤمن بين أصبعيْن من أصابع الرحمن . وأحال والى الخليفة الرشيد هذه الأسئلةَ على ابن سبعين (عبد الحق بن إبراهيم) ، وهو صوفي وفيلسوف من مدينة مُرسية [بالأندلس] ذو ميول أفلاطونية جديدة . وكان في شرخ شبابه ، حينما نزحَ عن مسقط رأسه وأقام في مدنية سبتة لاجئا ، إذ كان يُشتبه في أن « وحدانيته » ضرب من الهرطقة . وفيما بين سنتىْ ١٢٣٧ و١٢٤٢ م كتب ابن سبعين رسالته الشهيرة (الأجوبة عن المسائل الصقلّية) رداً على أسئلة الأمبراطور . والرسالة تدلُّ على علمٍ غزير للشاب ابن سبعين ، وفيها يتمسك كل التمسك بوجهة النظر الإسلامية ، وينبذُ وجهة نظر أرسطوطاليس حيثما تتعارض مع وجهة نظر الدين [١٧] . ومن المشكوك فيه من إذا كانت (الأجوبة) قد تركت أثراً على الغرب في القرون الوسطى . ومهما يكنْ من أمر ، فإن الخليفة الموحدى أوفد في سنة ١٢٤٣ م أخاً لابن سبعين ، هو عبد الله ، مبعوثاً عنه إلى البابا إنوسنت الرابع الذى قد يكون على علم بما انطوتْ عليه أسئلة فردريك من هرطقة ومروق عن الدين .

وقد ورث منفريد عن أبيه شغفه بالتراث الفكرى الإسلامى واليوناني . وفي سنة ١٢٦٠ م ، أوفد السلطان المملوكى الظاهر بيبرس القاضي الشافعى جمال الدين محمد ابن سليم إلى بلاط منفريد ، وسجّل القاضي انطباعاته عنه . وكلّف منفريد بارتولوميو المسيني بترجمة كتاب (الأخلاق) لأرسطوطاليس إلى اللاتينية ، كما أن ألمانيًّا يُدعى هيرمان ترجم للأمبراطور التعاليق العربية على ذلك المصنَّف وعلى غيره من مؤلفات الفيلسوف اليوناني [١٨] . لا بل إن شارل صاحب أنجو الذى أنهى ، مع ابنه ، حكم أُسرة هوهنشتاوفن في صقلية ، والمستوطنةَ الإسلاميةَ في لوشيرة ، ينُسب إليه مع ذلك رعايةُ الترجمة التي أعدّها لمصنَّف الرازى (Rhazes) الطبي الموسوعى ، وهو كتاب (الحاوى) المسمَّى باللاتينية (Continens) ، فرجُ بن سالم ، وهو يهودى من مدينة جرجنت . وبعد ذلك بزمن طويل ، أضاف شرحاً للجزء التاسع من الكتاب فرّاري دا جرادو (Ferrari da Grado) ، من مدينة بافيا ، وكان متبحِّراً في العلوم الطبية العربية ، ويقال إنه أول كتاب طبي موسوعى يتمُّ طبعه [١٩] .

إن رغبة فردريك في نقل أحد العلوم العربية المتصلة برغد العيْش انتهت لسوء

الحظ به . وكان هذا العلم هو علم البيزرة أو الصيد بالبيزان ، وفيه وضع مدرِّب صقورة "Maomin" (مؤمن ؟) كتاباً تُرجم إلى اللاتينية ، وقد استفاد منه الأمبراطور في كتابه عن الصيد بالبيزان المسمَّى (De arte venendi cum avibus) .

أما فيما يتعلق بالتأثير اللغوى للعربية ، فإن بعض آثارها الصغيرة قد بقيت في اللهجة الصقلِّية من اللغة الإيطالية ، وتشتمل على بعض المفردات المستعارة وبعض التعابير . أما الكلمات المستعارة ، فيتعلَّق معظمها بالأشياء الريفية وصناعات المدن والملابس والطعام والقانون والنظام [٢٠] . ولعلَّ خيرَ تحليل يمكن الاعتماد عليه لهذه المفردات المستعارة التحليلُ الذى أعدَّه دى جريجاريو (de Gregario) وسيبولد (Seybold) [٢١] اللذان أحصيا نحواً من مائتي كلمة عربية مستعارة في اللهجة الصقلِّية . وكان لبعض هذه المفردات انتشار محلى فقط في جزيرة صقلية . وتفوقها في الأهمية تلك المفرداتُ التي انتقلتْ إلى اللغة الإيطالية في شبه الجزيرة الإيطالية ، ومنها إلى اللغات الأوروبية الأخرى . على أن المرء ينبغى أن يلتزم جانب الحذر في هذه الناحية ، إذ إننا نجد أن الكلمةَ العربيةَ المستعارةَ الواحدةَ قد انتقلتْ أحياناً إلى الأسبانية أو البرتغالية فضلاً عن الإيطالية ، ومن الصعب الجزم ما إذا كانت الكلمةُ قد انتقلتْ إلى اللغات الأوروبية الأخرى عن طريق إيطاليا أو عن طريق شبه جزيرة ايبرية .

ومن الكلمات العربية المستعارة المألوفة التي انتقلتْ إلى اللغة الصقلِّية الإيطالية ثم انتقلت منها إلى اللغات الأوروبية الأخرى الكلمةُ العربية (أمير) التي أصبحت Ammiragghiu في الصقلِّية ، و ammiraglio في الإيطالية ، و admiral في الإنجليزية . والكلمة الفارسية (بازار) التي انتقلتْ عن طريق العربية إلى الصقلِّية bazzariotu . والكلمة العربية (قهوة) أصبحتْ في الصقلِّية cafè ومنها جاءت الكلمة coffee في الإنجليزية ومشتقاتُها في كل اللغات الأوروبية الرئيسية الأخرى تقريبا . والكلمة العربية خرشوفة التي أصبحتْ في الصقلِّية 'carciŏffa' ، وفي الإيطالية 'carciofo' ، وفي الإنجليزية artichoke . والكلمة الفارسية كرقان انتقلتْ عن طريق العربية [قيروان] إلى الصقلِّية 'carvana' ، والإيطالية carovana ثم إلى اللغات الأوروبية الأخرى . والكلمة العربية فُستق هى أصل الكلمة — عن الصقلِّية — pistachio . والكلمة العربية مخزن أصبحت magazzino في الإيطالية ، و magazine

في الأنجليزية . والكلمة tariff في الأنجليزية مشتقَّة من الصقلّيّة / الإيطالية tariffa، وهي مشتقة من العربية تعريفة . والكلمة العربية قائد ـــ ولعلّها اختلطتْ بكلمة قاضي ـــ انتقلتْ إلى الصقليّة على صورة caitu, caytu, gaitu، وإلى الأسبانية على صورة cayado او gayato . والكلمة العربية القبَّة أصبحتْ في الصقلّية cubba ، أما صورتها الفرنسية cupole فيحتمل أن تكون قد جاءت عن طريق أحد أشكالها بالأسبانية al-cubilla . والكلمة العربية ليمون انتقلتْ عن طريق صقلية وعن طريق أسبانيا والبرتغال [وإلى هذه الأقطار أدخل العرب زراعة شجر الليمون] فأصبحت lemon في الإنجليزية . وكلمة muslin يمكن أن تكون قد انتقلتْ إما عن طريق أسبانيا أو صقلية أو كليهما للدلالة على اسم قماش كان يُصنع في مدينة الموّصل .

وخلافاً للكلمات المستعارة ، فإن مسألة تأثير الشعر العربي على الشعر الإيطالى مسألة أكثر تعقيداً . ويرى أمارى أن ثمة صلةً بين الشعر العربي الذى نُظم في صقلية النورمانية ـــ لا بل ومن الممكن حتى في صقلية السوابية ـــ وبين ظهور الشعر الإيطالى المبكِّر الذى نُظم في صقلية .وكان الشعر في اللهجة العامية الدارجة يُنشد في بلاط فردريك الثاني على الطريقة البروفنسالية [نسبة إلى مقاطعة برفانس بجنوبي فرنسا] وهذه الطريقة ، كما يرى عدة مستشرقين ، أوحى بها التقليد العربي الأندلسي ، خصوصا ذلك الغناء الذى كان يُعبَّر عنه عن طريق الموشحات والأزجال . وقد شاعت القوافي الجديدة في بلاط فردريك عن طريق الإنشاد والغناء [٢٣] . وغرض الشاعر هو الحب غير المتبادل ، وهو غرض ، مع أنه غرض عام ، نجدُه يتردَّد كثيراً في الشعر العربي الأندلسي وفي أشعار التروبادور والشعراء الإيطاليين من طبقة (dolce stil nuovo)[٢٤] . كما ذكر البعض أن بحر الشعر الشعبي المبكِّر الذى نُظم في إيطاليا ، كأغاني الكارنيفالات (carnivals) والقصائد الروائية (ballata) مثلاً ، يشبه كثيراً بحرَ الشعر الشعبي في الأندلس [٢٥] . ومن ناحية أخرى فقد يكون نمو الشعر باللهجة الدارجة الصقلِّية قد تأثر بالشعر الشعبي العربي الذى نُظم في الجزيرة ذاتها [٢٦] .

وتقوم بعض الصعوبات في وجه هذه النظريات . ولم يصلْنا شيءُ يُذكر من الشعر العربي الصقلّي الشعبي [٢٧] ، باستثناء زجلٍ لعلى بن عبد الرحمن . وقد ظهر بعض الشك مؤخراً حول الوحى العربي للشعر الشعبي الصقلّى ، إذ يبدو أن نظم الشعر

العربي في المجموعات التي وصلتْنا توقف بعد عهد رجار الثاني ، وعلى ذلك فإنه يكون قد انقضى ثلاثة أرباع القرن ما بين نظم النماذج المتبقية الأخيرة من الشعر العربي في الجزيرة ومولد الشعر الشعبي الصقلّي في القرن الثالث عشر الميلادى . ولذلك ، فإن من الصعب إقامةَ الدليل على صحة الافتراض الخاص بالمعرفة والتقليد المباشريْن (٢٨) .

لا بل وأكثرُ تعقيداً من ذلك مسألةُ تحديد طبيعة ومدى معرفة دانتي بالإسلام على وجه التحديد ، وما يتعلق بالآخرة في الدين الإسلامى وتراثِ الإسلام الفكرى . وكان ميجيل آسين بلاثيوس (Miguel Asín Palacios) في أوائل هذا القرن قد طرح نظريةً مثيرةً ، ولو أنها موضع خلاف ، مفادها أن (الكوميديا الإلهية) لدانتي متأثرة إلى حدٍ بعيد بما يتعلق بالآخرة في الدين الإسلامى ، وأنه يظهر فيها تأثير (رسالة الغفران) لأبي العلاء المعرى وكذلك تأثيرُ كتاب (الفتوحات المكيِّة) وغيره من مؤلفات ابن العربي [محيي الدين محمد الفيلسوف والصوفي الأندلسي المتوفي سنة ٦٣٨ هـ/ ١٢٤٠ م] ، وكلاهما مليءٌ بالأوصاف المتعلقة بالآخرة . كما أن غيرها من المؤلفات العلمية المماثلة والمصنَّفات الإسلامية الرائجة بين الناس قد تكون من المصادر التي تأثر بها دانتي (٢٩) .

وقد انتُقدتْ النظريةُ بشدة من قِبَل علماء اللغات الرومانسية [أى المشتقة من اللاتينية] بحجة عدم وجود دليل مباشر على معرفة دانتي بهذه المؤلفات بالذات . ومهما يكنْ من أمر ، فإن نظرية ميجيل آسين لها أساس ملموس بوجود تأثير إسلامى عام على (الكوميديا الألهية) وغيرها من مؤلفات دانتي (٣٠) . ولا شك في أن دانتي كان على علمٍ بعدة ترجمات لاتينية لكتابات الفلاسفة العرب ، كما أنه كان على دراية بوجهة النظر القائمة على الجدل العنيف في القرون الوسطى حول الإسلام ، وهو في نظرته إلى النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ينحو المنحى المسيحى التقليدى السائد في القرون الوسطى . وفي كتاب (Convito) يشير دانتي إلى أبي مَعْشر البلخى وإلى الفرغاني والغزالى وعالِم الفلك العربي الأندلسي البطروجى (٣١) . وثمة إشارة إلى ابن سينا في كلٍ من (الكوميديا الإلهية) وكتاب (Convito) (٣٢) . ولا شك في أن دانتي كانَ على معرفة بهؤلاء المؤلفين عن طريق الترجمات اللاتينية لمؤلفاتهم . وكان دانتي على معرفة أكثر بمؤلفات ابن رشد التي لا شك في أنه كان على درايةٍ حسنة

بها ، إذ نجد في العديد من مؤلفاته إشاراتٍ إلى ابن رشد (٣٣) . ويضع دانتي كلاً من ابن سينا وابن رشد في المَطْهر (Purgatory) حيث يضع كذلك الفلاسفة اليونان .

إن رحلة إلى الفردوس والمَطْهر وجهنم هي رحلة رمزية للروح عبر هذه الأماكن بعد الموت . وقد كتب قصةً مماثلةً مؤلفٌ مجهول الاسم باللغة اللاتينية في البلاط الصقلّي أو القطالوني في أواخر القرن الثاني عشر الميلادى (٣٤) . ولا يُعرف على وجه التحديد ما إذاكان دانتي يعرف هذه القصة ، إلا أن من المؤكد أن الرحلات الرمزية في الآخرة في الكتابات الفلسفية العربية كانت تشكّل مادة مصنَّفٍ أدبي كُتب في جنوبي أوروبا قبل دانتي بزمن قصير . ولعلَّ دانتي ، في حديثه عن المَطْهر ، كان على معرفة بالمجموعة الطليطلية المسمَّاة (Collectio) .

وقد أُضيفت أبعاد جديدة وتعزَّزت النظرية عن مدى صلة دانتي بالآثار الإسلامية على أثر الدراسة التي قام بها مونيوز (Muñoz) وشيرولّي (Cerulli) ، وخصوصا الأخير منهما ، للكتاب الموسوم بكتاب المعراج(Il libro della Scala). وكان الكتابُ قد ترجمه من العربية إلى القشتالية طبيبٌ يهودى اسمه إبراهيم الفاقيم (al-Faguím) في عهد الملك الفونس العاشر [الحكيم (حَكَمَ ١٢٥٢ – ١٢٨٤ م)] . ثم تُرجم الكتابُ إلى اللاتينية باسم (Liber Scalae Machometi) ، وإلى اللغة الفرنسية القديمة باسم (Livre de l'eschiele Mahomet). ولم يكتف شيرولّي بملاحظة وتسجيل أوجه التشابه والتوافق ، مبنىً وروايةً ، بين هذا الكتاب الإسلامى الأصل عن الآخرة وبين (الكوميديا الإلهية) ، بل لاحظ أيضاً أن ثمة توافقاً في التفاصيل (٣٥) .

فهل عرف دانتي كتابَ المعراج ، وإذاكان الأمر كذلك ، فإلى أى حدٍ كانت معرفته به ؟ ولدينا النقاط التالية التي تؤيد الافتراض الإيجابي . إن فازيو الأُبرتي (Fazio degli Uberti) كان يعرف الكتابَ معرفةً حسنة . وقدكان الكتاب معروفاً في إيطاليا ومتداولا لقرون عديدة ، وحتى في القرن الخامس عشر الميلادى نجد أن روبرتو كاراكيولو (Caracciolo) يذكر الكتابَ بالتفصيل . إن كَوْنَ الكتاب قد توفر وتُرجم إلى ثلاث لغات أوروبية يوحى بأنه كان واسع الانتشار في أوروبا في القرون الوسطى (٣٦) .

وفضلاً عن كتاب المعراج ، كانت أيضا تتوفر في أوروبا في القرن الثاني عشر —

الثالث عشر الميلادى عدة روايات عن قصة الأسراء والمعراج . ومن هذه مجموع نصوص (Codex) يرجع إلى القرن الثالث عشر الميلادى ألّفه أُنكاستيلّو (Uncastillo) والرواية التي سجّلها رودريجو خيمينيث (Rodrigo Ximénez) في القرن الثالث عشر الميلادى أيضا . وثمة رواية جدلية ، ولكنها أوسع انتشاراً نسبياً عن قصة الأسراء والمعراج ، كتبها ريكولدو من مونتي كروشي(Ricoldo of Monte Croce) ، وهو مبشرٌ توجّه إلى المشرق الإسلامي وزار بغداد في سنة ١٢٩١ م [٣٧] . وثمة رواية شعرية عن قصة الإسراء والمعراج ، تقوم على كتاب المعراج (Il Libro della Scala) في كتاب (Dittamondo) من تأليف فازيو الأُبرتي ، وهو كتاب يكاد يكون من المؤكد أن دانتي كان على معرفة جيدة به . وحتى بعد زمن دانتي ، نجد مؤلفاتٍ إيطاليةً في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تدل على معرفة أصحابها بقصة الإسراء والمعراج .

كما أن فكرة المسلمين عن الجنّة انتقلتْ عن طريق مصادر أخرى ككتاب ثيوفونوس (Theophonus) البيزنطي الذى عُرف في غرب أوروبا ما بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلاديّين ، وكتاب الحاخام الأرجوني بيتر الفونسو (Peter Alfonso) في القرن الثاني عشر. وكتب بطرس المبجّل(Peter theVenerable)في القرن نفسه عن الحياة الآخرة من وجهة النظر الإسلامية . وخلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديّين ، ظهرتْ كتابات أخرى ذات طابع جدلي عن فكرة المسلمين عن الجنة [٣٨] . ويمكن الافتراض بأن دانتي لا بد وأنه كان على معرفة بمعظم هذه المؤلفات .

على أن ما كتبه المسلمون عن الآخرة لم يكنْ بحال مصدرَ إلهام دانتي الوحيد أو حتى المصدر الرئيسي . فقد كان للكتابات الكلاسيكية وما كُتب عن الكتاب المسيحي المقدّس تأثير عليه حتى أكثرُ عمقاً وتفصيلا . ولعلَّ بعض أوجه التشابه بين ما كتبه المسلمون عن الآخرة وبين ما كتبه دانتي عنها جاءت من قبيل الصدفة . فكتاب (الكوميديا الإلهية) هو أساساً كتاب ذو جذور عميقة في العقيدة المسيحية .

كما يرى شيرولّي أن المادة العربية انتقلت عن طريق اللغة الأسبانية في القرون الوسطى إلى كتابة القَصَّة (Novella) الإيطالية . فالأقصوصة (Novellino) من تأليف فيورينزيولا (Fiorenziola) ودوني (Doni) يمكن تتبعُ أصولها إلى مصادر عربية ، إلا أن

هذا الميدان ككلٍ يحتاج إلى مزيد من الدراسة المستفيضة . واستمر التأثير العربي على كتابة الحكايات الإيطالية من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي [٣٩] .

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، لفَتَ فاليرجا (Valerga) الانتباه إلى بعض أوجه التشابه في الأفكار بين قصائد ابن الفارض [عمر بن الفارض الشاعر الصوفي المتوفَّى سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م] ومثاليةِ الحب في شعر بترارك (Petrarch) . إلا أن طبيعة الحب في قصائد ابن الفارض ، كما لاحظ جابرييلي (Gabrieli) ، طبيعة صوفية بحتة ، بينما هي في شعر بترارك طبيعة دنيوية . ويُحتمل أن يكون بترارك قد عرف شيئاً عن الشعر العربي ، ولعلَّ ذلك تم عن طريق بعض الترجمات إلى اللغة اللاتينية أو الإيطالية ، إلا أنه لم يجده موافقاً لذوقه وهواه [٤٠] .

الفصل الثاني عشر

الفنون الجميلة

إن رجار الأول الذى قَضّى ثلاثين عاماً في افتتاح صقلية أطرى جمال فن البناء العربي في الجزيرة والمهارة العجيبة في تشييدة . إن حمّامات جفلوذي (Cefalu) وبقايا القصور والحمّامات [في القصر الملكي قرب بلرم] المعروف بالبحر العذب (Dolce Mare) هي أقدم الآثار المعارية العربية التي ما زالت باقية في صقلية . ويلاحَظُ أن بناء هذه الحمّامات وزخرفتها لا يختلفان كثيراً عن بناء وزخرفة الحمّامات العربية في الأندلس وفي العراق على عهد العباسيين . وتشاهَد عليها خطوط ملتوية خارجة عن المألوف ، وكتابات كوفية منمّقة مع زخرفة أرابيسكية على شكل أوراق شجر متشابكة .

وباستثناء بقايا مسجدٍ ببلرم يقع بالقرب من كنيسة القديس يوحنا شفيع النُسّاك (San Giovanni degli Eremiti) فإنه لم تَبْقَ في الجزيرة مبانٍ دينية ترجع إلى الفترة العربية . كما أن المبانيَ المدنيةَ قد زالت كلُّها تقريباً .

والأثر المعاري البارز الوحيد الذي بقي من هذه الفترة هو قصر الفوّارة (Favara) في بلرم ، ويرى أماري أنه يعود إلى عهد الأمير جعفر الكلبي (حَكَم ٩٩٨ — ١٠١٩ م) [١] . وكان في الأصل مجموعةَ مبانٍ حول ساحة تحيط بها من جوانبها الثلاثة بركة اصطناعية . ويوحي اسمُ القصر (الفوّارة) بأنه كان يحتوي على نوافيرَ تستمدُّ مياهَها من أحد الجبال المجاورة . ولا تزال واجهةُ القصر تحمل بعضَ البواكي (arcades) ، وهو مظهر يتكرّر في فن العمارة النورماني — العربي فيما بعد . وعلاوةً على قصر الفوّارة ، فإن على المرء أن يعتمد على المباني من الفترة النورمانية لكي يدرس فيها على وجه التحديد مظاهرَ الفن المعاري الصقلّي الإسلامي [٢] . وثمة في بلرم أثر صغير ولكنه يعود إلى تاريخ متأخر ، وقد تغيّر كثيراً مع مرور الزمن ، وهو الباب المعروف بباب النصْر [٣] .

وتفيد الدلائل الشرقية والغربية المعاصرة الباقية أن معظم صقلية ظلّ يحمل طابع الثقافة العربية في الفن المعماري حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . وكانت معظم المدن ما تزال تحوي مساجد وحمّامات ومباني فخمة أخرى شيّدت على الطراز الإسلامي (٤) . وفي زمن الشريف الأدريسي [منتصف القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي] كانت بلرم تنقسم إلى قسمين : القصر ، والمنطقة المسوّرة التي سمّاها النورمان « المدينة » (borgo) . وكانت منطقة القصر تشتمل على قصور وكنائس ومساجد وحمامات ومتاجر ومنازل كبار التجار . وكان النورمان قد حوّلوا المسجد الجامع إلى كاتدرائية مسيحية . أما « المدينة » (borgo) فكادت أن تكون مدينةً أخرى ، وكانت المدينةَ القديمةَ ، وهي تضمُّ الخالصة من أيام المسلمين ، كما كانت تشغل مساحةً واسعةً ، وبها المنازل والمتاجر والحمامات والمساجد (٥) . وفي عهد رجار الثاني ، يبدو أن قطانية قد احتفظتْ بطابعها الإسلامي حتى أكثر مما احتفظتْ به بلرم ، وكان بها عدةُ مساجد وحمّامات وفنادق (٦) .

ويلاحظ المرءُ مظاهرَ عربيةً في الفن المعماري بالمنطقة الساحلية في مَلفِ (Amalfi) وسالرنه في شبه الجزيرة الإيطالية (٧) . إن تعاقب الحجارة الداكنة اللون والباهتة اللون على التوالي في خطوط أفقية هو مظهر يوجد بكثرة في الفن المعماري في القاهرة . مع أنه قد يكون من أصل روماني أو بيزنطي . ويظهر هذا التأثير القاهري في بعض واجهات المباني المخطَّطة في المدن الايطالية مثل بيش (Pisa) وجنوة وفلورنسة وسيينا ، في حين إن المنارة الإسلامية ، وخصوصاً طرازها المغربي ، قد تكون ذات أثر في تصميم أبراج أجراس الكنائس الإيطالية (٨) .

إن البرج المسمّى « برج بيش » بالقصر الملكي النورماني في بلرم مقتبس من قصر المنار في قلعة بني حمّاد الذى شُيِّد في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي . وللبرج محور مربع في وسطه كالنواة ، وتوجد غرفة في كل طابق ، وحول المحور المركزى دهليز يقع بينه وبين الجدار الخارجي المحيط به (٩) . وفي مدينة رڤيلّو (Ravello) بإيطاليا يبدو أن الأحواض في كنيسة القديس جوفاني ذات البرج (San Giovanni del Toro) تأثّرتْ بالتصميم الفاطمي أو الأيوبي (١٠) . وقد يكون ثمة عنصر عربي في عدد من القلاع الخربة في إقليم مازر كقلاع بونفاط (Bonifato) (١١)

وَأَنتلَّة (Entella) ، حيث استمرت مقاومة المسلمين أطول مدة ، و [قلعة العربي ؟] (Galatamauro) ، فضلاً عن بعض الحصون في إقليم نوطس (١٢) .

إن المظهر العام لفن المعمار النورماني في صقلية هو مظهر نورماني ، إلا أن الفنانين اليونان والعرب هم الذين قاموا بأعمال الفسيفساء وجمّلوا داخل الجدران ، ونقشوا الرسوم على السقوف والجدران وزخرفوا « بمزيج من الألوان الزاهية مبانيَ كانت ستظل في الشمال [شمال أوروبا موطن النورمان] مبانيَ فخمةً ولكنها بسيطة عارية عن كل زخرف » (١٣) . وتبدي المظاهر الطولية لكاتدرائية مونريالي ، التي شُيِّدت حوالي سنة ١١٧٤ م ، تأثيراً بيزنطياً في الزخرف الهندسي والتشابك الدائري ، كما تُبدي تأثيراً عربياً في زخرفها الأرابيسكي ، على شكل أوراق شجر متشابكة ، وفي تشابكها متعدِّد الأضلاع . وإن غزارة الألوان وتناسقها الدقيق يشهدان بطغيان المؤثرات الشرقية (١٤) . وقد تمَّ تقليد هذا الطراز في سالرنه وعدة أماكن أخرى في جنوب إيطاليا . وفي وسط الأعمدة البيزنطية برواق كاتدرائية مونريالي نافورة مغربية تذكِّر المرءَ بغرناطة وأشبيلية .

إن ضريح بوهمند في كانوسا ، بتصميمه الهندسي ذي الأضلاع الأربعة وقبَّته ، يبدو تقليداً مباشراً للأضرحة الإسلامية . كما يوجد في بلرم كنيستان أخريان يظهر فيهما تفوق التأثير العربي. وهاتان الكنيستان هما كنيسة القدّيس يوحنا شفيع النسَّاك (San Giovanni degli Eremiti) التي بُديء بتشييدها في عهد رجار الثاني، وكنيسة القديس كاتالدو (San Cataldo)، التي بناها الوزير مايو (Maio) على ما يُحتمل . وفي كنيسة القديس يوحنا ثلاثة صحون ، تفصل بينها أعمدة دقيقة من الرخام ، تنتهي بثلاثة تجاويف نصف دائرية ، والتجويف الأوسط منها أطول من التجويفين الآخرين . وتتعلّق البواكي الحادة المقامة على الأعمدة ، وتُسند قبة . وفي كنيسة القديس كاتالدو تعلو الصحنَ الرئيسيَّ ثلاثُ قباب تتخلَّلها نوافذُ وتسندها أعمدة دقيقة من الرخام ترتكز عليها الأقواس المزدوجة ذات الزوايا الحادة . ويعلو الجدرانَ عرف من الحجر المنحوت ، وهو ضرب من السور المزخرف في ظاهرة خروم دقيقة (١٥)

وفي كنيسة القديسة ماري ، [التي شيَّدها مقدَّم الأسطول النورماني جورج الأنطاكي في عهد رجار الثاني] وهي المعروفة باسم لامَرتُورانا (la Martorana)

وكذلك في بعض الكنائس الأخرى من الفترة النورمانية ، يجد المرءُ القوسَ المنحنيَ المسنَّن العربي وقد شُوِّه أعلاه . ومن بين المظاهر المعمارية المقتبسة عن المعمار في شمال إفريقيا الأعمدة المزخرفة ذات الأطواق المنحوتة البارزة في أعلاها . ويوجد عمودان من هذا القبيل في كنيسة لامرتورانا ، كما يوجد عمودان آخران في متحف بلرم . أما الزخرف المنحوت على أبواب كنيسة لامرتورانا فهو من أصلٍ مصري (١٦) .

وإلى العرب يعود الفضل في نقل تقليد وأساليب تشييد المباني وسط البساتين والجنان إلى جزيرة صقلية . وكان يحيط ببلرم النورمانية حزام من المباني المشيَّدة وسط البساتين كقصريْ العزيزة (La Ziza) والقبة (La Cuba) . ويترنم الشعراء المادحون لرجار الثاني ويُشيدون بالبساتين ذات القنوات المليئة بالأسماك والطيور محلِّقة فوقها (١٧) .

إن طابع شخصية رجار الثاني ، وكذلك التأثير العربي في درجات متفاوتة ، ظاهران في المعالم المختلفة التي ترجع إلى عصره ككاتدرائية جفلوذي (Cefalu) وكنيسة القصر الملكي في بلرم وأقبية كاتدرائية بلرم ، حيث بقي اسمه في كتابة عربية منقوشة (١٨) .

أما قصر القبة (La Cuba) ، فقد شيَّده وليام الثاني من الحجر الجيري الجيد القطع . والتفاصيل المعمارية لهذا القصر المستطيل الشكل تذكِّر المرءَ بقصور بني حماد . وترتفع تجاويف الحائط من أرض القصر إلى سقفه ، وتقسم واجهة البناء وتحيطها حاشيةٌ مزخرفة كما هو الحال في مباني الفاطميين في المهدية . وترتكز الأقواس عند القاعدة على أربع منصَّات من الأضلاع . والأجزاء العليا من الأقواس مزينة بطاقاتٍ طويلة تعلوها صدفات حلزونية ذات قنوات زاهية اللون . وفي أسفلها حاشية نقش عليها بخط مشبك اسم وليام الثاني والتاريخ ١١٨٠ م . وحسب خطة البناء الأصلية كان داخلُ قصر القبّة يشتمل على قاعة في الوسط وقاعتيْن جانبيَّتينْ . أما القاعة الوسطى ، التي كانت تطلُّ عليها الطاقات المستطيلة الشكل ، فكانت تعلوها قبة ، ومن هنا اشتُقَّ اسم القصر . وقد بقيت إلى يومنا هذا مبانٍ كقصر القبة في دار البحر في قلعة بني حمَّاد (١٩) .

وقد بُدِيءَ بتشييد قصر العزيزة (La Ziza) في عهد وليام الأول ، وفُرِغ من بنائه في عهد وليام الثاني . وكقصر القبة ، فإن قصر العزيزة هو الآخر بناية مستطيلة

الشكل ، ولكنه أكثرُ منه اتساعا . والقصر مزيَّن من الخارج ـــ الواجهة الأمامية والجوانب الثلاثة الأخرى ـــ بثلاث منصَّات من الأقواس المنحنية ذات رؤوس مشوَّهة في إطار مستطيل الشكل . وعلى الواجهة حاشية عليها كتابة منقوشة . وفي الداخل توجد قاعتان كبيرتان إحداهما تعلو الأخرى ، وتحيط بالقاعتين وعلى جوانبهما حجراتٌ أصغر حجماً وأقل ارتفاعا ، وهي تشكّل مرحلةً متوسطة . وكان بالقاعة في الطابق الأرضي قبو ذو كُوى . وكانت القاعة في الطابق الأول مغطاةً بالكوى كقصور بني حمّاد . والقبو ذو المظلات مقتبس عن الطراز المعماري الصنهاجي ، إلا أن المظهر المستحدث في طراز قباء هذا القصر الصقلي هو العارضة المُقَرْنسة التي لا تغطي كوى القاعة في الطابق الأرضي فحسب بل تغطي أيضا كوى الحجرات الجانبية فوقها [٢٠] .

وكانت توجد في الكوَّة المقابلة للمدخل نافورة ، وكان الماء ينساب في قناة رخامية إلى القاعة لتلطيف الهواء . وهذه الفكرة لقناة ينساب ماؤها إلى قاعة مستمدةٌ من مدينة الفسطاط الطولونية . وقد ترك ليناردو ألبرتي (Leonardo Alberti) الذي زار صقلية في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وصفاً شيِّقاً لقصر العزيزة (La Ziza) . فعبْرَ بوابةٍ ذهبية يدخل المرء بهواً ، ومنه يمر عبْرَ باب آخر إلى فناء مربع مسوَّر ، به كوى صغيرة على جوانبة الثلاثة ، ويعلوه سقف على شكل قبو ذي أقواس . وكانت جدران السور المحيط مغطاةً بالرخام . وكان في القاعة نافورة ذات حوض رخامي ، تعلوها أشكالٌ من الفسيفساء لنسر وطاووسين ورجُلَيْن يحملان قوسين ونبالاً ، وهما يصوِّبانها على طيور . وكانت ثمة جداول صغيرة جميلة تنقل الماء من حوض النافورة إلى أحواض صغيرة أخرى إلى أن ينساب الماءُ كله إلى بركة صغيرة مليئة بالأسماك أمام القصر [٢١] . وتدل الكتاباتُ العربيةُ المنقوشةُ المتشابكةُ في كلٍ من قصر القبة وقصر العزيزة على أن معظمَ الفنانين الذين قاموا بنقشها هم من المسلمين .

والقُبيْبَة (Cubula) سرادق صغير يقع في حديقة قصر القبة ، وهو شبيه بفناء المسجد الفاطمي في مدينة صفاقس ، وتقوم قبةٌ نصفُ كروية على أساس كالطوق يقوم بدورْه على أربعة أعمدة ترتكز عليها أربعةُ اقواس « متقطعة » .

أما كنيسة القصر الملكي (Capella Palatina) ، فقد تمَّ تشييدُها وزخرفتها ما بين

عامي ١١٣٢ و١١٤٣ م . وكما يقول كوت (Cott) ، فإن سقف صحنها يتكوّن من صفّين من الزخارف الوردية الشكل ذات صور متناثرة وزخرفة أرابيسكية على شكل أوراق شجر متشابكة ، في إطار من النجوم المثمّنة الزوايا ، تحتوي ثماني عشرةَ منها على كتابات كوفية . . . . وأما الجزء الأدنى من السقف ، وهو تصميم نموذجي إسلامي مُقَرْنَسَ ، فيتكوّن من حوامل حواشي لا عدَّ لها الواحد منها فوق الآخر . ويشتمل الممرُّ الجانبيُّ المنحدرُ على عدد من القنوات العميقة ، تنتهي في أنصاف دوائر تزيِّنها تماثيلُ نصفيةٌ لأشكالٍ بشرية . ويحيط بجميع التصاميم الزخرفية خطوطٌ سوداء ، والسقف برُمّته مطليٌّ بالألوان الحمراء والزرقاء والخضراء والبيضاء والذهبية الزاهية (٢٢) .

وقد نوّه مُنوريه دو فيلار (Monneret de Villard) بوجود بعض التشابه في بناء سقف كنيسة القصر الملكي ، وبين بناء المسجد الجامع في قرطبة . إلا أنه يمكن القول إجمالاً بأن هذا النمط من البناء ليس شائعاً في المغرب . ولعلّ تصميمَ السقف على شكل خلايا النحل انتقل إلى صقلية مباشرةً من المشرق في أوائل القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، قبل أن يحظى بالقبول في شمال إفريقيا. وفي الجانب الشرقي من السقف ، يلاحظ المرءُ أن السطح الأسفل للعوارض مزخرف بسلسلة من الزخارف الصغيرة على شكل وردات تشبه الجصَّ الزخرفي في سامراء [سرَّ من رأى] . كما أن عدداً من الأشكال الزخرفية الأخرى في السقف ، يمكن إرجاعها آخر الأمر إلى التصاميم الزخرفية في تلك العاصمة العباسية (٢٣) .

ويمكن إرجاعُ بعض الكتابات الزخرفية العربية في السقف إلى النمط الفاطمي . وبالجملة ، يمكن التمييز بين أربعة أنواع من الخطوط في هذه الكتابات في كنيسة القصر الملكي هي : النَسْخ ، الكوفي الفاطمي ، وكتابة كوفية بحروف أكبر ، وكتابة أخرى ذات حروف دقيقة متشابكة (٢٤) .

ولم يَبْقَ جانب من الصور الأصلية التي رسمها الفنانون العرب على السقف . وقد أُعيد رسمُ بعض الصور كليةً في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديَّين ، وتضرَّرتْ كثيراً بعضُ الصور الباقية . ومع ذلك ، فإنه بقي من عمل الفنانين والمزخرفين العرب ما يكفي لإعطائنا فكرةً واضحةً عن فنهم وأساليبهم . وتنتمي هذه الرسوم على سقف كنيسة القصر الملكي إلى المدرسة الفاطمية في مصر . وهذا التقليد

في مصر يرجع إلى أيام الطولونيين . وقد ازدهرت مدرسة نشيطة للرسم في مصر في عهد الفاطميين [٢٥] . وهذا التقليد الفاطمي تأثر بدوره بأسلوب سامرّاء ، وهو إلى حد كبير مظهر من مظاهر الهلينية الأسيوية التي تأثرت كثيراً بالأنماط الساسانية [٢٦] .

وقد قام مونوريه دو فيلار بتحليلٍ مفصّل للصور في هذه الرسوم [٢٧] . إن مادة الصور في كنيسة القصر الملكي مادة غنية إلى حد ما . وتتكرر كثير من هذه الصور . ويلاحظ أن الطبيعة الزخرفية البحتة لهذه الرسوم تتمشّى مع التقليد الإسلامي ، وتختلف كلَّ الاختلاف عن الرسوم الحائطية المسيحية . ويبدو أن رسّامي الصور على سقف كنيسة القصر الملكي كانوا مولعين بتصوير الحيوانات ، وخصوصا الطيور . وكثيراً ما يحمل الطائرُ المرسومُ ورقةً في منقاره ، وهي فكرة ساسانية . وأكثر الطيور المرسومة هو الطاووس ، مما يعكس التقاء التقاليد العباسية والبيزنطية . وفي تمثيل الطيور ، يجد المرء نفسَ الأفكار الموجودة في الفنون الإسلامية الصغرى والمنسوجات الإسلامية. ويحتلُّ الأسد مكان الصدارة بين الحيوانات المرسومة ، ونجد أحياناً رسماً له وهو يصارع ثعبانا . وفكرة أخرى هي الباز أو الصقر وهو ينقضُّ على حيوان كالأرنب أو الظبْي . وهذه فكرة فارسية تعود إلى أيام الأمبراطورية الفارسية في عهد الأسرة الأخيمينية . وشجرة النخيل أكثر الأشجار ظهوراً في الصور ، وهي مرسومة حسب نمط معيَّن .

ومعظم الرسوم البشرية على سقف كنيسة القصر الملكي هي لأشخاص في مجالس الأنس والمرح . وبعضهم يرتدي غطاء رأس المسلمين كالعمامة أو القلنسوة . كما تظهر راقصات في الرسوم ؛ ويظهر العازفون تصحبهم آلات موسيقية معروفة في العالم الإسلامي . ويمكن إرجاع رسوم الراقصات على سقف كنيسة القصر الملكي إلى تقليد سامرّاء ، حيث اقتبس عن الساسانيين. وإجمالاً فإن هذه الرسوم الراقصة تعطي انطباعا عن الحركة الجامدة أفضل مما تُعطيه نظائرها في الفن الإسلامي المبكر . وثمة مشاهد مصارعة ، وصور لأشخاص يشرّحون حيواناً كالغزال أو الطاووس ، ومدرِّبون للصقور . كما أن ثمة صورةً لرجل يتناول الطعام على الطريقة الأوروبية ، ويتولّى الخدمُ حملَ الطعام إليه . وهنالك رسوم عديدة أخرى لأشخاص تُلقي بعض الضوء على الحياة اليومية للنورمان والعرب وغيرهم في صقلية النورمانية .

وثمة مجموعة أخرى من الرسوم في كنيسة القصر الملكي لمخلوقات أسطورية كأبي

الهول على صورة أسد ورأس امرأة ، وعنقاوات ، وحوريّات ، ومخلوقات شرسة لها وجه امرأة وجناحا طائر ومخلباه . أما الفارس الذي يصارع تنّيناً ، فقد يكون مظهراً فنياً أوروبياً وقد لا يكون كذلك ، إذ إنه يظهر أيضا في الفن الإسلامي المبكِّر .

ولا تعطي هذه الصورُ انطباعاً عن وجود فكرة لرسم الصور وفق نظام خاص ، إذ إننا نجدها متناثرة على السطح حسبما يحلو للفنانين ، وتتميَّز أساليبُ هؤلاء الفنانين المجهولين بالفردية إلى حد كبير . ويرى مونوريه دو فيلار أن هؤلاء الفنانين يمكن تقسيمهم إلى فئات مختلفة : من مزخرفين ، إلى رسامين لصور الحيوانات بينهم وبين فناني المنسوجات تشابه كبير ، ورسّامين للأجسام البشرية تتميَّز رسومهم بأن لها تأثيراً ذا بُعْدٍ مزدوج (٢٨) .

وعن طريق المدن التجارية الإيطالية كجنوة وبيش والبندقية أُدخلت المظاهر الزخرفية للفن الإسلامي على فن الرسم الإيطالي ، وخصوصا في النماذج الأولى لمدرسة سيينا وفي فن تسكانيا . فإن جيوتو (Giotto) والراهب أنجليكو (Fra Angelico) والراهب ليبو (Fra Lippo) استعملوا في أعمال الزخرفة لرسوماتهم حروفاً عربية صحيحة أو غير صحيحة . وقد تكون هذه المظاهر الزخرفية عُرفتْ في إيطاليا عن طريق استيراد الحرير والقناديل والأواني النحاسية من المشرق (٢٩) .

ويشك مونوريه دو فيلار في وجود دُور طراز عربيةٍ لصناعة الأقمشة الفاخرة في عهد النورمان ، ويعتبرُ الصناعة من أصل بيزنطي (٣٠) . إلا أن عباءة رجار الثاني ، التي ما زالت محفوظةً في متحف كونسيشستوريستش (Kunsthistorisches) في فيينا ، ليست الدليلَ الباقي الوحيد على وجود دور طراز نورمانية عربية . فقد وصلَنا كذلك رداءٌ حريري أبيض اللون لوليام الثاني ، وهذا الرداء مزيَّن بحاشية كبيرة مخيطة ذات لون أرجواني وذهبي ، وعليها كتابة باللغتين اللاتينية والعربية بألقاب وليام الثاني والسنة ١١٨١ م (٣١) . ولن نجانب الصواب إذا نحن استخلصنا بأن الحائكين الإيطاليين حصلوا على معلوماتهم عن صناعة القماش الحريري الرفيع وزخارفة من دور الطراز النورمانية العربية ، التي يكاد يكون من المؤكد أنها كانت قائمةً في الجزيرة . ولا شك في أن هذا التقليد العربي قد تم توليفُه وجمعُه مع التقليد البيزنطي ، وخصوصا بعد سنة ١١٤٧ م ، حينما وقع الحاكةُ اليونانُ في الأسر أثناء غارات النورمان في منطقة بحر ايجه ، وأُحضروا إلى صقلية (٣٢) . وما إن أطلَّ القرن الثالث

عشر حتى أصبحت صناعة نسج الحرير صناعة رئيسية في عدة مدن إيطالية (٣٢) .

وقد لاحظ كوت (Cott) وجود أوجه شبهٍ بين تصاميم زخارف المنسوجات النورمانية العربية وأساليبها وألوانها وبين تصاميم زخارف وأساليب وألوان المصنوعات العاجية التي أنتجها الصنّاعُ العربُ في صقلية النورمانية إبّان القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . ومعظم هذه المصنوعات العاجية هي على هيئة صناديق أو أسفاط أو صناديق كبيرة للعرائس ، وقد احتفظ بها في كنائسَ أوروبية مختلفة . وكان لهذه بدوْرها تأثير على مجموعة أخرى من العاجيات المصنوعة في شمال إيطاليا إبّان القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي والتي لها طابع قوطي أكبر .

والأسفاط العاجية مستطيلة الشكل أو ذات أشكال أخرى ، ولها أغطية ذات مفصّلات ، ولهذه الأغطية أشكال مسطحّة أو هرمية مبتورة . والأسفاط الكبيرة منها عبارة عن لوحات رقيقة من العاج داخلها من الخشب ، وأما الصغيرة منها فهي من العاج الصرف بدون داخل خشبي . ومن هذه المصنوعات العاجية صناديق أسطوانية الشكل مصنوعة من قطعة واحدة من العاج بدون وسط داخلي من الخشب ، وقعر الصندوق وغطاؤه من قطع العاج المنفصلة . وثمّة تشابه كبير بين أساليب الألوان والمعلومات المتصلة بمظاهر الزخرفة الفنية ، وبين مظاهر الزخرفة الفنية والتصاميم الزخرفية والألوان في سقف كنيسة القصر الملكي (٣٤) . والاتجاه الزخرفي للمصنوعات العاجية يقوم على التناسق وعلى التقيد بأسلوب معيّن ، والقليل منها واقعي التصوير . وبعض هذه المصنوعات العاجية ذات تصاميم زخرفية مجرّدة وهندسية « تزيّنها أشكال زخرفية منفصلة صغيرة ، وهي عبارة عن دوائرَ محزّزة منقّطة أو دوائر ذات مركز واحد » . والتصاميم الزخرفية عبارة عن رسوم أزهار أو حيوانات أو بشر ، والرسوم البشرية منها تمثّل الصيد وحياة البلاط وصوراً للقديسين النصارى (٣٥) .

الفصل الختامي

لوشيرة

بقي آخرُ بضعة آلاف من مسلمي صقلية بعد نقلهم من الجزيرة بضعةَ عقودٍ من الزمن في موطنهم الجديد في مدينة لوشيرة (Lucera) في هضبة بولية (Apulia) [إلى الشمال الشرقي من مدينة نابولي] حيث مارسوا الزراعة كسباً لأقواتهم . وما أن كفُّوا عن الثورة ، حتى أُخذ في تجنيدهم في جيش فردريك الثاني . وقد رافقت الأمبراطورَ في حملته الصليبية فرقةٌ من هؤلاء المسلمين من لوشيرة . كما أن فردريك عهِدَ إلى مسلمين بحراسة الحصن الضخم الذي كان قد شيَّده في لوشيرة ، واستخدم المسلمين رماةً في جيشه . وزوَّده صُنَّاع المسلمين بأسلحةٍ وسهامٍ مسمومةٍ من صنعهم ، ليستعملها جنوده في حروبهم في البلاد المسيحية . وفي حصن لوشيرة ، كان يوجد جانب من الخزانة الأمبراطورية وراقصاته من السبايا العربيات . وقد قاوم فردريك كل الضغوط الصادرة عن الكنيسة لتنصير مسلمي لوشيرة بالإكراه [1] .

كانت مدينة لوشيرة أشبه ما يكون بجزيرة صغيرة ذات هويَّة عربية وسط بحر من المؤثرات والضغوط الإيطالية. وحتى بعد زوال حكم أسرة هوهنشتاوفن [الألمانية] وقيام حكم أسرة أنجيفين (Angevin) [الفرنسية] [2] ، ظلَّت المدينة تحتفظ بشيء من ثقافتها العربية . وقد وصلتْنا وثيقةٌ [3] تُختتم ببيانات عربية ، يردُ فيها اسم ريكاردو اللوشيري (Riccardo of Lucera) الذي كان ، بالرغم من اسمه المسيحي ، ما يزال مسلماً على ما يُحتمل ، وتولَّى في سنة ١٢٧٢ م منصب (miles) ، أي أنه كان موظفاً تابعاً للشرطة في لوشيرة . كما يَردُ اسمهُ في وثائق أخرى تتعلق باستخدام الجنود العرب في لوشيرة . ثم فَقدَ ريكاردو الحظوةَ لدى شارل الثاني صاحب أنجو ، وصودرت ممتلكاته وزُجَّ به في السجن حيث توفي في سنة ١٢٨٩ م . وكان لابنيه حجَّاج وعلي اسمان مسلمان . إن هذه الوثيقة على جانب من الأهمية ، إذ إنها تبيِّن أن العرب ، حتى آخر أيام مستوطنة لوشيرة تقريبا ، كانوا يستطيعون الكتابةَ بلغتهم ، ويكاد يكون

من المؤكد أنهم كانوا يتكلمون العربية فيما بينهم ، بالرغم من انقطاعهم الطويل عن عالم الإسلام .

بيْدَ أن سياسة أسرة أنجيفين كانت تستهدف تنصيرَ مسلمي لوشيرة باللجوء إلى الإقناع وشيءٍ من الضغط أولا ، ثم باللجوء إلى الإكراه آخر الأمر . وعُهد إلى المسلمين المتنصّرين بمناصبَ ذات مسؤولية ، حتى مع أنهم احتفظوا إلى حدٍ ما بهويتهم العربية . ففي سنة ١٢٩٣ م ، عُيِّن جوفانّي سرّاسينو (Giovanni Sarraceno) مسؤولاً عن ميناء منفريدونيا (Manfredonia)[٤] . وكانت زيارة ريمون لل[٥] (Raymond Lull) للوشيرة في سنة ١٢٩٤ م تحت رعاية شارل الثاني صاحب أنجو وبتشجيع كبير منه ، وجاء في الأمر [الملكي] الذي أصدره إلى هنري جيرارد (Girard) متولّي لوشيرة قولُه : « حينما يصل الرجلُ الرفيعُ الشأن ريمون لَلْ إلى مقاطعة لوشيرة المذكورة أعلاه ، للتداول مع مسلمي لوشيرة ، بشأن العقيدة الكاثوليكية ، فإنه إنما يفعل ذلك بإذننا وبعلْمِنا ، ونحن نأمركم ، أيها السيد الفاضل ، أمراً أكيداً بقوة وعلى وجه السرعة — فالسيد ريمون المذكور آنفا قد فُوِّض تفويضاً صحيحاً للقيام بهذه الأمور — بأن تقدِّموا له ، لدراسة هذه الأمور المذكورة أعلاه ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، حسنَ ودِّكم ومساعدتكم ومشورتكم في الوقت المناسب »[٦] .

وقُضي آخر الأمر على المستوطنة العربية في لوشيرة بأمرٍ من شارل الثاني صاحب أنجو ما بين يومي ٢٨ ذي القعدة و ٧ ذي الحجة عام ٦٩٩ هـ / ١٥ — ٢٤ أغسطس سنة ١٣٠٠ م . فتمَّ تنصيرُ مسلمي لوشيرة عنوةً وكرهاً ، وانتهى بذلك تماما الوجودُ الإسلامي في صقلية وإيطاليا[٧] .

الفصل الأول

(١) أماري ١/٢٣٢ وما بعدها .

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ٣٢٥ . ابن أبي دينار : المؤنس ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٥-٥٢٦ . ابن عذاري : البيان المغرب ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٢-٣٥٣ .

(٣) فاسيلييف : البيزنطيون والعرب (بالفرنسية) ص ٦٢ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ٥-٢٣٧ . النويري : نهاية الأرب ، تحت سنة ٣٣ ، في (المكتبة) ص ٥-٤٢٦ . هوينرباخ : « الملاحة الاموية في البحر المتوسط . . » ص ٩٨٧٧ ، انظر (Hoenerbach) في ثبت المراجع .

(٥) ج . ب . بَرى (Bury) : « السياسة البحرية للأمبراطورية الرومانية تجاه الولايات الغربية . . » في (ذكرى أماري (Centinario) ، ٢ (١٩١٠) ص ٢٤-٢٥ .

(٦) أماري ١/١٩٥-٢١٩ . فاسيلييف (Vasiliev): البيزنطيون والعرب (بالفرنسية) ص ٦٣ .

(٧) أماري ١/٢-٢٤٣ ، ٢٩٠ .

(٨) فاسيلييف ٦٣ .

(٩) أماري ١/٢٤٨ ، ٤-٢٩٥ .

(١٠) فاسيليف ٦٣ .

(١١) أماري ١/٢٩٧ .

(١٢) ابن الأثير ٥/١-١٤٢ . ابن خلدون : كتاب العبر ٦/١٨٩ . النويري : نهاية الاوب ، (المكتبة) ص ٤٢٧ . ج . مارسيه (Marçais) : المغرب الاسلامي (بالفرنسية) ص ٤٦ .

(١٣) ابن الاثير ٥/٣٤٩ . فاسيلييف ٦٤ . بَري (Bury) ، انظر في موضعه في (ذكرى أماري) ٢/٢٦ .

(١٤) ابن الأثير ٥/٣٣١ ، ٦/٩٢-٩٦ . ياقوت : معجم البلدان ٥/٣٧٤ . مارسيه (Marçais) : المغرب الإسلامي ٥٢ ، ٦٤ .

(١٥) أماري ١/٣٣٢ ، ٢-٣٤٣ ، ٢٧١ .

(١٦) نفس المصدر السابق ١/٢-٣٥٣ . فاسيليف ٦٤ .

(١٧) أماري ١/٣٥٠-٣٥٧ . فاسيلييف ٦٤ .

(١) ج . ب . برى (Bury) : « السياسة البحرية للأمبراطورية الرومانية تجاه الولايات الغربية . . » ، في (ذكرى أمارى (Centanaria) ، ٢ ، ٢٦/٢ .
(٢) ف. جابوتو (Gabotto) : فيمى والحركة الانفصالية في إيطاليا البيزنطية (بالإيطالية) . فاسيلييف ٦٦–٦٩ . انظر ابن الاثير ٦/٢٣٦ .
(٣) فاسيلييف ٧٠ .
(٤) ابن الأثير ٦/٢٣٦ . المالكى : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ١٨٠ . النويرى : نهاية الأرب ، في (المكتبة) ص ٧–٤٢٨ . فاسيلييف ٧٢ .
(٥) ابن الأثير ٦/٢٣٦ . ابن عذارى ١/٩٥ . ابن خلدون : كتاب العبر ٣/٢٥٣ . النويرى : نهاية الأرب ، في (المكتبة) ص ٤٢٨ . المالكى : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ٣–١٨٦ . أمارى ١/٤–٣٩٩ . فاسيلييف ٧٣ .
(٦) فاسيلييف ٦١ .
(٧) ابن الأثير ٦/٦–٢٣٧ . ابن عذارى ٩٥ . أمارى ١/٤–٤٠٩ . فاسيلييف ٧٩–٨١ .
(٨) ابن الأثير ٦/٧–٢٣٨ . أمارى ١/٤١٠–٤١٦ . فاسيلييف ٨٢–٨٧ .
(٩) ابن عذارى ١/٩٧ . ابن الأثير ٦/٢٣٨ . أمارى ١/١–٤٢٢ . فاسيلييف ٨–١٢٩ .
(١٠) ابن الأثير ٦/٢٣٨ . فاسيلييف ١٢٩–١٣١ .
(١١) أمارى ١/٤٣١ .
(١٢) ابن الأثير ٦/٢٣٨ . أمارى ١/٦–٤٢٧ .
(١٣) و.ج. تيشسين (Tychsen) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ١/٤٣ .
(١٤) ابن الاثير ٦/٨–٢٣٩ . ابن عذارى ١/٩٧ . أمارى ١/٤٣١ . فاسيلييف ١٣١ .
(١٥) ابن الأثير ٦/٨–٢٣٩ . امارى ١/٢–٤٣٧ . فاسيلييف ١٣٣ .
(١٦) ابن الأثير ٦/٢٣٩ .
(١٧) ابن الاثير ٦/٢٣٩ . أمارى ١/٤٣٨–٤٤١ . فاسيلييف ٤/١٣٥ .
(١٨) فاسيلييف ٥–١٣٦ .
(١٩) أمارى ١/٢–٤٤٧ . فاسيلييف ٧–١٨٨ .
(٢٠) ابن الاثير ٧/٣ . فاسيلييف ٤–٢٠٥ .
(٢١) ابن الاثير ٧/٣–٤ . تاريخ كمبردج ، في (المكتبة) ص ١٦٦ .
(٢٢) فاسيلييف ٢٠٦ .
(٢٣) نفس المصدر السابق ٢٠٧ .
(٢٤) ابن الاثير ٧/٤ .
(٢٥) نفس المصدر السابق ٧/٤–٥ . أمارى ١/٤٥٥ .

(٢٦) ابن الاثير ٧/ ٤٠-٤٢ . أماري ١/٤٥٥-٤٧٢ .

(٢٧) ابن الاثير ٧/٤٢ . ابن عذارى ١/١٠٦ . ف. أميقو (Amico) : المعجم الطوبوغرافي ١/٥-١١٨ . أماري ١/٢-٤٧٣ . فاسيلييف ١-٢٢٢ .

(٢٨) ابن الأثير ٧/٨-٦٩ .

(٢٩) نفس المصدر السابق ٧/٦٩ .

(٣٠) فاسيليف ٢٦٣ .

(٣١) ابن الاثير ٧/٦٩ .

(٣٢) فاسيليف ، ينظر في موضعه .

(٣٣) ابن الاثير ٧/٧٠ .

(٣٤) أماري ١/٥٣٣ .

(٣٥) نفس المصدر السابق ١/٥٣٧ .

(٣٦) ثيودوسيوس ، النص اللاتيني في و . جايتاني (Gaetani) : حياة قدِّيسي صقلية ، بلرم ١٦٥٧ . ب . لافانيني (Lavagnini) مقال بعنوان « احتلال العرب لبلرم ورسالة الراهب ثيودوسيوس » (بالإيطالية) ، مجلة (Byzantion)، مجلد ٢٩-٣٠ (٥٩-١٩٦٠) ص ٢٦٧-٢٧٩ .

(٣٧) ابن الاثير ٧/٢٥٢ .

(٣٨) نفس المصدر السابق ٧/٢٥٨ .

(٣٩) أماري ٢/٨١-٨٤ .

(٤٠) نفس المصدر السابق ٨٥-٩٢ .

(٤١) ر.هـ. دولي (Dolley): « قائد البحر الأعلى يوستاثيوس أرجيروس وتسليم طبرمين غدارا للعرب الافارقة في سنة ٩٠٢ » ، مقال (بالإنجليزية) في كتاب (ذكرى اماري (Centenario)، ٢/٣٤٠ .

(٤٢) نفس المصدر السابق ص ٣٤٠-٣٤٢ .

(٤٣) أماري ٢/١٠٤ .

(٤٤) موراتوري (Muratori)، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٢ ، ٧٤ .

(٤٥) أماري ١/٦-٦٠٧ .

(٤٦) نفس المصدر السابق ٢/١٦٥ حاشية رقم ٣ .

(٤٧) ج . جاى (Gay) : إيطاليا الجنوبية والأمبراطورية البيزنطية (بالفرنسية) ١/٥٠ .

(٤٨) ج . دياكونو (Diacono) : Chronicon Venetum في بيرتز Scriptores ٧/١٧ . ابن الاثير ٦/٣٥٠ . جاى (Gay) ١/١-٥٢ .

(٤٩) بَرى (Bury) ، في كتاب (ذكرى أماري (Centenario) ٢/٢٧ . جاى (Gay) ١/٢٥-٦٩ . فاسيلييف ٢٠٩-٢١٢ . بيرتز (Pertz) ٣/٢٤٧ .

(٥٠) بَرى (Bury)، يُنظر في موضعِهِ ص ٣٠–٣١ .

[الجراجمة ، ويسميهم المسلمون المَرَدَة لكثرة تمردهم وعصيانهم ، كانوا يسكنون في الأصل منطقة جبل اللكام في إقليم الثغور الشامية . وقد أحسن العرب معاملتهم فاعفوهم من دفع الجزية ومنحوهم بعض الاستقلال الذاتي ، إلا أنهم كثيرا ما تواطأوا مع الروم ضد المسلمين . وفي عهد عبد الملك بن مروان ، تم ترحيلهم إلى أراضي الدولة البيزنطية آسيا الصغرى ، وكان ذلك لأغراض تتعلق بأمن الدولة العربية وسلامتها . وكان الباقون منهم أحد جذور المجتمع الماروني في لبنان — المعرِّب] .

(٥١) دياكونو(Diacono): « تاريخ كنيسة نابولي » في كتاب موراتوري(Muratori)، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٢ ، ٣١٥ . بيرتز (Pertz) ٣/٨–٥١٠ فاسيلييف ٩–٢١٠ .

(٥٢) ب . لوير (Lauer): « القصيدة عن تدمير رومة . . . » (بالفرنسية) في(de l'Ecole de Rome) (Mélanges) مجلد ١٩ (١٨٩٩) ص ٣٠٧ وما بعدها .

(٥٣) فاسيلييف ٢١٠–٢١٢ .

(٥٤) جاى (Gay) ١/٤٩ . [يسمِّيها المؤلف « مراكز للقرصنة » ونؤْثر أن نسميها « مراكز للغزو البحرى » إذ إن الغزو البحرى ضد مراكب أعدائهم الروم وأراضيهم هو ضرب من الجهاد المشروع في وقت كانت فيه الحروب قائمة بين المسلمين والروم ، ولا يرد في المصادر ذكر لغارات قام بها غزاة البحر المسلمون على مراكب أو أراضي إخوانهم في الدين — المعرِّب] .

(٥٥) [تختلف عن ذلك رواية ابن الاثير فهو يقول تحت أحداث سنة ٢٢٦ هـ : « وقام رجل يسمَّى المفرج بن سالم ففتح أربعة وعشرين حصنا واستولى عليها . وكتب إلى والى مصر يُعلمه خبره وانه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام على ناحيته ويولِّيه إياها ليخرج من حد المتغلبين » — ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٣٩ . المعرِّب] .

(٥٦) جاى (Gay) ٦٤–٧٦ .

(٥٧) بَرى(Bury) ، يُنظر كتاب (ذكرى أمارى (Centenario) ٢/٣٢–٣٣ .

(٥٨) جاى (Gay) ١/٩٦–٩٧ .

(٥٩) أمارى ١/٦–٥٢٩ . جاى (Gay) ١/١٠٣ .

(٦٠) أمارى ١/٥٧٨–٥٩٨ . جاى (Gay) ١/١٠٩– ١٣٤ .

(٦١) جاى (Gay) ١/١٣٢–١٤٦ .

[يقول ابن الأبار عن القائد العربي مُجَبَّر بن إبراهيم إنه « كان من أهل الشرف والثروة ، وولاَّه إبراهيم بن أحمد الأربس وغيرها . . . ثم أخرجه إلى صقلية وولاَّه العسكر الذى بمسيني وأرض قلورية . فخرج في شيني يريد قلورية ، فأسرته الروم وحُمل إلى القسطنطينية فمات بها . وله قصيدة طويلة بعث بها من محبسه عند الروم رواها في أيام بني الأغلب أكثر الناس » وقد أورد ابن الأبار ستة من أبياتها . يُنظر ابن الأبار : الحلَّة السيَراء ، القاهرة ١٩٧٣ ، الجزء الأول ص ٥–١٨٦ . المعرِّب] .

(٦٢) أماري ٢/٣-٥٤ .
(٦٣) نفس المصدر السابق ١/٦١٣-٦٢٥ .
(٦٤) نفس المصدر السابق ١/٦٢٧-٦٣٠ .
(٦٥) ب. لاجومينا (Lagumina): قائمة بالعملة العربية الواردة في مكتبة بلدية بلرم (بالإيطالية) ، بلرم ١٨٩٢ .
(٦٦) أماري ٢/١٤ .
(٦٧) د. م. سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٦٨ ص ٦ .
(٦٨) أماري ١/٦-٤٧٧ ، ٢/٣٣ .

الفصل الثالث

(١) أماري ٢/١٦٧ .
(٢) ابن الأثير ٨/٣٨ .
(٣) نفس المصدر السابق ، يُنظر في موضعه .
(٤) أماري ٢/١٧٥-١٨٣ .
(٥) أبن الأثير ٨/٥٥ .
(٦) أ. ريتسيتانو (Rizzitano): «مصدر عربي جديد عن تاريخ مسلمي صقلية» مقال (بالإيطالية) في مجلة الدراسات الشرقية(RSO) ، مجلد ٣٢ (١٩٥٧) ص ٣١-٥٥٥ .
(٧) أماري ٢/٥-٢١٦ .
(٨) ابن الأثير ٨/٢٥٣ .
(٩) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٥٦ .
(١٠) أ. هويثي ميراندا ، يُنظر الفصل الذى كتبه في (تاريخ كمبردج الإسلامي) (CHI) ٢/٤٣٥ .
(١١) لوتبراند (Luitprand) في موراتوري (Muratori)٢/١ ص ٤٤٠ .
ج. ت. رينو (Reinaud): غزوات العرب في فرنسا وسافوى وبيدمنت وسويسرا ، امستردام ١٩٦٤ (الترجمة الإنجليزية هـ. ك. شرواني ، لاهور ١٩٦٤ ص ١٣٤) .
(١٢) جاى (Gay) ١/٥٩-١٦٣ .
(١٣) نفس المصدر السابق ١/١-٢٠٣ .
(١٤) أماري ٢/٢٤٨ ، ٢٥٢ .
(١٥) نفس المصدر السابق ص ٢٦٤ .

(١) ابن أبي دينار ، تحت سنة ٣٣٦هـ في (المكتبة) ص ٥٢٩–٥٣٠ .

(٢) ابن الأثير ٨/٤٠٣ . أبو الفدا : كتاب المختصر في اخبار البشر ، في (المكتبة) ص ٤٠٨ . ستيفانو دى كيارا(Stefano di Chiara): Opuscoli ، بلرم ١٨٨٥ ص ١٦٨ .

(٣) [« التراقيون نسبة إلى مقاطعة تراقية إلى الغرب من القسطنطينية. هذا، ويذكر النويرى أن القوة البيزنطية كانت تضم كذلك المجوس الذين يعني بهم مؤرخو المغرب والأندلس النورمان من أهل الشمال ، وموطنهم الأصلى اسكندناوة — النويرى : نهاية الارب ، في (المكتبة) ص ٤٣٩ — المعرِّب] .

(٤) جاى (Gay) ٢/٠–٢٩١ . أمارى ٢/٢٩٨–٣١١ .

(٥) أمارى ٢/٢٧٦ ، ٣٠–٣٣١ .

[يسمِّيهم ابن خلدون « ملوك صقلية القائمين فيها بدعوة العبيدِّيين » — (المقدِّمة) ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ص ٢٥٤ . أما ابن حوقل فيدعوهم بالسلاطين — (صورة الأرض) ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١١٤ . المعرِّب] .

(٦) ابن عذارى ١/٢٥٥ .

(٧) أمارى ٢/٤٠٥–٤١١ .

(٨) جاى (Gay) ٢/٨–٤٢٩ .

(٩) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١٠ .

(١٠) جاى (Gay) ٢/٤٣٦ ، ٤٥٠–٤٥٢ .

[هكذا ورد اسم الأمير في كتاب (المؤنس) لابن أبي دينار ، (المكتبة) ص ٥٣٣ ، لا كما أورده المؤلف « حسن الصمصام » . والأمير معروف باسم الصمصام بن يوسف — المعرِّب] .

(١١) ابن الأثير ٧/٣٧٠ . جاى (Gay) ٢/٣–٢١٤ .

(١٢) جاى (Gay) ٢/٤–٣٢٦ .

(١٣) نفس المصدر السابق ٢/٥–٣٣٨ . كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في إيطاليا الجنوبية (بالإنجليزية) ، نيويورك ١٩١٢ ص ١٦ .

(١٤) جاى (Gay) ٢/٨–٣٦٩ .

(١٥) ف . نوفاتي (Novati) ، يُنظر مقاله عن الصراع بين العرب وبيشه (بالايطالية) في (ذكرى أمارى (Centenario)، المجلد ٢ (١٩١٠) ص ١٦ .

(١٦) نفس المصدر السابق ٢/١٣ .

(١٧) أمارى ٣/١ ص ٦–١٣ .

(١٨) [أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامرى من الصقالبة موالى العامريين ، كان قد قدَّمه عبد الرحمن بن أبي عامر على دانية والجزائر الشرقية ، ثم بعد سقوط الدولة العامرية انتزى — كغيره من ملوك الطوائف في الأندلس — على ما في يده . وهو يشتهر بغزواته البحرية الجريئة في غربي

البحر المتوسط ، وخاصة على جزيرة سردانية التي غلب على أكثرها في سنة ٤٠٧-٦هـ/١٠١٦م وغنم وسبي من الروم ما لا يأخذه حصر ، ثم اختلفت عليه أهواء الجند وتداعى عليه ملوك النصارى من الأرض الكبيرة واستجاشوا وغلبوا على أكثر مراكبه . وكان موته بدانية في سنة ٤٣٦هـ/٤-١٠٤٥م . يُنظر عنه ابن عذارى ١٥٦/٣ . ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، بيروت ١٩٥٦ ص ٢١٩-٧ . الضبّي : بغية الملتمس ، مدريد ١٨٨٥ ترجمة رقم ١٣٧٩ . المعرّب] .

(١٩) أماري ٢/١-٤٠٢ .

(٢٠) جاي (Gay) ٢/٣-٤٣٤ .

(٢١) نفس المصدر السابق ٢/٤٣٥ .

(٢٢) نوفاتي(Novati) ، في (ذكرى أماري Centenario) ٢/١٧-٢٠ .

(٢٣) سي .أ نللينو (Nallino) : « بعض شواهد القبور العربية التي عثر عليها في جنوب إيطاليا » ، مقال في(Miscellanea Salinas) ، بلرم ١٩٣٧ ص ٢٤-٤٣٨ .

(٢٤) ف . جابرييلي (Gabrieli): « تاريخ وثقافة صقلية العربية » ، مقال (بالإيطالية) نشُر في مجلة (Libia)، ١/٤ (١٩٥٣) ص ٥ .

(٢٥) أ. ريتسيتانو(Rizzitano)، تُنظر مادة (ابن الثمنة) في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٣/٩٥٦ .

(٢٦) أماري ٢/٦١٤ .

(٢٧) أ. ريتسيتانو(Rizzitano)، تُنظر مادة (ابن الثمنة) في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٣/٩٥٦ .

(٢٨) ابن الأثير ١٠/١-١٣٢ . ابن خلدون ٤/٧-٣٠٨ . ايمي (Aimé) : تاريخ النورمان (بالفرنسية) ٥/الفصل ٨ . جوفريدوس مالاتيرا (Malaterra)، يُنظر كتابه تحت اسمه في ثبت المراجع ، بولونية ١٩٢٧ ، ٢/الفصل الثالث .

(٢٩) ابن أبي دينار : المؤنس ، تحت سنة ٤٨٤ في (المكتبة) ص ٤٤٨ .

(٣٠) اماري ٢/٥-٤١٦ .

(٣١) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١١ .

(٣٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ص ٢٣٨ .

(٣٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٩ .

(٣٤) نفس المصدر السابق ص ٧ .

(٣٥) نفس المصدر السابق ص ٨ . أماري ٢/٦-٥١٢ .

(٣٦) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص٧.

(٣٧) أماري ٢/٤-٥١٥ . كرتيس (Curtis) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ١٦ .

(٣٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، في (المكتبة) ص ١١٥ .

(٣٩) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ٨٢ .
(٤٠) نفس المصدر السابق ٨٥-٨٦ .
(٤١) المقدسي : احسن التقاسيم ١٨٣ .
(٤٢) اماری ٢/٣٥٣ .
(٤٣) ابن حوقل ٨٦ .
(٤٤) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥/٣٠٦ .
(٤٥) مؤلف مجهول الاسم : كتاب هيئة أشكال الأرض ، في (المكتبة) ص ١٢ .

الفصل الخامس

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان ٥/٣٧٦ .
(٢) (المكتبة) ص ١٥٢ ، ٧-٣٧٦ .
(٣) عن التاريخ الفكرى لصقلية في عهدى الأغالبة والكلبيين، يُنظر إحسان عباس: العرب في صقلية ص ٨٥-١٢٦ . كذلك أ. ريتسيتانو : « مساهمة العالم العربي في الدراسات العربية الصقلية » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة الدراسات الشرقية(RSO) ، مجلد ٣٤ (١٩٦١) ص ٧١-٩٣ . ومقال (بالايطالية) لنفس المؤلف بعنوان « شرح ابن القطاع الصقلى لبعض قصائد المتنبي » ، في مجلة الدراسات الشرقية(RSO)، مجلد ٣٠ (١٩٥٥) ص ٢٠٧-٢٢٧ .
(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/٥٠ . المقريزى : كتاب المقفّى ، في (المكتبة) ص ٦٦٤ .
(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ١/١٣٤ . حاجى خليفة : كشف الظنون ١/٢-١٢٣ .
(٦) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، ينظر كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ١/٣٦٩ .
[عند الكلام عن قلّورية يقول ياقوت « يُنسب إليها فيما أحسب أبو العباس القِلّورى » ، (المكتبة) ص ١٣٣ . المعرِّب] .
(٧) المقريزى : كتاب المقفّى ، في (المكتبة) ص ٦٦٣ .
(٨) القاضي عياض ، في كتاب (ذكرى امارى Centenario) ١/٣٦٩ .
(٩) السمعاني : كتاب الأنساب ٣٣٤ .
(١٠) الحميدى : جذوة المقتبس ، في (المكتبة) ص ٥٧٨ .
(١١) أمارى ٢/٥٤٣ .
(١٢) المالكي : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٨٠ . أمارى ١/١-٣٨٤ . ابن شنب في (ذكرى أمارىCentenario) ١/٢-٢٤٣ . ريتسيتانو في (مجلة الدراسات الشرقية RSO) ، مجلد ٣٦ ص ٣-٤ ، ٢٦-٢٣٧ . ج. مارسيه (Marçais) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ١/٦٨٥ .

(١٣) الحميدى : جذوة المقتبس ، القاهرة ١٩٥٢ ترجمة رقم ٨٩٩ . المالكى : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٨٨ .

(١٤) الذهبي : كتاب العبر في خبر من عبر ، (المكتبة) ص ٨–٦٤٩ .

(١٥) ابن عذارى ١/١٣٨ .

(١٦) المالكى : رياض النفوس ، (المكتبة) ص ١٩٢ .

(١٧) حاجى خليفة : كشف الظنون ٤/٣٩٨ . أمارى ٢/٥٥٢ .

(١٨) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢/٤٧٩ . القاضي عياض : ترتيب المدارك في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ١/٣٧٦ . الندوي ٢/٩–٢٧٠ . أمارى ٢/١–٥٤٥ .

(١٩) أمارى ٢/٣–٥٥٤ .

(٢٠) الندوي ٢/٥–٢٨٦ .

(٢١) القشيرى : الرسالة ص ٣٢ . الشعراني : الطبقات الكبرى ص ١–١٢٢ . سي . ف . سيبولد (Seybold) ، « مختارات عربية إيطالية » في كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ٢/٥–٢٠٦ .

(٢٢) المالكى : رياض النفوس ، في (المكتبة) ص ١٩٤ .

(٢٣) السمعاني : كتاب الأنساب ص ٣٥٤ .

(٢٤) ابن حوقل : كتاب صورة الأرض ٨٥ .

(٢٥) حاجى خليفة : كشف الظنون ٢/١٣٥ .

(٢٦) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، في (المكتبة) ص ٥٨٩–٥٩٠ .

(٢٧) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ٦/٢٦٦ .

(٢٨) جرافيني (Graffini) ، يُنظر كتاب (ذكرى أمارى Centenario) ١/٤٥ . كذلك حسن حسني عبد الوهاب في نفس الكتاب ٢/٦–٤٨٨ .

(٢٩) أمارى ٢/٣٨٩–٣٩٣ .

(٣٠) نفس المصدر السابق ٢/١–٥٦٢ .

(٣١) المقريزى : المقفّى ، في (المكتبة) ص ٤–٦٦٥ .

(٣٢) القفطى ، في (المكتبة) ص ٥–٦٤٦ .

(٣٣) طبعة القاهرة ١٩٥٥ .

(٣٤) ش . بو يحيى ، دائرة المعارف الأسلامية ، الطبعة الثانية (بالأنجليزية) المجلد الثالث ص ٣–٩٠٤ . الندوي ٢/٣٢٨–٣٣٢ .

(٣٥) ريتسيتانو (Rizzitano)، يُنظر المجلد الثالث ، ص ٨–٧٣٩ ، من دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) .

(٣٦) عماد الدين الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ٥–١٣٨ . وعن دراسة تحليلية للشعر العربي في صقلية ، انظر إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٦٧–٣٢١ .

(٣٧) (المكتبة) ص ٥٩٢ .

(٣٨) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١١٧ .

(٣٩) نفس المصدر السابق ٢٩–٣٦ ، ٣٧–٤٧ .

(٤٠) ريتسيتانو (Rizzitano)، يُنظر المجلد الثالث ، ص ٨٣٨ ، من دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعةالثانية (بالإنجليزية) . إحسان عباس : صقلية العربية ص ٢٠٧–٢٢٣ .

(٤١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ١١٠–١١٢ .

(٤٢) نفس المصدر السابق ص ١٠١–١٠٤ . أمارى ٥٨٥/٢ .

(٤٣) أمارى ٥٨٤/٢ .

(٤٤) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ٢٢–٢٣ ، ٥٠ .

(٤٥) إجناتسيو دى ماتيو(Ignazio di Mateo): « ديوان الشعراء العرب الصقليين الذين أوردهم ابن القطّاع » ، مقال (بالإيطالية) في المحفوظات التاريخية لصقلية ، مجلد ١ (١٩٣٥) ص ٩٥–٩٨ .

(٤٦) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « عرب صقلية وعرب الأندلس » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة (الأندلس) ، مجلد ١٥ (١٩٥٠) ص ٣٣–٣٧ .

الفصل السادس

(١) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) . مجلد ٥ ص ١٦٨–١٦٩ .

(٢) سي .هـ. هاسكينز Haskins : النورمان في التاريخ الأوروبي (بالإنجليزية) ص ١٩٩ . [النورمان ، كما يُستدل من اسمهم Norsemen ، هم أصلا من أهل شمال أوروبا أى اسكندناوه ، ويُعرفون أيضا باسم فايكنجز (Vikings). وقد دأبوا منذ مطلع القرن التاسع الميلادى على شن غارات بحرية سريعة وخاطفة على سواحل أوروبا الغربية ، بما فيها الأندلس (حيث عُرفوا باسم المجوس) ، واستقر بعضهم في شمال فرنسا في مقاطعة نورماندى (Normandy)التي ما زالت تحمل اسمهم . وقد قدم نورمانٌ جنوب إيطاليا من مقاطعة نورماندى هذه ، وعملوا بادئَ الأمر فرساناً مرتزقةً في صفوف الجماعات المتحاربة هناك ، واشتهر فرسانهم بالجرأة والإقدام ، وإن لم يكنْ القومُ على حظٍ من الحضارة . المعرِّب] .

(٣) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) ، ١٧٢/٥ .

(٤) نفس المصدر السابق ٥/٢–١٧٤ .

(٥) نفس المصدر السابق ٥/٥–١٧٦ .

(٦) ف . تشالاندون (Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية (بالفرنسية) ١٩١/١ .

(٧) أمارى ١/٣ ص ٦٥ .

(٨) تشالاندون(Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية ص ١/٢-١٩٣ .

(٩) ايمي من مونتي كاسينو(Aimé): تاريخ النورمان (بالفرنسية) ٥/١٣٢٠ . مالاترا (Malaterra) ٢/٨-١٣ . تشالاندون (Chalandon) ١/١٩٥ .

(١٠) أماري ٣/١ ص ٧١ .

(١١) تشالاندون(Chalandon): تاريخ سيطرة النورمان على إيطاليا وصقلية ١/١٩٦ .

(١٢) ايمي(Aimé): تاريخ النورمان ٥/٢٣ . مالاترا (Malaterra) ٢/١٧ .

(١٣) مالاتيرا (Malaterna) ٢/٢٢ .

(١٤) نفس المصدر السابق ٢/٢٩-٣٠ .

(١٥) تشالاندون (Chalandon) ١/٢٠٦ .

(١٦) مالاتيرا (Malaterra) ٢/٤٥ . أيمي(Aimé) ٧/٢ . تشالاندون(Chalandon) ١/٢٠٨ .

(١٧) مالاتيرا(Malaterra) ٤/٣٠ .

(١٨) ينبغي أن لا يُخلط بينه وبين ابن عبادٍ آخر (Mirabetto) ثار فيما بعد على فردريك الثاني .

(١٩) مالاتيرا(Malaterra) ، يُنظر في موضعه .

(٢٠) نفس المصدر السابق ٣/١٢ . تشالاندون(Chalandon) ١/٣٤٠ .

(٢١) ف. جابريلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » مقال (بالإيطالية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٨٣ .

(٢٢) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ٥/٣-١٨٤ .

(٢٣) ر. بيرو (Pirro) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٣٨٤ .
س. كوسا (Cusa) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٥٤٤ . تشالاندون (Chalandon)١/٧-٣٤٨ .

(٢٤) أماري ٣/١ ص ١٩٠-١٩١ .

(٢٥) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ٥/١٨٤ ، ١٨٦ .

(٢٦) [جورج/جرجي الأنطاكي (ت ٥٤٦ هـ/١١٥٢ م) كان قد هاجر من بلاد الشام والتحق بخدمة الأمير الزيري تميم بن المعز ، الذي حكَّمه في دخله وخرجه ، وكان يُجيد العربية . فلما مات تميم (٥٠١هـ/١١٠٧ م) خاف الانطاكي من يحيي بن تميم ، فاتصل سراً بصاحب صقلية رجار الثاني ، الذي دبَّر له قطعةً فرَّ من المهدية على ظهرها خلسةً . وقد عمل في بلاط رجار الثاني سفيراً ومقدَّماً على الأسطول نحواً من أربعين عاما . وهو الذي استولى على طرابلس الغرب (٥٤١هـ/١١٤٦ م) ثم المهدية (٥٤٣هـ/١١٤٨ م) وغيرهما من مدن الساحل الأفريقي . وقد أفاد الأنطاكي في حروبه ضد المسلمين مما سبق أن اكتسبه من معلومات وخبرة عملية عن طبوغرافية إفريقية وأحوال سكانها . انظر رحلة التجاني ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، تونس ١٩٥٨ ص ٣٣٣ — المعرِّب] .

(٢٧) ابن الأثير ١٠/٤٣١ . ج. مارسيه (Marçais) : المغرب الإسلامي . . . (بالفرنسية) ص ٢-٢٢٣ . تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) ٥/٤-١٨٥ .

(٢٨) ج . مارسيه (Marçais) ، المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٢٩) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٨٦ .

(٣٠) [عن هذه الحملة في نهاية سنة ٥٣٧هـ/صيف سنة ١١٤٣ م ، يقول ابن الأثير (المكتبة ص ٢٨٧) : « في هذه السنة سارت مراكب الفرنج من صقلية إلى طرابلس الغرب فحصروها . وسبب ذلك أن أهلها في أيام الأمير الحسن صاحب إفريقية لم يدخلوا يدا في طاعته ولم يزالوا مخالفين مشاقين له قد قدموا عليهم من بني مطروح مشايخ يدبرون أمرهم ، فلما رآهم ملك صقلية كذلك جهز إليهم جيشا في البحر فوصلوا تاسع ذى الحجة [٢٥ يونيو ١١٤٣ م] فنزلوا البلد وقاتلوه وعلّقوا الكلاليب في سوره ونقبوه . فلما كان الغد وصل جماعة من العرب نجدة لأهل البلد ، فقوى أهل طرابلس بهم ، فخرجوا إلى الاسطولية فحملوا عليهم حملة منكرة ، فانهزموا هزيمة فاحشة ، وقتل منهم خلق كثير ، ولحق الباقون بالأسطول ، وتركوا الأسلحة والاثقال والدواب فنهبها العرب وأهل البلد ، ورجع الفرنج إلى صقلية »] .

(٣١) ابن الأثير ، في (المكتبة) ص ٢٨٩-٢٩٠ . أمارى ٣/٢ ص ٤١٦ .

(٣٢) [بالنسبة لتفاصيل استيلاء النورمان على المهدية ، يُنظر ابن الأثير ، تحت حوادث سنة ٥٤٣هـ ، وفي (المكتبة) ص ٢٩٢ وما بعدها] .

(٣٣) مارسيه (Marçais) : المغرب الإسلامي (بالفرنسية) ص ٤-٢٢٥ .

[مما حفز رجار الثاني على الاستيلاء على موانئ الساحل الإفريقي أن المسلمين ما انفكوا يغيرون منها على مراكب النصارى وعلى سواحل صقلية ، تماما كما حدث بعد ذلك بأربعة قرون بالنسبة لمراكب الأسبان وسواحل الأندلس على أيدى النازحين الأندلسيين . فكما أن الاسبان سعوا في أوائل القرن السادس عشر إلى الاستيلاء على عدد من موانئ الشمال الأفريقي ، أملا في وضع حد لغارات هؤلاء النازحين ، كذلك فعل النورمان في منتصف القرن الثاني عشر بالنسبة لموانئ أفريقية . ولا شك في إن مما يسَّر الأمرَ بالنسبة للنورمان ، فضلاً عن سوء الأحوال الاقتصادية في أفريقية بسبب توالى أعوام الجفاف والقحط ، انشغالُ المرابطين في تلك الفترة بقيام الموحدين الذين قضوا نهائياً على دولة المرابطين (٥٣٩هـ/١١٤٦ م) ؛ ولم يتفرَّغ الموحدون للنورمان إلا بعد ذلك ببضعَ عشرة سنة ، حينما توطّدَ سلطانهم . المعرِّب] .

(٣٤) [يقول ابن أبي دينار صاحب كتاب (المؤنس في أخبار إفريقية وتونس) إن رجار « جبي خراج رعاياها برفق منه وإحسان ، واستمال الناس وسار فيهم سيرة حسنة بالرفق بهم » ، (المكتبة) ص ٥٣٩-٥٤٠ . المعرِّب] .

(٣٥) م . كنارد (Canard) : « كتاب من الخليفة الفاطمى الحافظ إلى رجار الثاني » ، مقال (بالفرنسية) ، يُنظر في ثبت المراجع تحت اسم الكاتب ، ١/١٢٥-١٤٦ .

(٣٦) ابن الأثير ١٠/١٣٣ .

(٣٧) ى. كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية (بالإنجليزية) ص ٣٠٩-٣١٢ .
(٣٨) نفس المصدر السابق ص ٣١٩ .
(٣٩) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٥ .
(٤٠) تشالاندون (Chalandon) ٢ /١٠٣ .
(٤١) هـ. فالكاندوس (Falcandus) : تاريخ مملكة صقلية . . . ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٢٧ ، ٤٢ ، وفي مواضع متكررة . تشالاندون ١ /١٨٠ .
(٤٢) ابن الأثير ١١ /١٢٥ . ج. ب. سيراجوسا (Siragusa) : حكم وليام الأول في صقلية (بالإيطالية) ، يُنظر تحت اسم المؤلف في ثبت المراجع ، ص ٤٦-٤٧ .
(٤٣) ابن الأثير ، في (المكتبة) ، تحت سنة ٥٥٥هـ ، ص ٣٠٨ .
(٤٤) كرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا (بالإنجليزية) ص ٦-٤٢٧ .
(٤٥) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) ١٩٧/٥ .
(٤٦) تشالاندون (Chalandon) ٣٩٣/٢ . تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (CMH) ١٩٩/٥-٢٠٠ .
(٤٧) أ. س. اهرنكروتز (Ehrenkreutz) : صلاح الدين (Saladin) ، نيويورك ١٩٧٢ ص ٤-١٢٥ .
(٤٨) ابن جبير : الرحلة ٩-٣١٣ ص ٣٠٩-٣١٣ .
[سافر ابن جبير من سبتة على ظهر مركب « للروم الجنويين » إلى الإسكندرية . وبعد تأدية فريضة الحج ، سافر ابن جبير من عكا في مركب رومي « مدبره رومي جنوى » . ومن ميناء اطرابنش بغربي صقلية ، عاد ابن جبير إلى الأندلس في أحد مراكب الروم ، واجتمع في طريق العودة ببعض أصحابه من الحجيج الأندلسيين قادمين من الاسكندرية « في مركب جنوى » — رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٨ ص ٨ ، ٢٥٧ ، ٢٨٢ . المعرِّب] .
(٤٩) دانتي : الفردوس (Paradiso) ٦٦/٢٠ .
(٥٠) أماري ٢/٣ ص ٥-٥٤٧ .
(٥١) تاريخ كمبردج للقرون الوسطى (بالإنجليزية) (CMH) ٤٦٢/٥ .

الفصل السابع

(١) ف. جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٩٥ .
(٢) سورة النحل ، آية ١٢١ .

(٣) س. كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلّية (بالإيطالية) ١/٣-٥٦٤ .
س. سبينيلّي (Spinelli) : نقود كوفية ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ . أماري ٢/٣ ص ٧- ٤٥٩ .

(٤) (المكتبة) ص ٥٨٤ . [ويُعرف منتزه المعتزّيّة كذلك باسم الفوّارة] .

(٥) ج. ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن ص ٢-٣٣ .

(٦) تشالاندون (Chalandon) ٧٢١/٢ .

(٧) سي. هـ. هاسكنز : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٦٠ .

(٨) ابن الاثير ١٣٣/١٠ .

(٩) جابريلي : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ص ٩٥ .

(١٠) كيرتيس(Curtis) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٤١٩-٤٢٠ .

(١١) فالكاندوس (Falcandus) ص ٩٨ .

(٢١) تشالاندون (Chalandon) ٧٣٩/٢-٧٤٠ .

(١٣) فالكاندوس (Falcandus) ١٧٨ .

(١٤) تشالاندون ٧٤٠/٢-٧٤٢ .

(١٥) [مر الرحالة الأندلسي ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني) بجزيرة صقلية في عهد النورمان ، بعد قرن من انتهاء السيادة العربية على الجزيرة ، في طريق عودته من تأدية فريضة الحج ، وكان وصوله إلى مسينة في ٣ رمضان سنة ٥٨٠هـ/٨ ديسمبر ١١٨٤ م ، وبارح الجزيرة من ميناء اطرابنش عائداً إلى الأندلس في ١١ ذى الحجة سنة ٥٨٠هـ/١٥ مارس ١١٨٥ م ، أى أنه أمضى في الجزيرة ثلاثة شهور ونصف الشهر. وما يذكره ابن جبير عن أحوال المسلمين في صقلية النورمانية يُعدّ وثيقة على جانب كبير من الأهمية للباحث والمؤرخ المعرِّب] .

(١٦) ابن جبير : الرحلة ٧-٢٩٨ .

(١٧) نفس المصدر السابق ، يُنظر في موضعه .

(١٨) نفس المصدر السابق ٢٩٩ .

(١٩) نفس المصدر السابق ٣٠٧ .

(٢٠) كوسا (Cusa) ٤٨٤/١ . [انظر عن ابن حمود هذا إحسان عباس : العرب في صقلية ص ٢-١٣٣] .

(٢١) كوسا ٤٠٩/١ .

(٢٢) نفس المصدر السابق ١١٧/١ ، ٥١٦ ، ٥٢٤ .

(٢٣) فالكاندوس (Falcandus) ص ١٠٩ .

(٢٤) تشالاندون (Chalandon) ٢/٢-٧١٣ .

(٢٥) أماري ١/٣ ص ٣٢٩ .

(٢٦) جريجاريو (Gregario) ، ينظر تحت اسمه ، ٢/فصل ٤ . جروفي (Garufi) ينظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، النظام الإدارى النورماني في صقلية ص ٢٢٥-٢٦٣ . هاسكنز(Haskins) : « إنجلترا وصقلية في القرن الثاني عشر » ، مقال (بالإنجليزية) في (المجلة التاريخية الإنجليزية) ، مجلد ٢٥ (١٩٠١) ص ٣٣-٤٤٧ ، ٦٤١-٦٥٥ .

(٢٧) جروفي (Garufi)، يُنظر في موضعه .

(٢٨) تشالاندون (Chalandon) ٢/٨-٦٤٩ .

(٢٩) بيرّو (Pirro) ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٣٨٤ .

(٣٠) أمارى ٢/٥٢٠-٥٢٥ ، ٣/٣ ص ٨٣٧ .

(٣١) كيرتيس (Curtis) ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٢-٣٤٥ .

(٣٢) أمارى ٢/٥٢٠-٥٢٥ ، ٣/٣ ص ٨٣٧ .

(٣٣) ل . جينواردى (Centenario) : « الدفاتر النورمانية » في (ذكرى أمارى (Centenario) ١/٥٩-١٦٤ .

(٣٤) بيرو (Pirro) ، ينظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ١/٣٨٤ . تشالاندون ٢/٥٢٠-٥٢٢ .

(٣٥) أمارى : ٣/٣ ص ٧٠٦-٧٠٧ .

الفصل الثامن

(١) تشالاندون (Chalandon) ١/٣٣٠ .

(٢) س . كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلّيّة (بالإيطالية) ١/١١١ .

(٣) (المكتبة) ص ٥٨٢ .

(٤) أمارى ١/٣ ص ٢٧٧ . كيرتيس(Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا (بالإنجليزية) ص ٤١٩ .

(٥) أمارى ١/٣ ص ٢١٤-٢٢٤ .

(٦) ج . جاى (Gay) : « ملاحظات حول الهلينية الصقلية من الفتح العربي حتى الفتح النورماني » (بالفرنسية) ، يُنظر تحت أسم الكاتب في ثبت المراجع ، ص ٢٧-١٣٥ .

(٧) مالاتيرا (Malaterra) ٢/٤٥ .

(٨) تشالاندون (Chalandon) ١/٤-٣٤٧ .

(٩) فالكاندوس(Falcandus) ص ٧٠-١٥٥ . [كان هؤلاء الوافدون الجدُد من اللمبارد شديدى التعصب ضد المسلمين ، وهم في ذلك شبيهون بالوافدين الجدد من الصليبيين إلى بلاد الشام الذين يتحدث أسامة بن منقذ عن شدة تعصبهم نحو المسلمين ، كما لمس ذلك هو بنفسه في بيت المقدس ، إذ يقول «كل من هو قريب العهد بالبلاد الأفرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدّوا

وعاشروا المسلمين » — أسامة بن منقذ : كتاب الاعتبار ، تحقيق فيليب حِتّي ، مطبعة جامعة برنستون ، الولايات المتحدة الأمريكية ١٩٣٠ ص ١٣٤ . المعرِّب] .

(١٠) تشالاندون (Chalandon) ١/٤٣٩-٣٥٠ .

(١١) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٢ .

(١٢) كوسا (Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلّية (بالإيطالية) ١/٥٤١ .

(١٣) أماري ٣/١ ص ٢٤٠ .

(١٤) تشالاندون (Chalandon) ٢/٥٢٨ ، ٣-٥٣٥ .

(١٥) نفس المصدر السابق ٢/٥٤٩ وما بعدها ، ١/٣-٦٧٤ .

[انظر كذلك إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٤٤] .

(١٦) كيرتيس(Curtis) : رجار صاحب صقلية والنورمان في جنوب إيطاليا (بالإنجليزية) ص ٩٥ ، ٣٠٨ .

(١٧) أماري ٣/٢ ص ٤٤٦ .

(١٨) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٣٧ .

(١٩) أماري ٣/٢ ص ٥-٤٩٦ .

(٢٠) فالكاندوس(Falcandus) ص ٤٤٠ .

[من بين ضحايا هذه المذابح التي حلّت بالمسلمين الشاعر القفصي يحيى بن التيفاشي . ومن الممكن أن الأدريسي كان من ضحاياها أيضا . المكتبة ص ٥٩٩ يُنظر إحسان عباس : العرب في صقلية ص ١٤٩ والحاشية رقم ٢ بنفس الصفحة] .

(٢١) فالكاندوس السابق ص ٥-٨٦ ، ٦-١١٨ .

(٢٢) ابن جبير : الرحلة ٧-٢٩٨ .

(٢٣) نفس المصدر السابق ٢١٧-٣٠٠ .

(٢٤) نفس المصدر السابق ٣٠٥ .

[إن ملاحظة ابن جبير هذه ذات دلالة جديرة بالاهتمام . فالخطبة في العيدين في الحاضرة يلزم كانت الدعوة فيها للخليفة العباسي ، وكان ضعيفا نائياً في بغداد ، ولم تكن للخليفة الموحدى القوى في المغرب الأقرب إلى صقلية من الخليفة العباسي ، وذلك لأن العداء كان على أشده بين الموحدين والروم في كلٍ من صقلية والأندلس . وكان الموحدون آنذاك في أوج قوتهم في عهد الخليفةِ أبي يوسف يعقوب المنصور (حكم ٨٠-٥٩٥هـ/٨٤-١١٩٩ م) الذى كان سلطانة يشمل المغرب بأسره من برقة إلى المحيط ، فضلا عن الأندلس ، وكان قد عقد العزم على مواصلة الجهاد في الأندلس ، ومن بعدها صقلية دون شك ، لاستعادة ما فقده المسلمون من أراض في أواخر أيام دولة المرابطين . المعرب] .

(٢٥) رحلة ابن جبير ٥-٣٠٦ .

(٢٦) نفس المصدر السابق ١-٣٠٧ .

(٢٧) نفس المصدر السابق ٢٩٧ .
(٢٨) كوسا(Cusa) : وثائق يونانية وعربية صقلّيّة (بالإيطالية) ٤٨٨/١ .
تشالاندون (Chalondon) ٦٠٩/٢ .
(٢٩) ابن جبير : الرحلة ٣١٦/٤ .
(٣٠) نفس المصدر السابق ٣١٢-٣١٥ .
(٣١) ف . جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٨٧-٨٨ .
(٣٢) أماري ٣/ ٢ ص ٥٤٣ .
(٣٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٤٥-٤٦ .
(٣٤) كيرتيس (Curtis) : رجار صاحب صقلية . . . (بالإنجليزية) ص ٢-٤١٣ .
(٣٥) نفس المصدر السابق ص ٤١٧ :
(٣٦) ف . جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٣-٩٤ .
(٣٧) أماري ٢/٣ ص ٥٨٩-٥٩٠ ، ٥٩٧ .
(٣٨) ف . جابرييلي (Gabrieli) : « السياسة العربية للنورمان في صقلية » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة الدراسات الإسلامية (SI) ، مجلد ٩ (١٩٥٨) ص ٩٢ .

الفصل التاسع

(١) خلط أماري بين العالمَيْن (٢/٥-٥٣٦) : وقد أثبت ريتسيتانو أنهما شخصان مختلفان (أ. ريتسيتانو Rizzitano : « ابن الفحام المقرئ الصقلي » ، مقال (بالإيطالية) في دراسات المستشرقين تكريما للمستشرق ليفي ديلا قيدا ، رومة ١٩٥٦ ص ٤٠٣-٤١٩ .
(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ٢٥٥/١ ، ٤٨٨/٢ . ريتسيتانو (Rizzitano) تُنظر المادة عن ابن الفحام في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٧٦٠/٣-٧٦١ .
(٣) أ. ليفي بروفنسال : مخطوطات الأسكوريال ، باريس ١٩٢٨ ، ٦٧/٣ .
(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ٦٦١/٢ . بروكلمان : تاريخ الآداب العربية (GAL) ٤٣١/١ . فكتور شوفان (Chauvin) : ثبت بالمؤلفات العربية (بالفرنسية) ، لييج/ليبسك ١٧٥/٢-١٨٧ .
(٥) ريتسيتانو ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٩٧٠/٣ .
(٦) القاضي عياض : ترتيب المدارك ، في كتاب (ذكرى أماري (Centenario) ٣٨١/١ .
(٧) [الاسم الكامل للكتاب هو (المُعلِم بفوائد كتاب مُسلم) ، وقد أخطأ المؤلف إذ حسبه (المُعلّم) بتشديد حرف اللام — يُنظر حاجي خليفة ، (المكتبة) ص ٧٠١ ، المعرِّب] .

(٨) الزركشي : تاريخ الدولتين ، في (المكتبة) من ٥٢٢ ابن خلكان ٢١٦/٢ ، ٢٨٧ . المقريزى : المقفى ، في (المكتبة) ص ٦٦٥ . فانيان (Fagnan) ، يُنظر كتاب (ذكرى أمارى (Centenario) ٩٢/٢ .

(٩) السمعاني : كتاب الأنساب ٣٥٤ .

(١٠) أ. ريتسيتانو (Rizzitano) ، تُنظر المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ٨٥٩/٣-٨٦٠ .

(١١) ياقوت الحموى ٢٣٧/٣ .

(١٢) مثال ذلك العمرى ، القطعة المستخرجة من (مسالك الأبصار) في (المكتبة) ص ١٥٢ .

(١٣) الادريسي : نزهة المشتاق ، القطعة المستخرجة في (المكتبة) ص ١٦ .

(١٤) [الأدريسي من مواليد سبتة في المغرب ، وعلى ذلك فهو مغربي المولد والمنشأ — انظر حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، مدريد ١٩٦٧ ص ١٦٩ — المعرِّب] .

(١٥) ج. أومان (Oman) : مادة « الأدريسي » في دائرة المعارف الإسلاميَّة ، الطبعة الثانية ، بالإنجليزية ، ١٠٣٢/٣-١٠٣٥ .

(١٦) أمارى ٢/٣ ص ٤٦٩ .

(١٧) الزوزني : تاريخ الحكماء ، في (المكتبة) ص ٦١٩ .

(١٨) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ٢٠٩/٥ .

(١٩) [الأصحُّ ما يرويه السيوطى وهو أن ابن القطاع « اقام بالقاهرة يعلِّم ولد الأفضل ابن أمير الجيوش » بدر الجمالى — انظر السيوطي : كتاب بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، القطعة المستخرجة من الكتاب في (المكتبة) ص ٦٧٦] .

(٢٠) أ. ريتسيتانو (Rizzitano) : « ملاحظة عن ابن القطَّاع الصقلِّى . . . » ، مقال (بالإيطالية) ، يُنظر الكتاب الذى نُشر فيه ضمن ثبت المراجع ، ص ٢٦٠-٢٩٤ . انظر كذلك المادة لنفس الكاتب عن « ابن القطاع » في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ، ٨/٣-٨١٩ .

(٢١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء المغرب) ، تونس ١٩٦٦ ص ٥١-١٦٤ .

(٢٢) العماد الأصفهاني ١/٤ ص ٥١-٥٥ ، ٤١٠ .

(٢٣) ريتسيتانو (Rizzitano) : « تعليق لابن القطاع الصقلى على بعض أشعار المتنبي » ، مقال (بالايطالية) في مجلة الدراسات الشرقية ، مجلد ٣٠ (١٩٥٥) ص ٢٠٧-٢٢٧ .

(٢٤) حاجى خليفة : كشف الظنون ١٤٦/٤ ، ٥٩٥/٣ .

(٢٥) الذهبي : أنباء النحاة ، قطعة في (المكتبة) ص ٥-٦٤٦ ص ٥٨٧ . [« ذُكر أنه شيخ لغة ونحو . . . حصل في اعتقال الأفرنج في صقلية ، وسيم أنواع البلية . . وله قصيدة في مدح رجار صاحب صقلية وهو في قبضة الإسار . . . »] .

(٢٦) العماد الأصفهاني خريدة القصر قطعة في المكتبة .

(٢٧) السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، في (المكتبة) ص ٢-٦٧٣ .

(٢٨) إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٦٥-٢٨٣ .

(٢٩) ف . جابربيلي (Gabrieli) : « عرب صقلية وعرب الأندلس » ، مقال (بالإيطالية) في مجلة الاندلس (Al-Andalus) ، مدريد — غرناطة ، مجلد ١٥ (١٩٥٠) ص ٣٩ .

(٣٠) أ . ف . فون شاك (von Schack) : الشعر والفن عند العرب في الأندلس وصقلية ، الترجمة الأسبانية ، اشبيلية ١٨٨١ ص ٨-١٣٩ .

(٣١) أماري ٢/٦٠٢ .

(٣٢) ديوان ابن حمديس ، تحقيق سي . سكيابرلّي ، رومة ١٨٩٧ . ديوان ابن حمديس ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ . إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٣٥-٢٦٢ . أماري ٢/٥٩٢-٦٠٢ . فون شاك (von Schack) ، الشعر والفن عند العرب في الأندلس وصقلية ، الترجمة الأسبانية ، ص ١١٨-١٣٥ .

الندوي ٢/٣٤٩-٣٦٥ . ريتسيتانو ، دائرة المعارف الإسلامية ، ٣/٢-٧٨٣ .

(٣٣) يقول ابن خلكان إن ابن حمديس توفي « بجزيرة ميورقة ، وقيل ببجاية ، ودفن إلى جنب ابن اللبانة الشاعر المشهور ، وكان قد عمي » ، وفيات الأعيان ، في (المكتبة) ص ٢٢٦ .

(٣٤) ف . جابربيلي « صقلية والأندلس في حياة وشعر ابن حمديس » مقال (بالإيطالية) يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ٣/٣٢٣-٣٢٧ .

(٣٥) ف . جابربيلي (Gabrieli): « قصر بني حماد في بجاية كما وصفه ابن حمديس » مقال (بالإيطالية) ، يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ص ٥٤-٥٨ .

نفس الكاتب : « الصلات بين الأدب والفن في الحضارة الإسلامية » ، يُنظر في المراجع تحت اسم الكاتب ، ص ٥٥-٥٧ .

(٣٦) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ٤/١ ص ٢٦-٢٧ .

(٣٧) نفس المصدر السابق ٤/١ ص ٢٤-٢٥ .

(٣٨) نفس المصدر السابق ٤/١ ص ٢١ .

(٣٩) نفس المصدر السابق ٤/١ ص ٤٨-٤٩ .

(٤٠) أ . ريتسيتانو (Rizzitano) : المادة عن (ابن قلاقس) ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية (بالإنجليزية) ، ٣/٤-٨١٥ . إحسان عباس : العرب في صقلية ٢٨٧-٢٩٥ .

(٤١) العماد الأصفهاني : خريدة القصر ، ٤/١ ص ١٧-١٨ .

الفصل العاشر

(١) [نسبة إلى مقاطعة سوابيا (Swabia) في الجنوب الغربي من ألمانيا غربي مقاطعة بفاريا . وتعرف

الأسرة الالمانية كذلك باسرة هوهنشتاوفن نسبة إلى قلعة كانت تمتلكها الأسرة في جنوب المانيا . المعرِّب] .

(٢) [فرض ملك فرنسا لويس السابع عام ١١٤٧ م ضريبةً لتمويل الحملات الصليبية . وحذا ملك انجلترا هنرى الثاني حذوه ففرض ضريبة أصبحت تعرف بضريبة صلاح الدين (Saladin tithe) كان لا يُعفى منها إلا المشاركون في الحملات الصليبية ، وهى شبيهة بضريبة الجهاد عند المسلمين . وفي سنة ١٢١٥ م ، فرض البابا انوسنت الثالث ضريبة مماثلة على رجال الكنيسة ، ظلَّ معمولا بها حتى نهاية القرن السادس عشر ، وكان لها دورٌ في تمكين الأسبان من القضاء على مملكة غرناطة الإسلامية . المعرِّب] .

(٣) ماك سميث (Smith) : تاريخ صقلية في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ١-٥٢ .

(٤) ف . جابريلى (Gabrieli) : « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » ، فصل في كتاب (الشرق والغرب East and West) ص ٥٣ .

(٥) ج . ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ، ص ٣٢ .

(٦) [لم يكن منصبُ الملكِ في ألمانيا وراثياً بل انتخابيا ، فيتولى الأمراءُ انتخابَ أحدِهم ملكا ، ولا يحمل لقبَ امبراطور إلا بعد تتويج البابا له . وكان الألمان في هذه الفترة ، التي اشتدَّ فيها الصراع بين الباباوات والأباطرة الألمان ، ينقسمون إلى حزبيْن يُعرف الحزب المناصر للبابا منهما باسم الجويلف (Guelfs) ويُعرف الحزب المناصر للأمبراطور باسم الجيبيليِّن (Ghibellines) . المعرِّب] .

(٧) أمارى ٢/٣ ص ٤-٦٠٨ .

(٨) ينبغي أن لا يُخلط بينه وبين ابن عباد الذى كان قد حارب رجار الأول . ومن المحتمل أن الأخير لم يكن صقلّيا بل وافداً من تونس (انظر جابريلى Gabrieli في فصله بعنوان « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » في كتاب : الشرق والغرب (بالإنجليزية) ص ٥٥) .

(٩) أ . ليفي بروفنسال : « بطلة للمقاومة الإسلامية في صقلية في مطلع القرن الثاني عشر » ، مقال (بالفرنسية) في مجلة المشرق الحديث (Oriente Moderno) ، مجلد ٣٤ (١٩٥٤) ص ٢٨٣-٢٨٨ .

(١٠) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ١٣٥-١٤٥ .

(١١) جابريلى (Gabrieli) ، ص ٥٣ من فصله بعنوان « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » في كتاب (الشرق والغرب) . ماسون (Masson) ص ١٢٨ .

(١٢) [أخطأ المؤلف إذ ذكر أن السلطان الحفصي هو أبو اسحاق ، والصواب ما أثبتناه . وقد حكم السلطان أبو زكريا يحيى ، وهو أول سلاطين الحفصيين ، من سنة ١٢٢٨ إلى سنة ١٢٤٩ م وتوفي قبل عام من وفاة فردريك الثاني . المعرِّب] .

(١٣) هاسكنز (Haskins) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٢٥٢ . كيرتيس (Curtis) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٤٥٠ .

(١٤) جابرييلي (Gabrieli) ، ص ٥٤ من المرجع المذكور في الحاشية رقم ١٢ .

(١٥) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٢٥٠ .

(١٦) أبو الفضائل الحموي : التاريخ المنصوري ، يُنظر في ثبت المراجع ، الورقات ١٦٠ ب — ١٧٠ ب . بيرنارد لويس (Lewis) : « الحشاشون في بلاد الشام والاسماعيلية في بلاد فارس » ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٥-٥٧٦ .

(١٧) ماسون (Masson) ، يُنظر الكتاب في ثبت المراجع ، ص ٢٣١ .

(١٨) ذكر ذلك جابرييلي في الفصل المشار إليه في الحاشية رقم ١٢ ، ص ٥٦ . وعن وجهة نظر مخالفة ينظر دى ستيفانو (De Stefano): الفكرة الامبراطورية لفردريك الثاني (بالايطالية) ، يُنظر في ثبت المراجع ، ص ١٨٩-٢١١ .

[يقول صاحب كتاب جامع التواريخ (اليافعي أو العيني) « والظاهر من كلامه [فردريك] انه كان دهريا ، وإنما كان يتلاعب بالنصرانية » ، (المكتبة) ص ٥١٥] .

(١٩) أماري ٢/٣ ص ٧-٦٢٩ . ماك سميث (Smith) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٥٩ .

(٢٠) ماثيو باريس (Matthew Paris) : الحولية الكبرى (Chronica Majora) ، ٥٢٠/٣ ؛ ٢٦٨/٤ ، ٥٦٧ وتتكرر التهمة مراراً .

هاسكينز (Haskins) : العلوم في القرون الوسطى (بالأنجليزية) ص ٢٥٢ .

(٢١) جابرييلي (Gabrieli) ، الفصل المشار إليه في الحاشية رقم ١٢ ، ص ٦١ .

(٢٢) هانس ل . جوتشالك (Hans L. Gottschalk)، مقال بعنوان « الأنبراطور/امبراطور » في مجلة (Der Islam) ، مجلد ٣٣ (١٩٥٧) ص ٣٠-٣٦ .

(٢٣) [أوفد الظاهر بيبرس ابنَ واصل رسولا عنه إلى منفريد ، ويقول ابن واصل عنه ما يلي : « وكان الأنبراطور من ملوك الفرنج فاضلاً محباً للحكمة والمنطق والطب ، مائلا إلى المسلمين لأن منشأه بجزيرة صقلية ، وغالبُ أهلها مسلمون » ، أبو الفداء : كتاب المختصر في أخبار البشر ، القطعة المستخرجة في (المكتبة) ص ٨-٤١٩ . المعرِّب] .

الفصل الحادى عشر

(١) سي . هـ . هاسكينز (Haskins) : النورمان في التاريخ الأوروبي (بالإنجليزية) ص ٢٣٥ .

(٢) هاسكينز (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٣٠١-٣٠٢ .

(٣) السَّاندرو بوساني (Bausani) : « ملاحظات حول الدراسات العربية والإسلامية في إيطاليا في القرون الوسطى » ، مقال (بالإنجليزية) في (مجلة الجمعية التاريخية الباكستانية) ، ٣/٣ (١٩٥٥) ص ١٧٧ .

(٤) هاسكينز (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٢-٣٢٣ .

(٥) نفس المؤلف السابق ، العلوم في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٢٤٤ .

(٦) نفس المصدر السابق ٢٥٣ . جابريلى ، فصله في كتاب الشرق والغرب ص ٥٨ .
(٧) دى ستيفانو (De Stefano)، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٢٨ . هاسكينز ، (Haskins) : نهضة القرن الثاني عشر (بالإنجليزية) ص ٢٨٤ .
(٨) هـ. بريهول (Bréholles) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ١٥٨/٢ ، ٧٢٦/٥ .
(٩) دى ستيفانو (De Stefano) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٤٤-٤٥ .
(١٠) نفس المصدر السابق ٦٢-٦٣ .
(١١) ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ص ٤-٢٢٥ .
(١٢) دى ستيفانو (De Stefano) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٢٠ ، ٢٧ .
(١٣) هاسكينز (Haskins) : العلوم في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٦-٢٤٨ .
أمارى ٣ / ٢-٦٩٥ . دى ستيفانو ، ينظر كتابه في ثبت المراجع ٤١-٤٣ .
(١٤) ج. سارتون (Sarton) : مدخل إلى تاريخ العلوم (بالإنجليزية) ، بلتيمور ٢٧-١٩٤٨ ، ٥/٢-٥٦٦ .
(١٥) هـ. بريهول (Bréholles) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، المقدمة ص ٢٧ .
(١٦) جابريلى (Gabrieli) ، تاريخ كمبردج الإسلامى (بالإنجليزية) ، الجزء الثاني ص ١-٨٦٢ .
(١٧) أمارى : « مسائل فلسفية وجّهها الأمبراطور فردريك الثاني لعلماء المسلمين » ، مقال في المجلة الأسيوية (Journal Asiatique) ، سلسلة ٥ ى ، ١ (١٨٥٣) ص ٤٠-٢٤٦ . ميرين (Mehren) ، مقال عن أجوبة ابن سبعين ، يُنظر تحت اسم الكاتب ، ص ٣٤١-٤٥٤ . فور (Faure) ، تنظر المادة في دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ٣/١-٩٢٢ . ماسون (Masson) ص ٢٣٧ . دى ستيفانو (De Stefano) ٩١-١٢٦ . ماسينيون (Massignon) : مقال في كتاب ذكرى هنرى باسيت ١٢٣/٢-١٣٠ ، ومقال في كتاب دراسات المستشرقين في ذكرى ليفي بروفنسال ، ٦١/٢-٦٨٢ . وكتابه (مجموعة نصوص عن التصوف في بلاد المسلمين) ص ٢٣-١٣٤ . تُنظر تحت اسم الكاتب في ثبت المراجع .
(١٨) سارتون (Sarton) : مدخل إلى تاريخ العلوم (بالإنجليزية) ، ٥/٢-٥٦٦ .
(١٩) مونتجومرى واط (Montgomery Watt) : تأثير الإسلام على أوروبا في القرون الوسطى (بالإنجليزية) ص ٦٧-٧٨ .
(٢٠) أمارى ٣/٣ ص ٩٠٥-٩١٤ .
(٢١) سيبولد (Seybold) ودى جريجاريو (de Gregario) : جامع المفردات الصقلّية من أصل عربي يُنظر تحت اسم جريجاريو في ثبت المراجع ، ص ٢٢٥-٢٥١ .
(٢٢) [ومن بين الألفاظ العربية الكثيرة التي لا تزال متداولة على السن الصقلّيين : خزانة gasèna وفكرونة (وهى السلحفاة عند المغاربة fucuruna وخنجر canciáru وفلان filano وحرارة carara وخسارة cassara والرطل rotolo والأطرية (المكرونة الدقيقة غير المثقوبة) etria والأسفنج (نوع من الحلوى في المغرب) sfinza ونارنج (البرتقال) naranzu وزهرته

zagara .يُنظر مارتينو ماريو مورينو (Martino Mario Moreno) : المسلمون في صقلية ، بيروت ١٩٦٨ ص ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٨ . المعرِّب] .

(٢٣) سالمبيني (Salimbeni) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ١٦٦ وقد ذكره أماري ٣/٣ ص ٧٢٩ .

(٢٤) أماري ٣/٣ ص ٧٦٠-٧٦٥ .

(٢٥) ميلاس (Millás) : « تأثير الشعر الشعبي الأندلسي على الشعر الإيطالي » ، يُنظر في ثبت المراجع .

(٢٦) سيساريو (Cesareo) : يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ١٠١ .

(٢٧) هـ. أ. ر. جيب (Gibb) : الفصل الذى كتبه في (تراث الإسلام (Legacy of Islam)، اكسفورد ١٩٣١ ص ١-١٩٢ .

(٢٨) جابريلي (Gabrieli) : « فردريك الثاني والثقافة الإسلامية » ، فصل في كتاب (الشرق والغرب) ، بالإنجليزية ، ص ٦٠ .

(٢٩) آسين بلاثيوس (Asín Palacios) : الكوميديا الإلهية والإسلام (ترجمة إنجليزية) ، ص ٤٥-٥٥ وتتكرر مراراً .

(٣٠) ى . شيرولّي (Cerulli) : كتاب المعراج وقضية الأصل العربي الأندلسي للكوميديا الإلهية ، بالإيطالية ، مدينة الفاتيكان ١٩٤٩ ص ٥١٩ .

(٣١) كتاب (Convito) ، ٦/٢ ، ١٤ ، ٣/٢ ، ٤/٢١ .

(٣٢) نفس المصدر السابق ١٥/٢ .

(٣٣) المطهر (Purgatorio) ، ٢٥/٦٢-٦٦ . كتاب (Convito) ، ١٣/٤ . (De Monarchia) ، ٤/١ الخ . . . يُنظر شيرولّي (Cerulli) ص ٥١٣ .

(٣٤) شيرولّي (Carulli) ص ٥١٩-٥٢١ . م . ث . دالفرني (d'Alverny) : « جولات الروح في العالم الآخر لمؤلف مجهول الاسم من أواخر القرن الثاني عشر » ، بحث نُشر في مجلة (مخطوطات تاريخ العقيدة والأدب في القرون الوسطى) ، يُنظر ثبت المراجع تحت اسم الكاتب ، مجلد ١٣ (١٩٤٠-١٩٤٢) ص ٢٣٩-٣٠٠ .

(٣٥) شيرولّي (Cerulli) ، ص ٥٢٤-٥٤٣ .

(٣٦) نفس المصدر السابق ٣-٥٢٤ .

(٣٧) نفس المصدر السابق ٣٣٥-٣٥٤ .

(٣٨) نفس المصدر السابق ٣٧٤-٤٣٧ .

(٣٩) جابريلي (Gabrieli) ، يُنظر الفصل الذى كتبه في (تاريخ كمبردج الإسلامى (CHI) ، ٢/٧-٨٧٨ .

(٤٠) ب . فاليرجا (Valerga) : ديوان عمر بن الفارض . . . (بالإيطالية) ، فلورنسة ١٨٧٤ . تُنظر إشارة جابريلي في (تاريخ كمبردج الإسلامى) ٢/ ٨٨١ إلى رسالة بترارك (Espistole Senili) ، ٢/١٢ .

الفصل الثاني عشر

(١) أماري ٣/٣ ص ٨-٨٤٩ .

(٢) ج . مارسية (Marçais) . فن المعار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ، يُنظر في ثبت المراجع ، ص ١١٩ . حول قصر الفوارة ينظر كذلك ١ . جولدشميدت في (Jahrbuch der K. Prauss. Kuustsamml.) ، مجلد ١٦ (١٨٩٥) . ف . دي جوفاني : « حصن وكنيسة القديس فليب بالفوارة في البحر العذب ببلرم » ، مقال في (المحفوظات التاريخية الصقلّية) ، بدون تاريخ ، مجلد ٢٢ (١٨٩٧) ص ٣٠١-٣٧٤ .

(٣) ج . باتريكولو (Patricolo) : « الأثر العربي المكتشف في فبراير ١٨٨٢ بالقرب من كنيسة القديس يوحنا شفيع النسّاك في بلرم » ، مقال في (المحفوظات التاريخية الصقلّية) بدون تاريخ ، مجلد ٧ (١٨٨٣) ص ١٧٠-١٨٣ .

(٤) فون شاك (von Schack) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، الترجمة الأسبانية ، ص ٦-١٠٧ .

(٥) الأدريسي : نزهة المشتاق ، قطعة مستخرجة في (المكتبة) ص ٢٨—٢٩ .

(٦) نفس المصدر السابق ص ٢٨ .

(٧) م . س . بريجز(Briggs) ، يُنظر كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، ص ١٦٩ .

(٨) نفس المصدر السابق ص ٤-١٧٦ .

(٩) ف . فالنتي (Valenti) : « القصر الملكي ببلرم » ، مقال (بالإيطالية) ، يُنظر تحت اسم الكاتب في ثبت المراجع . مارسية (Marçais) ص ١٢٠ .

(١٠) ج . بلارديني (Ballardini) ، يُنظر المرجع تحت اسمه في ثبت المراجع ص ٣٩١-٤٠٠ .

(١١) دوكا دي سيرّاديفالكو (Serradifalco) ، يُنظر الكتاب تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٤٣ .

(١٢) أماري ٣/٣ ص ٥-٨٤٦ .

(١٣) كيرتيس (Curtis) ، يُنظر كتابه تحت اسمه في ثبت المراجع ، ص ٣٩٧ .

(١٤) تشالاندون (Chalandon ، ٢/٧٣٢ .

(١٥) نفس المصدر السابق ٢/٥-٧٢٦ . مارسية (Marçais) : المعار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ص ٤-١٢٥ .

(١٦) مارسية ، المصدر السابق ص ٣-١٢٥ .

(١٧) أماري ٣/٣ ص ٨٧٢ .

(١٨) نفس المصدر السابق ٣/٢ ص ١-٤٧٢ .

(١٩) مارسية (Marçais : المعار الإسلامي في المغرب (بالفرنسية) ص ٢-١٢٣ .

(٢٠) نفس المصدر السابق ص ٢-١٢٣ .

(٢١) ليناردو البرتي (Alberti) ، يُنظر الملحق لكتابه (صفة إيطاليا) ، بالإيطالية ، البندقية ١٥٦٧ ص ٥٣ . فون شاك (von Schack) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، الترجمة الأسبانية ، ص ١١٥-١١٨ .

(٢٢) ب . ب . كوت (Cott) : الأشكال العاجية العربية الصقلّية ، برنستون ١٩٣٩ ص ٤-٥.

(٢٣) مونوريه دو فيلار (Monneret de Villard) ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٢٤-٤٩ .

(٢٤) أماري : الكتابات العربية في صقلية (بالايطالية) ، بلرم ١٨٧٥ ص ٣٢-٤٢ . مونوريه دو فيلار ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٣٢ . ج . سورديل — تومين (Sourdel-Thomine) ، يُنظر مقاله في ثبت المراجع تحت اسمه ، ص ٣٠٧-٣١٦ .

(٢٥) ج . فيهيرفاري (Fehervari) ، يُنظر الفصل في تاريخ كمبردج الإسلامي ٢/٧١٥ وفيه يشير إلى (خطط) المقريزي ، ١/٦-٤٨٧ ، ٢/٣١٨ .

(٢٦) ر . إتنجهاوسن (Ettinghausen) ، يُنظر مقاله عن الفن في الفترة الفاطمية في مجلة الفنون الإسلامية (Ars Islamica)، مجلد ٩ (١٩٤٢) ص ١١٢ . هـ . بوكثال (Buchthal) ، يُنظر مقاله في نفس المجلة ، مجلد ٢ (١٩٤٠) ص ١٢٥-١٣٣ .

(٢٧) مونوريه دو فيلار ، يُنظر كتابه في ثبت المراجع ، ص ٣٥-٤٨ .

(٢٨) نفس المصدر السابق ص ٤٩ .

(٢٩) ت . أرنولد (Arnold)، الفصل في كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، الطبعة الأولى (١٩٣١) ص ٣-١٥٤ .

(٣٠) مونوريه دو فيلار ، يُنظر مقاله في ثبت المراجع تحت اسمه ، ٣/٤٦-٨٩ .

(٣١) اماري ٣/٣ ص ١-٨٢٢ .

(٣٢) [في خريف سنة ١١٤٧ م ، أقلع الأسطول النورماني من جنوب إيطاليا ، بقيادة مقدَّم الأسطول جورج الأنطاكي ، قاصدا مهاجمة القسطنطينية العاصمة البيزنطية بادىء الأمر ، ولكنه تحوَّل عن ذلك إلى مهاجمة سواحل بلاد اليونان والجزر المجاورة . وقد أغارت جماعة من جنود الأسطول على مدينتي كورنث وثيبس (Thebes) ، وكانت الأخيرة مركز صناعة المنسوجات الحريرية البيزنطية ، وبعد نهب المدينة ، نقل النورمان عدداً كبيراً من النساء العاملات في صناعة الحرير (تربية دودة القز ، وصناعة المنسوجات) ، ومعظمهن من اليهوديات ، إلى بلرم ، وبذلك تسنَّى للنورمان إقامة صناعة ناجحة للمنسوجات الحريرية في عاصمتهم . يُنظر ج . ج . نوريتش (Norwich) : المملكة في الشمس (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٧٦ ص ١٣٠-١٣١ . كذلك أ . شَرْف (Sharf) : اليهود في الامبراطورية البيزنطية (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٧١ ص ١٤٤-١٤٥ . المعرِّب] .

(٣٣) أ . هـ . كريستي (Christie) ، يُنظر كتاب (تراث الإسلام) ، بالإنجليزية ، الطبعة الاولى ، (١٩٣١) ص ٤-١٣٥ .

(٣٤) كوت (Cott) . الأشكال العاجية العربية الصقلية (بالإنجليزية) ص ١-٥ .

(٣٥) نفس المصدر السابق ٩-١٥ .

(١) ماسون (Masson) : فردريك الثاني من أسرة هوهنشتاوفن (بالإنجليزية) ص ٥-١٧٩ .

(٢) [نسبة إلى شارل كونت انجو، شقيق ملك فرنسا لويس التاسع ، وتقع مقاطعة أنجو إلى الجنوب الغربي من باريس . وقد استعان به البابا ضد منفريد صاحب صقلية وجنوب إيطاليا فهزم منفريد وقتل بالقرب من بنفنت سنة ١٢٦٦ ، وبذلك أصبح شارل ملكا على صقلية وجنوب إيطاليا . إلا أنه في أعقاب ثورة الصقليين الشهيرة على الفرنسيين سنة ١٢٨٢ م ، فقد شارل صقلية نهائيا وخلفه على ملك جنوب إيطاليا ، دون صقلية ، ابنه المسمى شارل الثاني سنة ١٢٨٥ م ، وفي عهده وبأمر منه تمّ تنصير مسلمي لوشيرة عنوة سنة ٦٩٩ هـ/ ١٣٠٠ م . يُنظر ر . لودج (Lodge) : نهاية القرون الوسطى (بالإنجليزية) ، لندن ١٩٣٥ ص ٢٤-٢٦ . المعرِّب] .

(٣) قام ج . هـ . بيريتز (Peretz) ، يُنظر تحت اسمه في ثبت المراجع ، بنشر الوثيقة سنة ١٨٢٤ م ، وبعده بقرن من الزمن قام ج . ديلا فيدا(Della Vida) بدراسة تحليلية لها في مقال نشره في مجلة الدراسات الشرقية(RSO) ، مجلد ١٠ (٣-١٩٢٥) ص ٢٨٤-٢٩٢ .

(٤) بييترو إيجيدي (Egidi) : مجموعة مخطوطات دبلوماسية للمسلمين في لوشيرة (بالإيطالية) ، يُنظر في ثبت المراجع ، ص ٣١ .

(٥) ريمون لُلْ(Raymond Lull) مبشر أسباني متحمس من جزيرة ميورقة (١٢٣٥-١٣١٦ م) دعا إلى تنصير المسلمين سلميا عن طريق المبشرين ، وذلك بعد فشل الحملات الصليبية العسكرية في تحقيق ذلك . واقترح على مؤتمر فيينا (١٣١١ م) إنشاء معاهد بالجامعات الأوروبية لتدريس اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية ، وذلك لتمكين المبشرين من القيام بمهمتهم في عملية التبشير بالدين المسيحي . وكان هو نفسه متمكّناً من العربية ، وجاب كثيرا من الاقطار الإسلامية ، وقد لقي مصرعه رجماً بالحجارة في مدينة بجاية سنة ١٣١٦ م . يُنظر إرنيست باركر (Barker) : الحروب الصليبية (بالإنجليزية) لندن ١٩٣٩ ص ١١ . وكذلك هانس ايبرهارد ماير (Mayer) : الحروب الصليبية (بالإنجليزية) ، اكسفورد ١٩٧٢ ص ٢٧٣ . المعرِّب] .

(٦) بييترو ايجيدي ، تُنظر الحاشية السابقة رقم ٤ ، ص ٣٢ .

(٧) بييترو إيجيدي (Egidi) : المستوطنة الإسلامية في لوشيرة والقضاء عليها (بالإيطالية) نابولي ١٩١٢ ص ٧٦-٧٧ .

تعريف ببعض المراجع والمجلات التي وردت أسماؤها مختصرة

أماري = تاريخ مسلمي صقلية (Storia dei Musulmani di Sicilia) ، الطبعة الثانية ، بعناية سي . أ . نلّينو (Nallino) ، قطانية ٣٣ — ١٩٣٩ .

تاريخ كمبردج الإسلامي = Cambridge History of Islam (CHI)' ، جزءآن ، كمبردج ١٩٧٠ .

تاريخ كمبردج للقرون الوسطى =Cambridge Medieval History (CMH)' ، الجزء الخامس ، كمبردج ١٩٣٩ .

ذكرى أماري = ذكرى مرور مائة عام على مولد ميشيل أماري (بحوث لغوية وتاريخية) ، 'Centenario della nascita di Michele Amari (Centenario) بلرم ١٩١٠ م

مجلة الدراسات الأسلامية = Studia Islamica (SI) .

مجلة الدراسات الشرقية = Revista degli Studi Orientali (RSO) .

المكتبة = المكتبة العربية الصقلية (نصوص عن صقلية الإسلامية استخرجها ميشيل أماري من المصادر العربية التاريخية والجغرافية والأدبية) ، ليبسك ١٨٥٧ .

ثبت بالمصادر والمراجع

(أ) مصادر ومراجع عربية

ابن أبي دينار [القيرواني] : المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تونس ١٨٦٩ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق سي . ج . تورنبرج ، ليدن ٦٧ — ١٨٧٤ .

ابن بشكوال : كتاب الصلة ، تحقيق كوديرا ، مدريد ١٨٨٣ .

ابن جبير : الرحلة ، بيروت ١٩٦٤ .

ابن حمديس : الديوان ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٠ .

الديوان ، تحقيق سي . سكيابرلِّي ، رومة ١٨٩٧ .

ابن حوقل : صورة الأرض ، تحقيق دي خويه ، ليدن ١٨٧٣ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن : كتاب العبر ، ٧ أجزاء ، بولاق ١٢٨٤ هـ .

ابن خَلِّكان : وفيات الأعيان ، تحقيق م . عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٨ .

ابن سبعين : الكلام في المسائل الصقلِّية ، تحقيق س . يالتكايا ، باريس ١٩٤٣ .

رسائل ابن سبعين ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، القاهرة ١٩٦٥ .

ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، تحقيق سي . سي . توري ، نيوهافن ١٩٦٠ .

ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق دوزي ، ليدن ٤٨ — ١٨٥١ .

أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم التميمي ، والخُشَني : طبقات [علماء] إفريقية ، الجزائر ١٥ — ١٩٢٠ .

أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ١٨٤٠ .

أرسلان ، شكيب : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر

المتوسط ، القاهرة ١٩٣٣ .
أماري ، ميشيل : المكتبة العربية الصقلية (نصوص عن صقلية الإسلامية مستخرجة من المصادر العربية في التاريخ والجغرافيا والتراجم والأدب والمراجع) ، ليبسك ١٨٥٧ .
البلاذري ، أحمد بن يحيي : فتوح البلدان ، تحقيق دي خويه ، ليدن ١٨٦٦ .
حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله (كاتبي تشلبي) : كشف الظنون ، تحقيق ج . فلوجل ، ليبسك ٣٥ — ١٨٥٢ .
الحموي ، أبو الفضائل : التاريخ المنصوري ، تحقيق ب . أ . جريازنفيتش ، موسكو ١٩٦٠ .
الخولي ، أمين : « المدنية العربية في صقلية » ، مقال نُشر بمجلة (المقتطف) ، مجلد ٦٢ ، عدد فبراير ١٩٢٣ ص ٢ — ١٤٧ ، وعدد أبريل ١٩٢٣ ص ١ — ٣٢٦ .
ريتسيتانو ، أومبرتو : « أخبار عن بعض مسلمي صقلية » ، مقال نُشر بمجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، العدد ٣ (١٩٥٥) ص ٤٩ — ١١٢ . العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩ .
الزركشي ، [أبو عبد الله محمد بن إبراهيم] : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تونس ١٨٧٢ .
السمعاني ، [عبد الكريم بن محمد] : كتاب الأنساب ، تحقيق د . س . مرجوليوث ، لندن — ليدن ١٩١٢ .
الستوسي ، زين العابدين : في الأدب العربي وديوان ابن حمديس ، تونس ١٨٥٢ .
الشعراني ، [أبو المواهب عبد الوهاب] : الطبقات الكبرى ، القاهرة ١٣٠٥ هـ .
العماد الأصفهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، ١/٤ (الأندلس وصقلية) ، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم ، القاهرة ، بدون تاريخ ،
عباس ، إحسان : العرب في صقلية ، القاهرة ١٩٥٩ .
عبد الوهاب ، حسن حسني : الإمام المازري ، تونس ١٩٥٥ .
القشيري ، أبو القاسم : الرسالة ، للقاهرة ١٣١٩هـ .

المالكي ، [أبو بكر عبد الله] : رياض النفوس ، [الجزء الأول فقط] ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥١ .
المدني ، أحمد توفيق : المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، الجزائر ١٩٦٩ .
المراكشي ، [عبد الواحد] : المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٤٩ .
المقدسي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ليدن ١٩٠٦ .
المنشاوي ، عبد الغني ومصطفى السقا : ترجمة ابن حمديس الصقلي ، القاهرة ١٩٢٩ .
[مؤلف مجهول الاسم : تاريخ جزيرة صقلية ، المعروف بتاريخ كمبردج (Cambridge Chronicle) في (المكتبة العربية الصقلية) ، ليبسك ١٨٥٧ ص ١٦٥ — ١٧٦] .
النعمان ، القاضي : دعائم الإسلام ، تحقيق أ . أ . فيضي ، القاهرة ١٩٥١ .
النويري ، [شهاب الدين أحمد] : نهاية الأرب في فنون الأدب ، القاهرة ٢٣ — ١٩٣٥ .
ياقوت الحموي ، أبو عبد الله : معجم البلدان ، تحقيق ف . وستنفيلد ، ليبسك ٦٦ — ١٨٧٠ .

Medieval History, vol. v: *Contest of Empire and Papacy*, Cambridge 1964.
Tardia, F.: *Opuscoli di autori siciliani*, Palermo 1764.
Ullmann, M.: *Die Medizin im Islam*, Leiden 1970.
Valenti, F.: 'Il Palazzo Reale di Palermo', *Bollettino d'arte del ministero dell' educazione nazionale*, anno IV (1924–25), 512-28.
Valerga, P.: *Il Divano di Omar ben al-Fared tradotto e paragonato al canzoniere del Petrarca*, Florence 1874.
Vasiliev, A. A.: *Vizantij i Arabi*, St. Petersburg 1900–2; Fr. tr. M. Canard, *et al.* (*Byzance et les Arabes*), Brussels 1935.
della Vida, G. Levi: 'La sotto-scrizione araba di Riccardo di Lucera', *RSO*, 10 (1293–5), 284–92.
Villard, U. Monneret de: *Le pitture musulmane al soffitto della Cappella Palatina in Palermo*, Rome 1950.
—*Monumenti dell'arte musulmana in Italia*, Rome 1938.
—*La cassetta incrostata della Palatina*, Rome 1938.
—'La tessitura palermitana sotto i Normanni e i suoi rapporti con l'arte bizantina', *Miscellanea Giovanni Mercati*, 3 (1946), Vatican City, 46-89.
—*Lo studio dell'Islām in Europa nel XII e XIII secole*, Vatican City 1944.
Wagner, E.: *Die arabische Rangstreitdichtung und ihre Einordnung in die allgemeine Literaturgeschichte*, Akademie der Wissen-schaften und Literatur, Abhandlungen der Geistes und Sozialwissenschaftlichen Klasse, (1962), Nr. 8.
Watt, W. Montgomery: *The Influence of Islam on Medieval Europe*, Edinburgh 1972.
Wood, A. and Fyfe, F. M.: *The Art of Falconry, being the De Arte Venandi cum Avibus of Frederick II of Hohenstaufen*, London 1956.
Ziegler, H.de: *Vie de l'Empereur Frédéric II de Hohenstaufen*, Paris 1935.

Sarre, Fr.: 'L'arte musulmana nel sud d'Italia e in Sicilia', *Archivio Storico per la Calabria e la Lucania*, iii, fasc. 4.
Sarton, G.: *Introduction to the History of Science*, Baltimore 1927–48.
Savagnone, F. G.: 'Il diploma di fondazione della Cappella Palatina di Palermo (1140)', *Archivio Storico Siciliano*, n.s., xxvi (1901), 65-77.
von Schack, A. F.: *Poesie und Kunst der Araber in Spanien und Sicilien*, Berlin 1887; Spanish tr. J. Valera, *Poesía y arte de los Arabes en España y Sicilia*, Seville 1881.
—*Geschichte der Normannen in Sicilien*, Stuttgart 1889.
Scherillo, Michele: 'Un' iscrizione araba scavata in Napoli', *Napoli Nobilissima*, xiii, fasc. 9 (September 1904).
Schiaparelli, C.: *Il canzoniere di Ibn Ḥamdīs, poeta arabo di Siracusa*, Roma 1897.
Schipa, M.: *Sicilia e Italia sotto Federico II*, Naples 1928.
Schipperges, H.: *Die Assimilation der arabischen Medizin durch das lateinische Mittelalter*, Wiesbaden 1964.
Seippel, A.: *Rerum Normannicarum fontes Arabici*, Oslo 1896–1928.
Serradifalco, Duca di: *Del Duomo di Monreale e di altre chiese normanne*, Palermo 1838.
Setton, K. M. (gen. ed.): *A History of the Crusades*, Milwaukee 1969.
Sharar, 'Abd-al-Ḥal-Ḥalīm: *Ṣiqilliyya meñ Islām*, Lucknow 1919.
Siragusa, G. B.: *Il regno di Guglielmo I in Sicilia*, Palermo 1885–6, 1929.
Smith, Denis Mack: *A History of Sicily: Medieval Sicily 800–1713*, London 1968.
Sourdel-Thomine, J.: 'Le style des inscriptions arabo-sicilienne à l'époque des rois normands', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, i. 307-17.
de Stefano, A.: *La Cultura alla Corte di Federico II, Imperatore*, Palermo, 1938.
—*La Cultura nel periodo normanno*, Bologna 1954.
—*Federico e le correnti spirituale del suo Tempo*, Rome 1922.
—*L'Idea imperiale di Federico II*, Bologna 1952.
Steiger, A.: *Contribucion a la fonética del hispano-arabe y de los arabismos en el ibero-romanico y el siciliano*, 1932.
Steinschneider, M.: 'Die europäischen Übersetzungen aus dem Arabischen bis Mitte des 17. Jahrhunderts', *Sitzungsberichte d. Kais. Akad. d. Wissenschaften in Wien*, cxlix (1904–05); reprinted Graz, 1956.
—*Die arabischen Übersetzungen aus dem Griechischen* (reprint), Graz, 1960.
—'Occidentalische Übersetzungen aus dem Arabischen im Mittelalter', *ZDMG*, xxviii (1874).
Sternfeld, O.: *Kreuzzug Ludwigs des Heiligen nach Tunis und die Politik Karls I von Sizilien*, Berlin 1896.
Talbi, M.: *L'émirat aghlabide 184–296/800–909: Histoire politique*, Paris 1966.
Tanner, J. R., Prévité-Orton, C. W. and Brook, Z. N. (eds.): *The Cambridge*

Noth, A.: *Heiliger Krieg und Heiliger Kampf in Islam und Christentum*, Bonn 1966.
Orsi, P.: 'Ceramiche arabe di Sicilia', *Bollettino d'arte*, ix (1915).
Ottendorf, H.: *Die Regierung der beiden letzten Normannenkönige Tancreds und Wilhelm III Von Sicilien und ihre Kämpfe gegen Heinrich VI*, Bonn 1899.
Patricolo, G.: 'Il monumento arabo scoverto in febbrajo 1882 e la contigua chiesa di S. Giovanni degli Eremiti in Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, Nuova Serie, vii (1883).
Pardi, G.: 'Quando fu composta la Geografia di Edrisi?', *Rivista Geographica Italiana*, xxiv (1917), 380-2.
Petroni, G.: *Storia della città di Bari*, Naples 1857.
Pietro, R. J. di, and Selim, G. D.: 'The Language Situation in Arab Sicily', *Linguistic Studies in Memory of R. S. Barrell*, 1967, 19-35.
Pirenne, H.: *Mahomet et Charlemagne*, Paris 1937; Eng. tr. London 1939.
Pirro, R.: *Sicilia sacra*, Palermo 1733.
Pontieri, E. et al.: *Il Regno Normanno*, Messina/Milan 1932.
Rashdall, H.: *The Universities of Europe in the Middle Ages*, Oxford 1936.
Reinaud, J. T.: *Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse*, Amsterdam 1964; Eng. tr. by H. K. Sherwani, *Muslim Colonies in France, Northern Italy and Switzerland*, Lahore 1964.
—'Un commento di Ibn Qaṭṭā' "il Siciliano" ad alcuni versi di al-Mutanabbi', *RSO*, xxx (1955), 207–27.
—'Un compendio dell' Antologia di poeti arabo-siciliani intitolata ad-Durrah al-khaṭīrah min šu'arā' al-Ğazīrah di Ibn al-Qaṭṭā' "il siciliano"', *Atti Acc. Nz. dei Lincei*, Memoirie, viii (1958), 335-78.
—'Il contributo del mondo arabo agli studi arabo-siculi', *Rivista degli studi Orientali*, 34 (1961), 71-93.
—*La cultura araba nella Sicilia saracena*, Palermo 1961.
—'Ibn Faḥḥām muqri' siciliano', *Studi Orientalistici in onore di G. Levi Della Vida*, Rome 1956, 403-24.
—'Notizie bio-bibliografiche su Ibn Qaṭṭā' "il siciliano"', *Atti dell' Accademia Nazionale dei Lincei*, ix, fasc. 5-6, May–June, 1954, 260-94.
—'Nuove fonti arabe per la storia sei musulmani di Sicilia', *RSO*, 32 (1957), 531-55.
—*Ta'rikh al-adab al-' Arabi fi Ṣiqilliyya*, 1965.
—'Il *tatqīf al-lisān wa-talqīh al-ganān* di Abu Ḥafṣ 'Umar b. Makki aṣ-Ṣiqqilli', *Studia Orientalia*, i (1956), 194-207.
Roberto, F.de.: *Catania*, Bergamo 1907.
Rose, V.: 'Ptolemaeus und die Schule von Toledo', *Hermes*, viii, (1874), 327 et seq.
Salimbeni: *Chronica*, Parma 1857.
Salinas, A.: Escursioni archeologiche in Sicilia,' *Archivio Storico Siciliano*, Nuovo serie, vii (1883),

Malvezzi, A.: *L'islamismo e la cultura europea*, Florence 1956.
Marçais, Georges: *L'architecture musulmane d'Occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile*, Paris 1956.
—*La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen-Âge*, Paris 1946.
—*Manuel d'art musulman*, Paris 1926.
Maria, P. G. and Calvaruso, G. M.: *Fonti arabiche nel dialetto siciliano*, 1910.
Mas-Latrie, Comte de: *Traité de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de l'Afrique septentrionale au moyen âge*, Paris 1868–72.
—*Relations et commerce de l'Afrique septentrionale, ou Magreb, avec les nations chrétiens au moyen âge*, Paris 1886.
Massignon, L.: 'Ibn Sab'īn et la "conspiration hallagienne" en Andalousie et en Orient au XIII^e siècle', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, ii. 661-82.
—'Ibn Sab'īn et la critique psychologique dans l'histoire de la philosophie musulmane', *Mémorial Henri Basset*, Paris 1928, ii. 123-30.
Massignon, L. et Arnaldez, R.: 'La science arabe' in R. Taton, *Histoire Générale des Sciences*, Paris 1957, i. 430-71.
Masson, G.: *Frederick II of Hohenstaufen*, London 1957.
Di Matteo, I.: 'Antologia di poeti arabi siciliani, estratta da quella di Ibn al-Qaṭṭā'', *Archivio Storico per la Sicilia*, I (1935), 85-133.
Mehren, M. A. F.: 'Correspondence du Philosophe soufi Ibn Sab'īn Abd oul-Haqq avec l'Empereur Frédéric II de Hohenstaufen', *Journal Asiatique*, 7e série, xiv (1879), 341-454.
Menéndez Pidal, R.: *Poesía araba e europea*, Madrid 1941.
Millás, J. M.: 'Influencia de la poesía popular hispano-musulmana en la poesia italiana', *Revista de Archivos*, (1920–21).
Miller, K.: *Mappae Arabicae*, Stuttgart 1926–7.
Momigliano, E.: *Federico II di Svevia*, Milan 1948.
Monroe, James T.: *Hispano-Arabic Poetry*, Berkeley 1973.
Monumenta Germaniae Historica, ed. G. H. Pertz, T. Mommsen et al. 1826–1890.
Muratori, L. A.: *Rerum Italicarum scriptores*, Milan 1723–51.
Musca, G.: *L'Emirato di Bari*, Bari 1964.
Nadwī, Sayyid Riyāsat 'Alī: *Ta'rīkh-i Ṣiqilliyya*, A'zamgarh 1933–6.
Nakhli, M.; 'La géographie et le géographe Idrissi', *IBLA*, 1942, 153-7.
Nallino, C. A.: 'Di alcune epigrafi sepolcrali arabe trovate nell' Italia meridionale', *Miscellanea Salinas*, Palermo 1907, 428–38.
—'La nuova edizione della *Storia dei Musulmani di Sicilia* di Amari', *Atti del XIX Congresso Internazionale degli Orientalisti*, 1935, Rome 1938.
Narducci, E.: *Saggio di voci italiane derivate dall' arabo*, Rome 1858.
Naṣīr Aḥmad Jāmi'ī: *Musulmān Sisli meñ*, Lahore 1964.
Niese, H.: *Die Gesetzgebung der normannischen Dynastie im Regnum Sicilae*, Halle 1910.

Huici Miranda, A.: *Historia política del imperio almohade*, Tetuan 1956–7.
Hunke, S.: *Allahs Sonne über dem Abendland; unser arabisches Erbe*, Stuttgart 1960.
Idris, H. R.: *La Berbérie orientale sous les Zirides, Xᵉ–XIIᵉ siècle*, Paris 1962.
—'L'école mālikite de Mahdiya: L'Imām Al-Mazārī (v. 536H/1141)', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, i. 153-64.
al-Idrīsī, Abū-'Abd-Allāh Muḥammad b. Muḥammad, ash-Sharīf: *Kitāb Nuz'hat al-mushtāq fī-khtirāq al-āfāq*, Fr. tr. by P. A. Jaubert, *Géographie d'Edrisi*, 2 vols, Paris 1836–40.
Ivanow, W.: *Ismaili Tradition concerning the Rise of the Fatimids*, London 1942.
Jamyson, E.: *The Life and Work of Admiral Eugenius*, Oxford 1957.
Julien, Ch.-André: *Histoire de l'Afrique du Nord de la conquète arabe à 1830*, ii, Paris 1961.
Kantorowicz, E.: *Kaiser Friedrich der Zweite*, Berlin 1931.
Kehr, K. A.: *Die Urkunden der normannisch-sicilischen Könige*, Innsbruck 1902.
Kington, T. L.: *Frederick II, Emperor of the Romans*, London 1802.
Kritzeck, J.: *Peter the Venerable and Islam*, Princeton 1964.
Kruse, H.: 'A note on the badges for Sicilian Christians under the Muslim rule', *Journal of Pakistan Historical Society*, I (1953), 263-4.
Kühnel, E.: 'Sizilien und die islamische Elfenbeinmalerei', *Zeitschrift für bildende Kunst*, 49 (1913–14), 25, 162–70.
Lagùmina, Bartolomeo: *Catalogo delle monete arabe esistente nella Biblioteca comunale di Palermo*, 1892.
—*La Cronaca siculo-saracena di Cambridge*, 1892.
—*Il falso codice Arabo-Siculo della Bibliotheca Nazionale di Palermo*, Palermo 1882.
—*Documenti per servire alla storia di Sicilia*, Palermo 1890.
—'Nota sulle iscrizione quadrilingue esistente nel Museo Nazionale di Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xv (1890), 108-10.
—*Studi sulla numismatica arabo-normanna*, Rome (?) 1891. Lasinio, *F.: Delle voci*
Lasinio, F.: *Delle voci italiane di origine orientale*, Florence 1877, 1886.
Lavagnini, B.: 'Siracusa occupata degli Arabi e l'epistola di Teodosio Monaco', *Byzantion*, 29-30 (1959–60), 267-79.
Lello, G. L. and Del Giudice, M.: *Descrizione del real templo e monasterio di S. Maria Nuova di Monreale*, Palermo 1702.
Lévi-Provençal, E.: 'Une héroine de la résistance musulmane en Sicile au début du XIIIᵉ siècle', *Oriente Moderno*, 34 (1954), 283-8.
Lewis, Bernard: 'Assassins of Syria and Ismā'īlis of Persia', *Atti del convegno internazionale sul tema La Persia nel medioevo*, Accademia nazionale dei Lincei, Rome 1971, 573-80.
Longo, N.: *Ricerche su i diplomi normanni della chiesa di Troina*, Catania 1899.
Lumia, I. La: *Storia della Sicilia sotto Guglielmo il Buono*, Florence 1867.
Mach Smith, *see* Smith, Denis Mack.
Malaterra, *see* Gaufridus.

mande', Académie Roumaine. *Bulletin de la section historique*, II (1924), 127–35.
Gibb, H. A. R.: 'The Influence of Islamic Culture on Medieval Europe', *Bulletin of John Rylands Library*, 38 (1955), 82–98.
Giffen, Lois Anita: *Theory of Profane Love among the Arabs: The Development of the Genre*, New York 1971.
Giovanni, V. di: 'Il castello e la chiesa della Favara di S. Filippo a Mare Dolce in Palermo', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xxii (1897), 301-74.
—'Divisione etnografica della popolazione di Palermo nei secoli XI, XII, XIII', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. xiii (1888), 1-51.
—*La topografia antica di Palermo dal sec X al XV*, Palermo 1889–90.
Golvin, L.: *Le Magrib central à l'époque des Zirides*, Paris 1957.
Gottschalk, H. L.: 'Al-anbarāṭūr/Imperator', *Der Islam*, 33 (1957), 30-6.
—*al-Malik al-Kāmil*, Wiesbaden 1958.
De Gregario, G. and Seybold, C.: 'Glossario delle voci siciliane di origine araba', *Studi Glottologici Italiani*, 1902, iii. 225–51.
Gregario, R.: *Considerazioni sopra la storia di Sicilia*, Palermo 1831.
—*Rerum Arabicarum quae ad historiam siculam spectant ampla collectio*, Palermo 1790.
Hare, A.: *Cities of Southern Italy and Sicily*, London 1893.
Haskins, C. H.: 'England and Sicily in the twelfth century', *English Historical Review*, XXV (1901), 433-47, 641-55.
—*The Normans in European History*, Boston 1915.
—*The Renaissance of the Twelfth Century*, London 1927.
—*Studies in the History of Medieval Sciences*, Cambridge, Mass. 1924.
—'Science at the Court of Frederick II', in *Studies in the History of Medieval Science*, Cambridge 1927.
Heinemann, L.: *Geschichte der Normannen in Unter-Italien und Sizilien bis zum Aussterben des Normannischen Königshauses*, Leipzig 1894.
Herzfeld, E.: *Der Wandschmuck der Bauten von Samarra und seine Ornamentik*, Berlin 1923.
Heskel, A.: *Die Historia sicula des Anonymus Vaticanus und des Gaufredus Malaterra*, Kiel 1881.
Hillger, F.: *Das Verhältniss des Hugo Falcandus zu Romuald von Salerno*, Halle 1888.
Hoag, John D.: *Western Islamic Architecture*, London 1963.
Hoenerbach, W.: *Dichterische Vergleiche der Andalus-Araber*, Bonn 1973.
—'La navegación omeya enel Mediterráneo y sus consecuencias politico-culturales', *Miscelánea de Estudios árabes y hebraicos*, University of Granada, 2 (1953), 77-98.
Holt, P. M., Lambton, A. K. S. and Lewis, B.: *The Cambridge History of Islam (CHI)*, Cambridge 1970.
Holzach, F.: *Die auswärtige Politik des Königreichs Sicilien vom Tode Rogers II bis zum Frieden von Venedig*, Basle 1892.

Famin, C.: *Histoire des invasions des Sarrazins en Italie du VII^e au XI^e siècle*, Paris 1843.
Franceschini, E.: 'I due assalti dei Saraceni a S. Damiano e ad Assisi', *Aevum*, 27 (1953), 289–306.
Freeman, E. A.: 'The Normans at Palermo', *Historical Essays*, 3rd series, 437-76.
Gabotto, F.: *Eufemio e il movimento separatista nell' Italia bizantina*, Turin 1890.
Gabrieli, F.: 'L' Antologia di Ibn aṣ-Ṣairafi sui poeti arabo-siciliani', *Bollettino dei Centro di studi filologici e linguistici siciliani*, 2 (1954), Palermo 39–51.
—'Arabi di Sicilia e Arabi di Spagna', *Al-Andalus*, 15 (1950), 27-45.
—*Aspetti della civiltà arabo-islamica*, Turin 1956.
—'Federico II e la cultura musulmana', *Rivista Storica Italiana*, 64 (1952), 5-18.
—'Frédéric II et la culture musulmane', *Diogène*, 24 (1958), 3-20.
—'Frederick II and Moslem culture', *East and West* (1958), 53–61.
—*Ibn Ḥamdīs*, Mazara 1948.
—'Il Palazzo ḥammādita di Biğāya descritto da Ibn Ḥamdīs', *Aus der Welt der islamischen Kunst, Festschrift für Ernst Kühnek*, Berlin 1959, 54–8.
—'La politique arabe des Normands de Sicile', *Studia Islamica*, 9 (1958), 83–96.
—'Un secolo di studi arabo-siculi', *Studia Islamica*, 2 (1954), 89-102.
—'Sicilia e Spagna nella vita e nella poesia di Ibn Ḥamdīs', *Miscellanea Galbiati*, Milan 1951 (iii, 323–33); *Dal mondo dell' Islam*, Milan/Naples 1954, 109–26.
—'Storia e cultura della Sicilia araba', *Libia*, i/4 (1953), 3-15.
—*Storici arabi delle Crociate*, Turin 1957.
Garufi, C. A.: (I diplomi purpurei della cancelleria normanna ed Elvira prima moglie di re Ruggiero', *Atti della R. Accademia di Scienze lettere ed arti*, serie 3, vii (1904).
—*I Documenti inediti dell' epoca normanna in Sicilia.* Documenti per servire alla storia di Sicilia, Serie I, Diplomatica, xviii, Palermo 1899.
—'Ruggiero II e la fondazione della Monarchia in Sicilia', *Archivio Storico Siciliano*, n.s. lii (1932), 1-33.
—'Sull' ordinamento amministrativo Normanno in Sicilia, Exchiquier o diwan', *Archivio Storico Italiano*, serie 5, xxvii (1901), 225-63.
Gateau, A.: 'Quelques observations sur l'intérêt du voyage d'Ibn Jubair pour l'histoire de la navigation en Méditerranée au XII^e siècle', *Hespéris*, xxxvi (1949), 289-312.
Gaufridus, a Malaterra: *De rebus gestis Rogerii Calabriae et Siciliae Comitis et Roberti Guiscardi Ducis*, Bologna 1927.
Gay, Jules: *L'Italie méridionale et l'empire byzantin, depuis l'avènement de Basile I^er jusqu'à la prise de Bari par les Normands*, 867–1071, New York 1960.
–'Notes sur l'hellénisme sicilien de l'occupation arabe à la conquête nor-

Cerone, F.: *L'opera politicae militare di Ruggiero II in Africa e in Oriente*, Naples 1933.

Cesareo, G. A.: *Le Origine della Poesia Lirica e la Poesia Siciliana sotto gli Svevi*, Palermo1924.

Chalandon, F.: 'La Diplomatique des Normands de Sicile et de l'Italie méridionale', *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, Ecole Française de Rome, xx, Rome 1900.

—*Histoire de la domination normande en Italie et en Sicile*, Paris 1907.

Cobb, S.: *Islamic Contributions to Civilization*, Washington 1963.

Cohn, W.: *Die Geschichte der Sizilischen Flotte unter der Regierung Friedrichs II*, Breslau 1928.

—*Die Geschichte der sizilischen Flotte unter der Regierung Rogers I und Rogers II* (1060–1154), Breslau 1910.

—*Die Zeitalter der Normannen in Sizilien*, Bonn/Leipzig 1920.

Columba, G. M.: 'Questioni di topografia palermitana dell' età normanna', *Rendiconti dell' Accademia dei Lincei*, serie 5 xxii, (1913).

Collura, P.: *La produzione arabo-greca della Cancelleria di Féderico II*, Palermo 1951.

Cott, P. B.: *Siculo-Arabic Ivories*, Princeton 1939.

Curtis, E.: *Roger of Sicily and the Normans in Lower Italy*, 1016–1154, New York/London 1912.

Cusa, S.: *I Diplomi greci e arabi di Sicilia*, Palermo 1860, 1882.

Cutrera, A.: 'Il palazzo degli emiri di Sicilia in Palermo', *Bollettino d'arte*, serie 3, xxv (1931), 198–205.

Dachraoui, F.: 'Contribution à l'histoire des Fātimides en Ifriqiyya', *Arabica*, viii/2 (1961).

Delarc, O.: *Les Normands en Italie*, Paris 1883.

Diehl, C.: *Palerme et Syracuse*, Paris 1907.

Dolley, R. H.: 'The Lord High Admiral Eustathios Argyros and the betrayal of Taormina to the African Arabs in 902', *Atti VIII. Cong. int. studi bizantini I* (1953), 340–53.

Dunlop, D. M.: *Arabic Science in the West*, Karachi, n.d.

Egidi, Pietro: *La colonia saracena di Lucera e la sua distruzione*, Naples 1912.

—*Codice diplomatice dei Saraceni di Lucera* (1285–1343), Naples 1917.

d'Emilia, A.: 'Diplomi arabi siciliani di compravendita del secolo VI Egira e loro raffronto con documenti egiziani dei secoli III-IV Egira', *Annali*, n.s. 14 (1964), 83-109.

Encyclopaedia of Islam, Second edition, ed. by B. Lewis, Ch. Pellat, Joseph Schacht etc., Leiden/London 1960–.

Ettinghausen, R.: 'Painting in the Fāṭimid Period: a Reconstruction', *Ars Islamica*, ix (1942).

Falcandus, Hugo: *La Historia o regno Sicilie e la Epistola ad Petrum Panormitane Ecclesie thesaurarium* ..., Rome 1904.

Avolio, Corrado: *Introduzione allo studio del dialetto siciliano*, Noto 1882.
Ballardini, G.: 'Bacini orientali a Ravello', *Bollettino d'arte*, (March 1934), 391–400.
Battaglia, G.: *Diplomi inediti relativi all' ordinamento della proprietà fondiaria in Sicilia sotto i Normanni e gli svevi*, Documenti per servire alla storia di Sicilia. Serie 1, Diplomatica, xvi, Palermo 1898.
Bausani, A.: 'Notes on the history of Arabic and Islamic Studies in Italy during the Middle Ages', *Journal of Pakistan Historical Society*, iii/3 (1955), 177.
Behring, W.: *Sicilianische Studien, II. Regesten des normannischen Königshauses* (1130–97), Elbing 1882.
Benjamin ben Jonah of Tudela: *Travels of Rabbi Benjamin, son of Jonah, of Tudela through Europe, Asia and Africa*, (translated into Eng. from Hebrew by B. Gerrans), London 1783.
Bertoni, G.: *Poeti e Poesie del Medio Evo e della Rinascenza*, Modena 1922.
—*Il duecento*, Milan 1930.
Blochet, R.: 'Les relations diplomatiques de Hohenstaufen avec les sultans d'Égypte', *Revue Historique*, lxxx (1902), 51–64.
Bréholles, A. Huillard: *Historia Diplomatica Frederici II*, Paris 1859.
Brockelmann, C.: *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden 1943–9.
Brion, M.: *Frédéric de Hohenstaufen*, Paris 1948.
Di Brolo, Lancia: *Storia della Chiesa in Sicilia nei primi dieci secoli del Christianisimo*, Palermo 1884.
Brooks, E. W.: 'The Sicilian expedition of Constantine IV', *Byzantinische Zeitschrift*, 17 (1908–09), 455–9.
Browne, E. G.: *Arab Medicine*, Cambridge 1921.
Brun, M.: *Les Byzantins dans l'Italie méridionale aux IXe et Xe siècles*, Zapiski Imperatorskago Novorossijskago Universiteta, Odessa 1883.
Brunschvig, R.: 'Note sur un traité entre Tunis et l'Empereur Frédéric II', *Revue Tunisienne*, 10 (1932), 153–60.
Caetani, L.: *Chronographica Islamica*, Paris 1913–18.
Canard, M.: 'Une lettre du calife fātimite al-Ḥāfiẓ à Roger II', *Atti del Convegno internazionale di studi ruggeriani*, Palermo 1955, i. 125–46.
Caspar, E.: *Die Legatengewalt der normannisch-sicilischen Herrscher im 12 Jahrhundert*, Rome 1904.
—*Roger II und die Gründung der normannisch-sicilischen Monarchie*, Innsbruck 1904.
Centenario della nascita di Michele Amari. Scritti di filologia e storia araba, Palermo.
Centro italiano di Studi sull' Alto Medioevo: *L'occidente e l'Islam nell'Alto Medioevo*, Spoleto 1965.
Cerulli, E.: *Il Libro della Scala e la questione delle fonti arabo–spagnole della Divina Commedia*, Vatican City 1949.
Cerbella, G.: 'Toponomastica araba in Sicilia', *Libia*, ii (1954).

BIBLIOGRAPHY

'Abd-al-Wahhāb, H. H.:

—'Le régime foncier en Sicile au Moyen Age (IX[e] et X siècles). Edition (texte arabe) et traduction d'un chapitre du "Kitāb al-Amwāl" d'al-Dawūdi', *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, Paris 1962, ii. 401–4.

Agnello, G.: *L'Architettura Sveva in Sicilia*, 1935.

—*L'Architettura civile e religiosa in Sicilia nell' età sveva*, Roma 1961.

Aimé: *Ystoire de li Normant*, Rome 1892.

Alberti, Leonardo: *Descrizione di tutta Italia*, Venice 1567.

Alexandre de Telese: *De rebus gestis Rogerii Siciliae regis*, Naples 1845.

d'Alverny, M. Th.: 'Les pérégrinations de l'âme dans l'autre monde d'après un anonyme de la fin du XII[e] siècle', *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Age*, xiii (1940–1942), 239–300.

Amari, M.:

—*Le Epigrafi arabiche di Sicilia*, Palermo 1875–1885.

—*Frammenti dell' iscrizione arabica della Cuba*, Palermo 1877.

—'Il libro di Re Ruggiero ossia la Geografia di Edrisi', *Boll. della Società Geografica Italiana*, 1st series, vii (1872), 1–24.

—'Questions philosophiques adressées aux savants musulmans par l'Empereur Frédéric II', *Journal Asiatique*, 5[e] série, i (1853), 240–74.

—*Storia dei Musulmani di Sicilia*, 2 ediz. a cura di C. A. Nallino, Catania 1933–9.

—'Su le iscrizioni arabiche del palazzo regio di Messina', *Memoire della classe di scienze morale storiche e filologiche, della R. Accademia dei Lincei*, serie 3, vii (1881).

Amari, M. and Schiaparelli, C. (tr. and ed.): 'L'Italia descritta nel "Libro del re Ruggiero" compilato da Edrisi', *Memoirie dei Lincei*, serie 2, viii (1883).

Amico, V.: *Dizionario topografico della Sicilia*, It. tr., G. Dimarzo, Palermo 1855.

Arata, G.: *L'Architettura arabo-normanna e il Rinascimento in Sicilia*, Milan 1925.

Arnold, T. W. and Guillaume, A. (ed.): *The Legacy of Islam*, Oxford 1931.

Asín Palacios, Miguel: *La escatologia musulmana en la Divina Comedia*, Madrid 1919; Eng. tr. *Islam and the Divine Comedy*, London 1926.

Atti del Convegno Internazionale di Studi Ruggeriani, Palermo 1955, 2 vols.

كشاف عام

— أ —

— ح —

— خ —

— د —

— ذ —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ض —

— ط —

— ع —

— غ —

— ف —

— ق —

— ك —

— ل —

— م —

— و —

— ي —